

ليبيا

في كتب التاريخ والسير

اختيار وتصنيف

الدكتور احسان عباس

الدكتور محمد يوسف نجم

الناشر

دار ليبيا للنشر والتوزيع

بنغازي

كلمة تمهيدية

لا تزال « دار ليبيا » تواصل جهدها ، في سبيل الكتاب ، جاعلة خدمة المثقفين والدارسين من أبناء الوطن غايتها الأولى ؛ وقد استطاعت — على حداثة عهدها — أن تقدم للقارىء العربي عامة والليبي خاصة مجموعة صالحة من الكتب العلمية العميقة ، والمصادر القيّمة .

وقد رأت من أجل إحياء التراث الليبي أن تجمع من أمهات المصادر العربية حصيلة ما يتصل بتاريخ ليبيا وجغرافيتها ومجتمعها ؛ وعهدت بتحقيق ذلك إلى أستاذين من أصدقاء الدار هما الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم . فاضطلع الصديقان بهذه المهمة وأنجزا جمع مجلدين في الموضوع ، يتناول الأول منهما المادة التاريخية من كتب التاريخ العام وكتب الفتوح والسير والتراجم والأنساب والمؤلفات الموسوعية والفهارس العامة وغيرها ، ويتناول الكتاب الثاني ما يخص منطقة ليبيا في المصادر الجغرافية وكتب الرحلات ، فجاء الكتابان وفيّين بالغرض ، محققين للغاية المرجوّة ، وهي تقريب هذه المادة المتباعدة ، تسهيلاً على الدارس والطالب .

وإننا إذ نعتز بتقديم هذين المصدرين الهامّين اللذين يعطيان صورة واضحة عن تاريخ وطننا وعلاقاته ومجتمعه وأحواله الاقتصادية والعمرانية في القرون الوسطى نعد القارىء بالمضيّ قدماً في هذا الطريق العلميّ ، فقد عقدنا العزم على الاستمرار في إحياء التراث الليبي ، ونعني بذلك نشر ما خطته أقلام الليبيين من مؤلفات ، كما أننا سنقدم ترجمات لأهمّ ما كتب عن ليبيا باللغات الأجنبية ، ونقوم بنشر الوثائق التي لا يستغني عنها الباحثون في الشؤون

الليبية ، وإصدار الدراسات الأكاديمية التي يعدّها أبناء وطننا ، والإسهام في بعث التراث العربي ، من وجهة عامة .

ونحن نعلم أن مثل هذا المشروع الكبير لا يتحقق إلاّ بمعاونة إخواننا أبناء الوطن ، وأصدقائنا في البلاد العربية ؛ فإليهم نوجه الدعوة استئناساً بالرأي السديد والاقتراح المفيد ، وعقداً للأيدي على التعاون المجدي ؛ فأما الذين ساعدونا على تخطي العقبات الأولى فلهم منّا كل شكر وتقدير .

سدد الله خطانا ووفقنا جميعاً لما فيه خير أمتنا .

دار ليبيا

بنغازي في (مايو) أيار ١٩٦٨

ليبيا في كتب التاريخ والسير

١ — كتب الأنساب
٢ — كتب الفتوح والتاريخ العام
٣ — كتب السير والتراجم
٤ — كتب المعارف العامة

كتب الأنساب

جمهرة الأنساب لابن حزم
الأنساب المتفقة لابن القيسراني
كتاب الأنساب للسمعاني
اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير
نهاية الأرب للقلقشندي
قلائد الجمان للقلقشندي
البيان والإعراب للمقريزي

جمهرة الأنساب لابن حزم

[١٨٠] ومن ولد حجوان بن عمرو بن شيبان . . . بالأندلس : محمد بن أحمد بن هارون بن طالوت بن عبد الملك بن خالد بن أبي حبيب بن قيس بن عوف بن أسد بن حذيم بن تيم بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القائم على بني عبيد بجهة أطرابلس .

[٤٢٤] لخم : ومنهم آل عباد وآل تمارة ، منهم كان الثائر مع بني قرة ببرقة يحيى بن تمارة المنتمي إلى بني أمية ، وهو من ولد تمارة بن سليمان بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الداخل بن عبد الملك بن هانىء بن غطيف بن العلاء ابن نسير بن جذيمة بن جذمة بن تمارة بن لخم ، هكذا كتبته من خط الحكم المستنصر بالله ، رضي الله عنه .

الأنساب المتفقة لابن القيسراني

[١٠] الأطرابلسي ... : منسوب إلى أطرابلس المغرب . خرج منها جماعة أيضاً منهم عبد الله بن ميمون الأطرابلسي ، روى عن سليمان ابن داود بن سلمون القيرواني ، روى عنه أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن المروزي ، وكان سليمان قدم مدينة مرو وحدث بها ، وموسى بن عبد الرحمن بن حبيب العطار قاضي أطرابلس يكنى أبا الأسود ، روى عن محمد بن سحنون وشجرة بن عيسى وغيرهما ، وعبد الله بن أحمد بن عبد الله ابن صالح العجلي ، كان أبوه من أهل الكوفة نزل أطرابلس المغرب ، وولد عبد الله وأخوه صالح بأطرابلس فنسبا إليها .

[١٧٨] البرقي ... من ينسب إلى برقة بلد يقارب سروجة وقيل هي بعد الإسكندرية ، ذكرهم أو أكثرهم أبو سعيد ابن يونس في تاريخه ، الثاني لقب محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي ، ذكر ابن يونس أخاه أحمد ابن عبد الله في البرقيين ، وذكر محمداً هذا في المصريين وأنه كان يتجر هو وإخوته إلى برقة فعرف بالبرقي ، وهو من أهل مصر .

كتاب الأنساب للسمعاني

[١ : ٢٩٨] الأطرابلسي بفتح الألف وسكون الطاء وفتح الراء وضم الباء المنقوطة بواحدة واللام وفي آخرها السين المهملة ، هذه النسبة إلى أطرابلس ، وهذا الاسم لبلدتين كبيرتين : إحداهما على ساحل الشام ممّا يلي دمشق ، والأخرى من بلاد المغرب ، وقد يسقط الألف عن التي بالشام .

[١ : ٣٠١] وأما المنسوب إلى أطرابلس المغرب فخرج منها جماعة أيضاً ، منهم عبد الله بن ميمون الأطرابلسي ، روى عن سليمان بن داود بن سلمون القيرواني ، روى عنه أبو سهيل عبد الصمد بن عبد الرحمن المروزي ، وكان سليمان قدم مدينة مرو وحدث بها ؛ والقاضي أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن بن حبيب العطار الأطرابلسي قاضي أطرابلس ، روى عن محمد بن سحنون وشجرة بن عيسى وغيرهما ؛ وعبد الله بن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي ، كان أبوه من أهل الكوفة ، نزل أطرابلس المغرب فنسب إليها ، وولد عبد الله وأخوه صالح بأطرابلس فنسبا إليها ؛ وأبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، كوفي الأصل ، نشأ ببغداد وسمع بها وبالكوفة والبصرة ، وحدث عن شبابة بن سوار ومحمد بن جعفر غندر والحسين ابن علي الجعفي وأبي داود الحفري وأبي عامر العقدي ومحمد ويعلى ابني عبيد وجماعة نحوهم ، وكان حافظاً ديّناً صالحاً ، انتقل إلى بلاد المغرب فسكن أطرابلس – يعني المغرب – وانتشر حديثه هناك ، روى عنه ابنه أبو مسلم صالح وذكر أنه سمع منه في سنة سبع وخمسين ومائتين وكان يشبه بأحمد بن حنبل ، وكان خروجه إلى المغرب أيام محنة أحمد بن حنبل . وكانت ولادته

بالكوفة سنة اثنتين وثمانين [ومائة] ، ومات في سنة إحدى وستين ومائتين . وقبره على الساحل بأطرابلس وقبر ابنه صالح إلى جنبه ، وأبو مطيع معاوية ابن يحيى الأطرابلسي [١] وليس بالصدفي .

[٢ : ١٧١] (البرقي) بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء ، هذه النسبة إلى برقة وهي بلدة تقارب تروحة من أعمال المغرب ، وخرج منها جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين ذكرهم أبو سعيد ابن يونس في كتاب تاريخ المصريين ومن دخلها . ومنها أبو خزيمة إبراهيم بن حماد بن عبد الملك ابن أبي العوام الخولاني البرقي من أهل برقة ، يروي عن أبي يونس البرقي ، روى عنه أبو الربيع سليمان بن داود المهري ، وبقيّتهم ببرقة معروفون فيهم فقهاء . وأبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفياض عبد الرحمن بن عمرو البرقي مولى

---

١ قلت : هكذا ذكر أبو سعد أبا مطيع معاوية بن يحيى الصدفي الأطرابلسي من أطرابلس الشام ، وذكر أبا مطيع معاوية بن مطيع من أطرابلس الغرب ، ولا شك أنه قد وهم في الجميع فإنه قد خالفه غيره من العلماء الأثبات منهم الحافظ أبو القاسم الدمشقي وهو أعلم بأهل بلاده ، قال ما هذا معناه : معاوية بن يحيى أبو روح الصدفي الدمشقي الأطرابلسي كان يلي بيت المال بالري للمهدي ، حدث عن مكحول والزهري وذكر جماعة ، روى عنه هقل بن زياد وغيره وأكثر روايته عن الزهري . قال معاوية بن يحيى أبو مطيع الدمشقي ثم الأطرابلسي روى عن أبي الزناد وسليمان ابن سليم وخالد الحذاء وذكر جماعة ، روى عنه بقية بن الوليد وهشام بن عمار ومحمد بن يوسف الفريابي وغيرهم . وقال الحافظ أبو بكر محمد بن عثمان الحازمي الهمذاني ما هذا معناه : معاوية بن يحيى أبو مطيع الأطرابلسي ، يعني أطرابلس الشام ، روى عن سعيد بن أيوب روى عنه عبد الله بن يوسف . وفي الدمشقيين آخر يقال له معاوية بن يحيى الصدفي كان على بيت مال الري ، روى عن الزهري ، روى عنه هقل بن زياد . فبان بهذا أن أبا مطيع ليس من أطرابلس الغرب وأنه ابن يحيى وأن الذي من أطرابلس الشام يكنى أبا روح والثاني يكنى أبا مطيع وأن الذي يروي عن الزهري كنيته أبو روح لا أبو مطيع . وقد اختلط قول أبي سعد لا شك ، فإن الحافظ أبا القاسم الدمشقي أعلم بأهل بلاده وهو أيضاً أتقن في قوله (اللباب ١ : ٥٧) .

سبأ ويقال مولى رعين ، من أصحاب عبد الله بن وهب ، وحدث عن أشهب ابن عبد العزيز مناكير . توفي بمصر يوم الاثنين لست خلون من شعبان سنة خمس وأربعين ومائتين . وأبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عروة بن يزيد بن السحوح التجيبي البرقي وله ببرقة بقية ؛ توفي في شوال سنة ستين ومائتين . والمشهور بالنسبة إليها [ولاء] إبراهيم بن حماد بن عبد الملك بن أبي العوام الخولاني البرقي ، مولى ينسب إلى ولاء زياد بن خنيس من برقة يكنى أبا خزيمة ؛ روى عنه أبو الربيع سليمان بن داود المهري وغيره ، وهو يروي عن أبي يونس البرقي . وإبراهيم بن أبي الفياض البرقي واسمه عبد الرحمن بن عمرو مولى سبأ ، ويقال مولى رعين ، يكنى أبا إسحاق ، من أصحاب عبد الله بن وهب حدث عنه [و] عن أشهب بن عبد العزيز ، روى عنه محمد بن داود بن أسلم وغيره . وأبو بكر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن أبي زرعة البرقي مولى بني زهرة ، حدّث عن عبد الملك بن هشام بالمغازي ؛ وحدث عن عمرو بن أبي سلمة وسعيد بن أبي مريم وأسد بن موسى وأبي صالح كاتب الليث وغيرهم وكان ثقةً ثبتاً ؛ توفي في شهر رمضان سنة سبعين ومائتين فجأة ضربته دابة في سوق الدواب ، قيل إن أخاه كان صنفه ولم يتمه فأتمه وحدث به وكان إسنادهما واحداً .

نهاية الأرب للقلقشندي

[١١٦] أولاد سلاّم – بالتشديد – : بطن من لبيد من العدنانية ومنازلهم برقة .

أولاد سليمان : بطن من لبيد كذلك من العدنانية ومنازلهم برقة .

[١١٧] أولاد محمد : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية . . . ومنازلهم ببلاد برقة وهم فرق كثيرة .

[١٢٠] البركات : بطن من لبيد من سليم من العدنانية . . . ومساكنهم مع قومهم ببلاد برقة .

البشرة – بكسر الباء وفتح الشين المعجمة : من لبيد أيضاً . . . ومنازلهم مع قومهم ببرقة أيضاً .

[١٢٢] البلاييس : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، منازلهم بلاد برقة .

[١٢٣] الجماعات : بطن من صبيح من فزارة ، كانت منازلهم برقة .

الجواري : بطن من دباب من بهثة من سليم من العدنانية ، قال في العبر : وهم رؤساء دباب الآن ومنازلهم فيما بين غربي طرابلس وقابس .

الجواشنة : أيضاً بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، مساكنهم بلاد برقة .

الحدادة : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، منازلهم بلاد برقة .

[١٣٠] الحوتة : بطن من لبيد من سليم بن منصور من العدنانية ، كانت منازلهم ديار برقة .

[١٣٢] الدروع : بطن من لبيد من سليم من العدنانية : ومنازلهم بلاد برقة مع قومهم لبيد .

[١٣٤] الرواشد : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، منازلهم مع قومهم بني لبيد ببرقة .

[١٣٦] الزرازير : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، ومنازلهم برقة .

[١٣٧] السبوت : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، ومنازلهم برقة .

[١٣٨] السوالم : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، مساكنهم بلاد برقة.

[١٣٩] الشبلة : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، منازلهم ببلاد برقة .

الشراعبة : بطن من لبيد من سليم بن منصور من العدنانية ، منازلهم برقة .

الشعوب : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية ، مساكنهم برقة .

[١٤٠] الشنفة : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية ، ومنازلهم مع قومهم صبيح في برقة .

[١٤١] الصرابرات : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، منازلهم برقة .

[١٤٨] العقيبات : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية ، كانت منازلهم مع قومهم ببلاد برقة .

[١٥٤] العواسي : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية ، مساكنهم مع قومهم ببرقة .

العواكلة : بطن من لبيد من سليم من العدنانية ، منازلهم مع قومهم ببرقة .

العلاونة : بطن من لبيد من سليم بن منصور من العدنانية ، منازلهم مع قومهم لبيد ببلاد برقة .

الغشاشمة : بطن من صبيح من فزارة ، منازلهم مع قومهم صبيح ببرقة .

[١٥٦] القيوس : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية ، مساكنهم مع قومهم صبيح ببرقة .

[١٥٧] اللواحق : بطن من صبيح من العدنانية ، ومنازلهم مع قومهم صبيح ببرقة .

[١٥٨] المحاميد : بطن من دباب من بهثة من سليم من العدنانية ، منازلهم بين طرابلس وقابس من بلاد المغرب ، مجاورون لعرب دباب والجواري ؛ وذكر الشريف الرشاطي أن شيخهم كان عطية بن سعيد ؛ قال في العبر : وهم رؤساء دباب .

[١٥٩] المساورة : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية ، منازلهم مع قومهم ثعلبة وصبيح ببرقة .

[١٦٠] المطارنة : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية ، مساكنهم مع قومهم صبيح ببرقة .

المقادمة : بطن من فزارة من العدنانية ، مساكنهم البحيرة من الديار المصرية وبرقة .

المواجدة : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية ، منازلهم مع قومهم صبيح ببرقة .

المواسي : بطن من صبيح المقدم ذكرهم ، ومنازلهم ببرقة .

الموالك : بطن من لبيد من سليم من القحطانية ، مساكنهم مع قومهم لبيد ببرقة .

النبلة : بطن من لبيد من سليم من القحطانية ، منازلهم مع قومهم لبيد ببرقة .

[١٦١] النحاحسة : بطن من صبيح من فزارة من العدنانية ، ومنازلهم مع قومهم صبيح ببرقة .

الندوة : بطن من لبيد من سليم بن منصور من القحطانية ، مساكنهم مع قومهم لبيد ببرقة .

النوافلة : بطن من لبيد من سليم من القحطانية ، منازلهم مع قومهم لبيد ببرقة .

[١٧٧] بنو بعجة : بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانية ، قال ابن سعيد : منازلهم فيما بين مصر وإفريقية .

[٢٢٣] بنو جوشن : بطن من لبيد من سليم ، مساكنهم برقة ، وهم الجواشنة .

[٢٥٠] بنو دباب : بطن من بهثة من سليم من العدنانية . . . قال في مسالك الأبصار : وأرضهم بين طرابلس وقابس من بلاد المغرب ، وذكر أن مشيختهم في زمانه كانت لعبد الله بن ربيعة وأخيه إبراهيم . . . وذكر في العبر أن منازلهم فيما بين قابس وبرقة مجاورين بني هيب .

[٢٦٦] بنو رواحة : بطن من غطفان من العدنانية ، مساكنهم بلاد برقة في بلاد هيب ، ذكرهم في العبر ولم يصل نسبهم .

[٢٧٤] بنو زنانة : بطن من لواتة من البتر من البربر . . . قال في مسالك الأبصار : مساكنهم فيما بين الإسكندرية والعقبة الكبيرة ببرقة .

[٢٩٢] بنو سلمان : بطن من بهثة من سليم من العدنانية ، ذكرهم في العبر وقال : منازلهم بين فزارة ودودان والجواري بين طرابلس وقابس من بلاد المغرب .

[٢٩٤] بنو سليم : وكان لسليم من الولد بهثة ومنه جميع أولاده ، قال في العبر : وبإفريقية منهم حي عظيم ، وقال الحمداني : مساكنهم ببرقة ممّا يلي المغرب وممّا يلي مصر ؛ قال في العبر : وقد استولوا على برقة وهي إقليم طويل متسع الأطراف قد خربوا مدنه ولم يتركوا بها ولاية ولا إمرة إلاّ لمشايخهم . قال في مسالك الأبصار : والإمرة فيهم في بني عزاز . قلت : وقد آلت الإمرة عليهم في زماننا إلى عريف بن عمرو ، وكان عبداً صالحاً ، ثم خلفه في ذلك ابنه عمرو ، وهو مستمر فيه إلى الآن .

[٢٩٦] بنو سماك : بطن من العرب ، عدهم الحمداني في عرب البحيرة وما بين برقة إلى العقبة الكبيرة ولم ينسبهم في قبيلة .

[٣١٣] بنو صبيح : بطن من فزارة من العدنانية ، منازلهم ببرقة ولهم بطون متفرقة تعرف الكل : صبيح .

[٣٦٤] بنو عقبة : قال في العبر : وبإفريقية من بلاد المغرب منهم بقية وأمة كثيرة بنواحي طرابلس .

[٣٩٢] بنو فزارة . . . قال في العبر : وكانت منازل فزارة بنجد ووادي القرى ولم يبق بنجد أحد ونزل جيرانهم من طي مكانهم بأرض برقة من طرابلس منهم : قبائل رواحة وهيب وفزان وسمح ومرة وسعد .

[٣٩٧] بنو قرة : بطن من هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانية . . . ذكرهم ابن سعيد في عرب برقة وقال : منازلهم فيما بين مصر وإفريقية .

[٤٠٠] بنو قطاب : بطن من لبيد بن سليم من العدنانية ، مساكنهم مع قومهم لبيد ببرقة ، وهم بطن متسع ، أخبرني به بعض البرقيين .

[٤١٠] بنو لبيد : بطن من سليم ، مساكنهم ببلاد برقة ، وهم خلق كثير لا يكاد يحصى لهم عدد .

[٤١٥] بنو محارب : بطن من هيب بن بهثة من سليم : ذكرهم في العبر ولم يرفع نسبهم ، قال : وديارهم في الشرق عن بني أحمد المجاورين العقبة الكبيرة والصغيرة ؛ قال : والرياسة في هاتين القبيلتين لبني عزاز وهيب بخلاف سائر سليم ، لأنها استولت على إقليم طويل خربت مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية .

[٤٣٢] بنو نفزاوة : قال في العبر : هم بطن من غطفان من قيس عيلان من العدنانية ، مساكنهم بجوار هيب من إقليم برقة ؛ قال ومنهم : رواحة .

[٤٤١] بنو هوارة . . . ذكر في مسالك الأبصار : أن منازلهم بالديار المصرية وبالبحيرة ومن الإسكندرية غرباً إلى العقبة الكبيرة من برقة . قلت : ولم يزل الأمر على ذلك إلى آخر المائة السابعة في الدولة الظاهرية الشهيدية « برقوق » حتى غلبتهم على البحيرة زنارة وحلفاؤها . . . إلخ .

[٤٤٤] بنو هيب : بطن من بهثة من سليم من العدنانية . . . قال في العبر : ومساكنهم من السدرة من برقة إلى العقبة الصغيرة من حدود الإسكندرية . قال ابن سعيد : وأول ما يلي الغرب منهم بنو أحمد ثم بنو شماخ .

قلائد الجمان للقلقشندي

[٣٣] وزويلة : وهم أهل برقة في الزمان القديم . ويقال إنهم من بني حويلا بن كوش بن حام ، ومنهم الطائفة الذين وصلوا صحبة جوهر المعزي باني القاهرة المنسوب إليهم باب زويلة وحارة زويلة بالقاهرة .

[١١٣] بنو فزاوة . . . وبأرض برقة إلى طرابلس منهم قبائل . وقد أخبرني مخبرون من أهل برقة بعدة من قبائلهم وهم : صُبيح – بضم الصاد – وهم ذوو أنفار كثيرة ، منهم : أولاد محمد والجماعات والحساسنة والقيوس واللواحس والمساورة والمكاسر والمواجد والمواسي والنحاحسة . قلت : وقد جاءت طائفة ممّن كان منهم ببرقة وما يليها إلى الديار المصرية ونزلت بأطراف البهنسا ممّا يلي الجيزة .

[١٢٤] سليم بن منصور . . . قال في مسالك الأبصار : [منهم] ببرقة ممّا يلي الغرب إلى مصر ، قال : وفيهم الأبطال الأنجاد والخيل الجياد ، قال في العبر : وقد استولوا على برقة وهي إقليم طويل متسع الأطراف قد خربوا مدنه ولم يتركوا بها ولاية ولا إمرة إلاّ لمشايخهم .

[١٢٥] ومن سليم لبيد . . . وهم بطن عظيم من سليم مساكنهم أرض برقة ولهم أفخاذ متسعة . أخبرني مخبرون من غيرها بعدة أحياء منهم ، وهي : أولاد حرام وأولاد سلاّم والبركات والبشرة والبلاييس والجواشنة والحدادة والحوثة والدروع والرفيعات والزرازير والسوالم والسبوت والشراعبة والصريرات والعواكلة والعلاونة والموالك والنبلة والندوة والنوافلة والزعاقبة والبواجنة والقبائص وقطاب والقصاص .

[١٢٦] ومن سليم بنو عوف : [ومنهم] في برقة إلى الغرب ما لا يحصى .

[١٢٧] ومن سليم أيضاً دباب . . . قال في مسالك الأبصار : وأرضهم بين قابس وطرابلس من بلاد المغرب ؛ وذكر في العبر أن مساكنهم ما بين قابس وبرقة مجاورين لهيب .

[١٢٨] ومن سليم أيضاً بنو هيب . . . قال في العبر : ومساكنهم من السدرة في برقة إلى العقبة الكبيرة ثمّ الصغيرة من حدود الإسكندرية .

ومن سليم أيضاً محارب . . . قال في العبر : وديارهم ببرقة في الشرق عن بني أحمد المجاورين لبلاد المغرب إلى العقبة الكبيرة وإلى العقبة الصغيرة .

[١٦٨] هوّارة . . . ذكر في مسالك الأبصار أن منازلهم بالديار المصرية البحيرة ومن الإسكندرية غرباً إلى العقبة الكبيرة من برقة .

[١٧٥] زنارة : ذكر في مسالك الأبصار أن مساكنهم مع هوّارة فيما بين الإسكندرية والعقبة الكبيرة ببرقة .

البيان والإعراب للمقريزي

[٤٨] عوف بن سليم . . . وعوف هؤلاء في بلاد الصعيد وفي البحيرة وفي برقة إلى بلاد المغرب ، منهم أمم لا تحصى كثرة .

[٦٨] سليم : ومساكن سليم هذه ببرقة ممّا يلي مصر ، وكانت في عالية نجد بالقرب من خيبر ، ومنها حرة بني سليم وحرة النار بين وادي القرى وتيماء . ثمّ تحولوا إلى مصر وإفريقية ، ولم يبق لهم عدد ولا بقية ببلادهم وصار لهم بإفريقية عدد عظيم . فمنهم بها : بنو الشريد ، لهم صولة وشوكة ؛ وبنو زعب بن مالك بن بهثة ، كانوا بين الحرمين فصاروا إلى إفريقية في جوار إخوانهم بني دباب بن مالك ثمّ صاروا في جوار بني هيب .

[٦٩] ومن بني سليم بنو دباب بن مالك : ينزلون ما بين قابس وبرقة وهم ببرقة بجوار هيب ومنهم بنو سليمان بن دباب في جهة فزان وودّان ، ورؤساء دباب الآن ما بين طرابلس وقابس وبينهم بنو صابر والمحامد بنواحي فاس وبيتهم في بني رحاب بن محمود .

[٧٠] وبنو هيب بن بهثة إخوة عوف بن بهثة ما بين السدرة من برقة إلى حدود إسكندرية . وبنو أحمد منهم بأجدابية لهم عدد ويرجعون إلى شماخ ، ولها العز في هيب . ومن هيب سمال ومحارب ورياستهما في عزاز ؛ ولهيب في سليم عزة لاستيلائها على إقليم طويل خربت مدنه وصارت ولايته لأشياخهم ، وتحت أيديهم خلق كثير من البربر ، وفيهم طائفة الأبطال الأنجاد ، والإمارة فيهم في أولاد عزاز بن مقدم . . .

[٧١] وفيما بين الإسكندرية والعقبة الكبرى جماعة فايد وزنارة ومزاتة

وخفاجة وهوارة وسمال ولبيد جماعة سلاّم ومحارب وقطاب والزعاقبة وبشر والجواشنة والبعاجنة والقبايص وأولاد سلمان والقصاص والعلاونة ومنازلهم من العقبة الكبيرة إلى سوسة . ثمّ جماعة جعفر بن عمر وهم المثانية والياسة وعرعرة والعظمة والعكمة والمزايل والعزة ، ومن العزة الجعافرة جماعة ابن عمر ومنهم البداري أيضاً ومنهم السهاونة والجلدة وأولاد أحمد ومنازلهم من سوسة إلى بئر السدرة وهي آخر حدود ديار مصر ومسافتها من الإسكندرية نحو شهر بسير القوافل .

[٧٢] وفي برقة أحياء لبني جعفر وكان شيخهم أبو ذئب وأخوه حامد ابن كميل وهم ينسبون في العرب فتارة في كعب بن سليم وتارة في فزارة ، والصحيح أنهم ينسبون إلى مسراتة إحدى بطون هوّارة .

[٧٣] وفيما بين برقة والعقبة أولاد سلاّم . وما بين العقبة الكبيرة والإسكندرية أولاد مقدم ، وهم بطنان : أولاد التركية وأولاد فايد بن مقدم وسلاّم معاً ، وهم ينسبون إلى لبيد بن علي بن هبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر . . . وقيل لبيد من سليم وفيهم هيب ورواحة وفزارة ، وهؤلاء يقال إنهم من غطفان والله أعلم بالصواب .

كتب الفتوح والتاريخ العام

فتوح مصر وإفريقية لابن عبد الحكم
فتوح البلدان للبلاذري
تاريخ اليعقوبي
تاريخ الطبري
المعجب لعبد الواحد المراكشي
الكامل في التاريخ لابن الأثير
المغرب لابن سعيد
مفرج الكروب لابن واصل
البيان المغرب لابن عذاري
أعمال الأعلام لابن الخطيب
تاريخ ابن خلدون
تاريخ ابن الفرات
السلوك للمقريزي
المواعظ والاعتبار للمقريزي
تاريخ الدولتين للزركشي
بدائع الزهور لابن إياس
المؤنس لابن أبي دينار
إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف

فتوح مصر وإفريقية لابن عبد الحكم

[٨٩] وأخبرنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن داود بن عبد الله الحضرمي أن أبا قتان حدثه عن أبيه أنه سمع عمرو بن العاص يقول : لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر عليّ عهد ولا عقد إلاّ أهل أنطابلس فإن لهم عهداً يوفى لهم به . قال ابن لهيعة في حديثه : إن شئت قتلت وإن شئت خمست وإن شئت بعت .

[١١٠] وتوفي رويفع بن ثابت ببرقة وكان قد وليها . حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : ولي رويفع بن ثابت أنطابلس سنة ثلاث وأربعين .

[١٢٧] فهد بن كثير بن فهد وكان ولي برقة أيام أسامة بن زيد الأولى .

ذكر فتح برقة

[١٧٠] قال : وكان البربر بفلسطين وكان ملكهم جالوت ، فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية ممّا يشرب من السماء ولا ينالهما النيل . فتفرقوا هنالك فتقدمت زناتة ومغيلة إلى المغرب وسكنوا الجبال ، وتقدمت لواتة فسكنت أرض أنطابلس وهي برقة ، وتفرقت في هذا المغرب وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس . ونزلت هوارة مدينة لبدة . ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرة ، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك . وأقام الأفارق وكانوا

خدماً للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم .

فسار عمرو بن العاص في الخيل حتّى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم . حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا الليث بن سعد قال : كتب عمرو بن العاص على لواتة من البربر في شرطه عليهم : إن عليكم أن تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية . حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة أن انطابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاص . حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عبد الله الحضرمي أن ابن ديّاس حين ولي أنطابلس أتاه بكتاب عهدهم . حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عبد الله الحضرمي عن أبي قنان أيوب بن أبي العالية الحضرمي عن أبيه ، قال : سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول : لأهل أنطابلس عهد يوفى لهم به . قال : ثمّ رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال : ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج ، إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها . ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتّى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين .

ذكر أطرابلس

قال : ثمّ سار عمرو بن العاص حتّى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين. حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد ، قال : غزا عمرو بن العاص طرابلس في سنة ثلاث وعشرين . ثمّ رجع إلى حديث عثمان . فنزل على القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهراً لا يقدر منهم على شيء ، فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيداً في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة حتّى أمعنوا عن العسكر ثمّ رجعوا فأصابهم الحر فأخذوا

على ضفة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة في مرساها إلى بيوتهم ، فنظر المدلجي وأصحابه فإذا البحر قد غاص من ناحية المدينة ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي غاص منه البحر ، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا ، فلم يكن للروم مفزع إلاّ سفنهم . وأبصر عمرو وأصحابه السلة في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ، فلم تفلت الروم إلاّ بما خف لهم من مراكبهم وغنم عمرو ما كان في المدينة .

[١٧٢] وكان من بسبرة متحصنين (واسمها نبارة وسبرة السوق القديم وإنما نقله إلى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة إحدى وثلاثين) فلمّا بلغهم محاصرة عمرو مدينة أطرابلس وأنه لم يصنع فيهم شيئاً ولا طاقة له بهم أمنوا ، فلمّا ظفر عمرو بن العاص بمدينة أطرابلس جرد خيلاً كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير ، فصبحت خيله مدينة سبرة وقد غفلوا وقد فتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم ، فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى عمرو على ما فيها ورجعوا إلى عمرو .

[١٩٤] ثمّ خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حديج عقبة بن نافع الفهري سنة ست وأربعين ، ومعه بسر بن أبي ارطاة وشريك بن سمي المرادي ، فأقبل حتى نزل بمغمداش من سرت . وكان توجه بسر إليها ، كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد ، سنة ست وعشرين من سرت . فأدركه الشتاء وكان مضعفاً وبلغه أن أهل ودان قد نقضوا عهدهم ومنعوا ما كان بسر ابن أبي أرطاة فرض عليهم . وكان عمرو بن العاص قد بعث إليها بسراً قبل ذلك وهو محاصر لأهل أطرابلس فافتتحها . فخلف عقبة بن نافع جيشه هنالك واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي ، ثمّ سار بنفسه

وبمن خف معه أربع مائة فارس وأربع مائة بعير وثماني مائة قربة حتى قدم ودان فافتتحها وأخذ ملكهم فجدع أذنه، فقال : لمَ فعلتَ هذا بي وقد عاهدتني؟ فقال عقبة : فعلت هذا بك أدباً لك إذا مسست أذنك ذكرته فلم تحارب العرب . واستخرج منهم ما كان بسر فرضه عليهم ثلاث مائة رأس وستين رأساً .

ثمّ سألهم عقبة : هل من ورائكم أحد ؟ فقيل له : جرمة ، وهي مدينة فزان العظمى . فسار إليها ثماني ليال من ودان ، فلمّا دنا منها أرسل فدعاهم إلى الإسلام فأجابوا . فنزل منها على ستة أميال وخرج ملكهم يريد عقبة ، وأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه ، فأمشوه راجلاً حتى أتى عقبة وقد لغب ، وكان ناعماً فجعل يبصق الدم . فقال له : لمَ فعلتَ هذا بي وقد أتيتك طائعاً ؟ فقال عقبة : أدباً لك إذا ذكرته لم تحارب العرب . وفرض عليه ثلاث مائة عبد وستين عبداً . ووجّه عقبة الرجل من يومه ذلك إلى المشرق .

ثمّ مضى على جهته من فوره ذلك إلى قصور فزان فافتتحها قصراً قصراً حتى انتهى إلى أقصاها ، فسألهم : هل من ورائكم أحد ؟ قالوا : نعم أهل خاوار ، وهو قصر عظيم على رأس المفازة في وعورة على ظهر جبل وهو قصبة كوار . فسار إليهم خمس عشرة ليلة فلمّا انتهى تحصنوا فحاصرهم شهراً فلم يستطع لهم شيئاً ، فمضى أمامه على قصور كوار فافتتحها حتى انتهى إلى أقصاها وفيه ملكها ، فأخذه فقطع إصبعه ، فقال : لمَ فعلتَ هذا بي ؟ قال : أدباً لك إذا أنت نظرت إلى إصبعك لم تحارب العرب . وفرض عليه ثلاث مائة عبد وستين عبداً .

فسألهم : هل من ورائكم أحد ؟ فقال الدليل : ليس عندي بذلك معرفة ولا دلالة . فانصرف عقبة راجعاً فمر بقصر خاوار فلم يعرض له ولم ينزل

بهم ، وسار ثلاثة أيام فأمنوا وفتحوا مدينتهم . وأقام عقبة بمكان اسمه اليوم ماء فرس ولم يكن به ماء ، فأصابهم عطش شديد أشفى منه عقبة وأصحابه على الموت ، فصلى عقبة ركعتين ودعا الله . وجعل فرس عقبة يبحث بيديه في الأرض حتى كشف عن صفاة ، فانفجر منها الماء ، فجعل الفرس يمص ذلك الماء ، فأبصره عقبة فنادى في الناس أن احتفروا فحفروا سبعين حسياً فشربوا واستقوا ؛ فسمي لذلك ماء فرس . ثم رجع عقبة إلى خاوار من غير طريقه التي كان أقبل منها ، فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلاً فوجدهم مطمئنين قد تمهدوا في أسرابهم ، فاستباح ما في المدينة من ذرياتهم وأموالهم وقتل مقاتلتهم .

ثمّ انصرف راجعاً فسار حتى نزل بموضع زويلة اليوم ، ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر . وقد جمت خيولهم وظهرهم . فسار متوجهاً إلى المغرب وجانب الطريق الأعظم ، وأخذ إلى أرض مزاتة فافتتح كل قصر بها ثمّ مضى إلى . . . فافتتح قلاعها وقصورها ثمّ بعث خيلاً إلى غدامس فافتتحت غدامس ، فلمّا انصرفت إليه خيله سار إلى قفصة فافتتحها وافتتح قصطيلية .

[٢٠٠] ويقال إن عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر كتب إلى زهير بن قيس ، وزهير يومئذ ببرقة ، يأمره بغزو إفريقية . فخرج في جمع كثير ، فلمّا دنا من قونية وبها عسكر كسيلة بن لمزم عبأ زهير لقتاله وخرج إليه ، فاقتتلا فقتل كسيلة ومن معه ثمّ انصرف زهير قافلاً إلى برقة . ويقال بل حسان بن النعمان الذي كان وجّه زهير بن قيس ، والله أعلم .

حسان بن النعمان : ثم قدم حسان بن النعمان والياً على المغرب ، أمّره عليها عبد الملك بن مروان في سنة ثلاث وسبعين . فمضى في جيش كبير حتى نزل أطرابلس ، واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية وأطرابلس ، فوجه على

مقدمته محمد بن أبي بكير وهلال بن ثروان اللواتي وزهير بن قيس ، ففتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة . وخرج إلى مدينة قرطاجنة وفيها الروم فلم يصب فيها إلاّ قليلاً من ضعفائهم . فانصرف وغزا الكاهنة ، وهي إذ ذاك ملكة البربر وقد غلبت على جل إفريقية ، فلقيها على نهر يسمّى اليوم نهر البلاء فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمته وقتلت من أصحابه وأسرت منهم ثمانين رجلاً ، وأفلت حسان ونفذ من مكانه إلى أنطابلس ، فنزل قصوراً من حيز برقة فسميت قصور حسان ، واستخلف على إفريقية أبا صالح . وكانت أنطابلس ولوبية ومراقية إلى حد أجدابية من عمل حسان .

[٢٠٢] قال : فقفل حسان بن النعمان من إفريقية سنة ثمان وسبعين . فلما مرّ حسان ببرقة أمّر على خراجها إبراهيم ابن النصراني .

قال : وأغارت الروم بعد حسان على أنطابلس فهرب إبراهيم ابن النصراني وخلى أهل أنطابلس وأهل ذمتها في أيدي الروم ، فرأسوها أربعين ليلة حتى أسرعوا فيها الفساد . وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فأرسل إلى زهير بن قيس وكان خرج مع حسان ، فلمّا بلغ مصر أقام بها ، فأمره عبد العزيز بالنهوض إلى الروم . ولم يجتمع لزهير من أصحابه إلاّ سبعون رجلاً ، وكان عارض من الصدف يقال له جندل بن صخر ، وكان فظّاً غليظاً ، فقال زهير لعبد العزيز بن مروان : أما إذ قد أمرتني بالخروج فلا تبعثن معي جندلاً عارضاً فيحبس علي الناس لشدته وفظاظته . وكان عبد العزيز عاتباً على زهير بن قيس لأنه كان قاتله حين وجهه أبوه مروان بن الحكم من ناحية أيلة من قبل أن يدخل مصر ، فقال له : ما علمتك يا زهير إلاّ جلفاً جافياً ، فقال له زهير : ما كنت أرى يابن ليلى أنّ رجلاً جمع ما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه وسلّم من قبل أن يجتمع أبواك جلف جاف ؛ ما هو بالجلف ولا الجاف ، أنا

منطلق فلا ردني الله إليك . فخرج حتى إذا كان بدرنة من طبرقة من أرض أنطابلس لقي الروم وهو في سبعين رجلاً ، فتوقف لتلحق به الناس ، فقال له فتى شاب كان معه : جبنت يا زهير ، فقال : ما جبنت يابن أخي ، ولكن قتلتني وقتلت نفسك ، فلقيهم فاستشهد زهير وأصحابه جميعاً ؛ فقبورهم هنالك معروفة إلى اليوم . وكان مقتل زهير وأصحابه ، كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث ، في سنة ست وسبعين .

قال : وكان بأملس من برية أنطابلس رجل من مذحج يقال له عطية بن يربوع خرج بابن له هارباً من الوباء . وكان في تلك البرية جماعة من المسلمين فاستغاثهم وركب فيمن حوله من الناس ، فاجتمع إليه سبعمائة رجل فزحف بهم إلى الروم فقاتلهم فهزمهم ، واعتصموا بسفنهم وهرب من بقي منهم . وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فبعث إليها غلاماً يقال له تليد ووجه معه ناساً من أشراف أهل مصر فضبطها . حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد : قال : أمر على أنطابلس حين قتل زهير طارق . فثقل على الناس إمامة تليد بهم لأنه عبد ، فبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فأرسل إلى تليد بعتقه وأقام بأنطابلس.

موسى بن نصير : وقدم حسان بن النعمان من قبل عبد الملك متوجهاً إلى المغرب ، فلمّا قدم مصر قال لعبد العزيز : اكتب إلى عبدك بالإعراض عن أنطابلس ، فقال له عبد العزيز : ما كنت لأفعل بعد إذ ضيعتها فاستولت عليها الروم ، فقال حسان : إذاً ارجع إلى أمير المؤمنين ، فقال عبد العزيز : أرجع. فانصرف حسان راجعاً إلى عبد الملك وخلف ثقله بمصر فقدم على عبد الملك وهو مريض ، ووجّه عبد العزيز موسى بن نصير إلى المغرب فأخبر حسان عبد الملك بذلك فخرّ عبد الملك ساجداً وقال : الحمد لله الذي أمكنني من موسى ، لشدة أسفه عليه ، وكان عاملاً لعبد الملك على العراق مع بشر بن

مروان فعتب عليه عبد الملك وأراد قتله فافتداه منه عبد العزيز بمال لما رأى من عقل موسى بن نصير ولبه ، وكان عنده بمصر . ثمّ لم يلبث حسان بن النعمان إلاّ يسيراً حتّى توفي ، وقدم موسى بن نصير المغرب في سنة ثمان وسبعين .

[٢١٦] حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث ، قال : وولي عبيدة ابن عبد الرحمن إفريقية في المحرم سنة عشر ومائة . فلمّا قدم عبيدة إفريقية وجّه المستنير بن الحبحاب الحرشي غازياً إلى صقلية ، فأصابتهم ريح فغرقتهم ووقع المركب الذي كان فيه المستنير إلى ساحل أطرابلس . فكتب عبيدة بن عبد الرحمن إلى عامله على أطرابلس يزيد بن مسلم الكندي يأمره أن يشدّه وثاقاً ويبعث معه ثقة ، فبعث به في وثاق فلما قدم على عبيدة جلده جلداً وجيعاً وطاف به القيروان على أتان ثمّ جعل يضربه في كل جمعة مرة حتى أبلغ إليه ، وذلك أن المستنير أقام بأرض الروم حتّى نزل عليه الشتاء واشتدت أمواج البحر وعواصفه فلم يزل محبوساً عنده .

[٢١٨] ثمّ وجه هشام على إفريقية كلثوم بن عياض القيسي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومائة . وقدم بلج بن بشر أمامه ، فلمّا قدم كلثوم إفريقية أمر أهل إفريقية بالجهاز والخروج معه إلى البربر وقطع على أهل أطرابلس بعثاً ، فخرج في عدد كثير واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة الغفاري وعلى الحرب مسلمة بن سوادة القرشي . فثار عليه بعد خروج كلثوم يريد بربر طنجة عكاشة بن أيوب الفزاري من ناحية قابس ، وهو صفري ، وأرسل أخاً له ، فقدم سبرة فجمع بها زناتة وحصر أهل سوق سبرة في مسجدهم وعليهم حبيب بن ميمون . وبلغ الخبر صفوان بن أبي مالك وهو أمير على أطرابلس ، فخرج بهم فوقع على أخي الفزاري ، وهو محاصر أهل سبرة ، فقاتلهم فانهزم الفزاري وقتل أصحابه من زناتة وغيرهم وهرب إلى أخيه بقابس .

[٢٢١] وقد كان كلثوم بن عياض كتب إلى عامله على أطرابلس صفوان ابن أبي مالك يستمده ، فخرج إليه بأهل أطرابلس حتى قدم قابس فانتهى إليه خبر كلثوم ومن معه فانصرف .

[٢٢٣] وقد كان حنظلة ، عندما كان من حلول عبد الواحد بالأصنام وعكاشة بالقرن وقربا من القيروان ، كتب إلى معاوية بن صفوان عامله على أطرابلس يأمره بالخروج إليه بأهل أطرابلس ، فخرج حتى انتهى إلى قابس فبلغه ما كان من هزيمة عبد الواحد وعكاشة ، فكتب إليه حنظلة في بربر خرجوا بنفزاوة وسبوا أهل ذمتها فامض إليهم ، فسار إليهم بمن معه فقاتلهم فقتل معاوية بن صفوان وقتل الصفرية واستنقذ ما كانوا أصابوا من أهل الذمة . فبعث حنظلة إلى جيش معاوية ذلك زيد بن عمرو الكلبي فانصرف بهم إلى طرابلس .

[٢٢٤] ثمّ بعث عبد الرحمن أخاه ابن حبيب عاملاً على أطرابلس ، فأخذ عبد الله بن مسعود التجيبي ، وكان إباضياً ورئيساً فيهم ، فضرب عنقه . واجتمعت الإباضية بأطرابلس ، فعزل عبد الرحمن أخاه وولى حميد بن عبد الله العكي . وكان على الإباضية حين اجتمعت عبد الجبار بن قيس المرادي ومعه الحارث بن تليد الحضرمي ، فحاصروا حميد بن عبد الله في بعض قرى أطرابلس ووقع الوباء في أصحابه فخرج بعهد وأمان . فلمّا خرجوا أخذ عبد الجبار بن قيس نصير بن راشد مولى الأنصار فقتله ، وكان من أصحاب حميد وكانوا يطلبونه بدم عبد الله بن مسعود التجيبي المقتول . واستولى عبد الجبار على زناتة وأرضها ، فكتب عبد الرحمن بن حبيب إلى يزيد بن صفوان المعافري بولاية أطرابلس ، ووجه مجاهد بن مسلم الهواري يستأنف الناس ويقطع عن عبد الجبار هوارة وغيرهم . فأقام مجاهد في هوارة أشهراً ثمّ طردوه

فلحق بيزيد بن صفوان بأطرابلس . فوجه عبد الرحمن بن حبيب محمد بن مفروق في خيل ، وكتب إلى يزيد بن صفوان بالخروج معه فخرجوا ، فلقيهم عبد الجبار بن قيس والحارث بن تليد بمكان من أرض هوارة . فقتل يزيد بن صفوان ومحمد بن مفروق وانهزم مجاهد بن مسلم إلى أرض هوارة . فقفل عبد الرحمن بن حبيب واجتمع إليه جمع كثير فزحف بهم إلى عبد الجبار والحارث بن تليد فلقيهم بأرض زناتة ، فانهزم عمرو بن عثمان وأصحابه . واستولى عبد الجبار والحارث على أطرابلس كلها .

ثمّ خرج عمرو بن عثمان إلى دغوغا ومعه مجاهد بن مسلم واتبعه الحارث ابن تليد ، فوجه عمرو من دغوغا إلى أرض الصحراء فأدركه الحارث ، فتقدم عمرو إلى سرت فأدركته خيل الحارث فقتلوا نفراً من أصحابه ونجا عمرو على فرسه جريحاً ، واحتوى الحارث على عسكره واستفحل أمر عبد الجبار والحارث . ثمّ اختلف أمرهما وتفاقم ما بينهما فاقتتلا فقتل عبد الجبار والحارث جميعاً . فولّى البربر على أنفسهم إسماعيل بن زياد النفوسي فعظم شأنه وكثر بيعه ، فخرج إليه عبد الرحمن بن حبيب حتّى إذا كان بقابس قدم ابن عمه شعيب بن عثمان في خيل ، فلقي إسماعيل فقتل إسماعيل وأصحابه وأسر من البربر أسارى كثيرة . وكان عبد الرحمن مقيماً في عسكره ولم يشهد الوقعة ، فنهض حين فتح له إلى سوق أطرابلس ومعه الأسارى ، وكتب إلى عمرو بن عثمان فقدم عليه من أرض سرت وقدم الأسارى فضرب أعناقهم وصلبهم ، واستعمل على أطرابلس عمرو بن سويد المرادي .

فتوح البلدان للبلاذري

[٢٥٤] وحدثنا القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الغفار الحراني عن ابن لهيعة عن إبراهيم بن محمد عن أيوب بن أبي العالية عن أبيه قال : سمعت عمرو بن العاصي يقول على المنبر : لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر علي عهد ولا عقد ، إن شئت قتلت ، وإن شئت خمست ، وإن شئت بعت ، إلا أهل أنطابلس فإن لهم عهداً يوفى لهم به .

فتح برقة وزويلة

[٢٦٤] حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون ، عن عبد الله بن هبيرة ، قال : لما فتح عمرو بن العاصي الإسكندرية سار في جنده يريد المغرب ، حتى قدم برقة ، وهي مدينة أنطابلس ، فصالح أهلها على الجزية وهي ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه .

حدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن سهيل بن عقيل ، عن عبد الله بن هبيرة ، قال : صالح عمرو بن العاصي أهل أنطابلس ومدينتها برقة ، وهي بين مصر وإفريقية ، بعد أن حاصرهم وقاتلهم على الجزية ، على أن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا في جزيتهم . وكتب لهم بذلك كتاباً .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مسلمة بن سعيد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : كان أهل برقة يبعثون بخراجهم إلى والي

مصر من غير أن يأتيهم حاثٌ أو مستحث . فكانوا أخصب قوم بالمغرب ، ولم يدخلها فتنة .

قال الواقدي : وكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول : لولا مالي بالحجاز لنزلت برقة ، فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها .

وحدثني بكر بن الهيثم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، قال : كتب عمرو بن العاصي إلى عمر بن الخطاب يعلمه أنه قد ولّى عقبة بن نافع الفهري المغرب فبلغ زويلة ، وأن من بين زويلة وبرقة سلم كلهم حسنة طاعتهم ، قد أدى مسلمهم الصدقة وأقر معاهدهم بالجزية ، وأنه قد وضع على أهل زويلة ومن بينه وبينها ما رأى أنهم يطيقونه . وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها في الفقراء ، ويأخذوا الجزية من الذمة فتُحمل إليه بمصر . وأن يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ، ومن أهل الصلح صلحهم .

[٢٦٥] حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، أن عمرو بن العاصي كتب في شرطه على أهل لواتة من البربر من أهل برقة : إن عليكم أن تبيعوا أبناءكم ونساءكم فيما عليكم من الجزية .

قال الليث : فلو كانوا عبيداً ما حلّ ذلك منهم .

فتح أطرابلس

[٢٦٦] فحدثني بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، قال : سار عمرو بن العاصي حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين . فقوتل ، ثمّ افتتحها عنوةً وأصاب بها أحمال بزيون

كثيرة مع تجار من تجارها ، فباعه وقسّم ثمنه بين المسلمين . وكتب إلى عمر ابن الخطاب :

إنّا قد بلغنا أطرابلس وبينها وبين إفريقية تسعة أيام . فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعَل .

فكتب إليه ينهاه عنها ويقول : ما هي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها . وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً ، وكان ملك الأندلس صالحهم ثمّ غدر بهم . وكان خبرهم قد بلغ عمر .

حدثني عمرو الناقد ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ، عن الليث بن سعد ، قال : حدثني مشيختنا أن أطرابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاصي .

[٢٧٠] ثمّ ولي عبد الملك بن مروان فاستقام له الناس . فاستعمل أخاه عبد العزيز على مصر ، فولى إفريقية زهير بن قيس البلوي . ففتح تونس ثمّ انصرف إلى برقة . فبلغه أن جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا ، فتوجه إليهم في جريدة خيل فلقيهم فاستشهد ومن معه ، فقبره هناك . وقبورهم تدعى قبور الشهداء . ثمّ ولي حسان بن النعمان الغساني ، فغزا ملكة البربر الكاهنة فهزمته . فأتى قصوراً في حيز برقة فنزلها . وهي قصور يضمها قصر سقوفه ازاج ، فسميت قصور حسان .

تاريخ اليعقوبي

[١ : ١٩٠] وكانت البربر والأفارقة ، وهم أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح ، لما ملك إخوتهم بأرض مصر ، فأخذوا من العريش إلى أسوان طولاً ، ومن أيلة إلى برقة عرضاً ، خرجوا نحو المغرب . فلمّا جازوا أرض برقة أخذوا البلاد ، فغلب كل قوم منهم على بلد ، حتى انتشروا بأرض المغرب .

فأول من ملك منهم : لواتة في أرض يقال لها أجدابية من جبال برقة ، وملكت مزاتة في أرض يقال لها ودان ، فنسب هؤلاء القوم إلى أبيهم ، وجاز قوم منهم إلى بلد يقال له تورغة ، فملكوا هناك ، وهم هوارة ، وسار آخرون إلى بلاد أرميك ، وهم بذرعه . وسار قوم إلى طرابلس يقال لهم المصالين ، وجاز قوم إلى غربي طرابلس يقال لهم وهيله .

[٢ : ٤٦٥] ثمّ أتاه [أي المأمون] الخبر أن أهل البشرود من كور مصر قد ثاروا ، فأمر أخاه أبا إسحاق أن يوجه الافشين حيدر بن كاوس ، فوجه به ، وكفّ عاديتهم ، ونفذ إلى برقة ، وقد خالف أهلها ، فافتتحها ، وأسر مسلم بن نصر بن الأعور ، وانصرف إلى مصر سنة ٢١٦ .

[٢ : ٤٨٠] وخلع قوم من البربر ببرقة ، ومعهم قوم من قريش من بني أسيد بن أبي العيص ، ووثبوا بعاملهم محمد بن عبدويه بن جبلة ، فوجه الواثق رجاء بن أيوب الحضاري ، فبدأ بدمشق ، فأوقع بابن بيهس ، فأسره ، وسار إلى فلسطين ، فأوقع بتميم اللخمي وأسره وحمله إلى سر من رأى ، فوقف بباب العامة ، ونودي عليه ، وصار رجاء إلى مصر سنة ٢٢٨ ، فنزل الجيزة ، ثمّ

توجه إلى برقة ، فهرب من كان فيها ، وظفر بجماعة منهم ، فحملهم ، ثمّ انصرف .

[٢ : ٥٠٨] وولّى المعتمد محمد بن هرثمة بن أعين برقة ، فقدم الفسطاط في شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٧ ، ونفذ إلى برقة .

[٢ : ٥١٠] وفي هذه السنة [٢٥٨ هـ] وثب جند برقة بمحمد بن هرثمة بن أعين عامل المعونة ، فأخرجوه عنها فا . . . رو إلى الفسطاط .

تاريخ الطبري

[١ : ٢٦٤٥] (سنة ٢١) . قال وفيها سار عمرو بن العاصي إلى أنطابلس ، وهي برقة ، فافتتحها وصالح أهل برقة على ثلاثة عشر ألف دينار وأن يبيعوا من أبنائهم ما أحبوا في جزيتهم .

[١ : ٢٦٤٦] (سنة ٢١) . قال وفيها بعث عمرو بن العاصي عقبة بن نافع الفهري فافتتح زويلة بصلح وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين .

[٢ : ٩٤] (سنة ٥٠) . ثمّ عزل معاوية في هذه السنة ، أعني سنة ٥٠ ، معاوية بن حديج عن مصر وعقبة بن نافع عن إفريقية ، وولّى مسلمة بن مخلد مصر والمغرب كلّه ، فهو أول من جمع له المغرب كله ومصر وبرقة وإفريقية وطرابلس . فولّى مسلمة بن مخلد مولى له يقال له أبو المهاجر إفريقية وعزل عقبة بن نافع وكشفه عن أشياء ، فلم يزل والياً على مصر والمغرب وأبو المهاجر على إفريقية من قبله حتّى هلك معاوية بن أبي سفيان .

[٣ : ١٤٢٩] (سنة ٢٤١) . فذكر أن المتوكل ولّى بريد مصر رجلاً من خدمه يقال له يعقوب بن إبراهيم الباذغيسي مولى الهادي وهو المعروف بقوصرة ، وجعل إليه بريد مصر والإسكندرية وبرقة ونواحي المغرب .

[٣ : ١٩٣٢] (سنة ٢٦٥) . وفيها لحق العباس بن أحمد بن طولون مع من تبعه ببرقة مخالفاً لأبيه أحمد ، وكان أبوه أحمد استخلفه فيما ذكر على عمله بمصر لما توجه إلى الشام ، فلما انصرف أحمد عن الشام راجعاً إلى مصر حمل العباس ما في بيت مال مصر من الأموال وما كان لأبيه هناك من الأثاث وغير ذلك ثمّ مضى إلى برقة . فوجه إليه أحمد جيشاً فظفروا به وردوه إلى أبيه أحمد

فحبسه عنده وقتل لسبب ما كان منه جماعة كانوا شايعوا ابنه على ذلك .

[٣ : ٢٢٨٨] (سنة ٣٠٠) . فمن ذلك ما كان من ورود بغداد رسول من العامل على برقة ، وهي من عمل مصر إلى ما خلفها بأربعة فراسخ ثمّ ما بعد ذلك من عمل المغرب ، بخبر خارجي خرج عليه وأنه ظفر بعسكره وقتل خلقاً من أصحابه ، ومعه آذان وأنوف من قتله في خيوط ، وأعلام من أعلام الخارجي .

[٣ : ٢٢٩١] (سنة ٣٠١) . وفيها دخل أصحاب ابن البصري من أهل المغرب برقة وطرد عنها عامل السلطان .

المعجب في تلخيص أخبار المغرب
لعبد الواحد المراكشي

[٣٠٠] ثمّ افتتح [عبد المؤمن] طرابلس المغرب وأرسل إلى بلاد الجريد، وهي توزر وقفصة ونفطة والحامة وما والى هذه البلاد ، فافتتحت كلها وأخرج الإفرنج منها وألحقهم ببلادهم — كما تقدم — . . . وتمّ لعبد المؤمن ، رحمه الله ، مُلْكُ إفريقية كلها منتظماً إلى مملكة المغرب . فملك في حياته من طرابلس المغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس .

[٤٣١] قد تقرر واشتهر أن أول حد البلاد المصرية ممّا يلي الشام العريش ، وآخره ممّا يلي المغرب مدينة أنطابلس المعروفة ببرقة . . . وأول حد بلاد إفريقية والمغرب مدينة أنطابلس المذكورة المدعوة ببرقة بناها الروم ، فكانت حاضرة لتلك البلاد ومجتمعاً لأهلها ، افتتحها المسلمون في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومنها كان ابتداء فتح المغرب ، ومن هذه المدينة — أعني أنطابلس — إلى مدينة طرابلس المغرب قريب من خمس وعشرين مرحلة ؛ وما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب خمس وأربعون مرحلة ؛ وكانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان ، تمشي فيها القوافل ليلاً ونهاراً ، وكان فيما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب حصون متقاربة جداً ، فإذا ظهر في البحر عدوّ نوّر كل حصن للحصن الذي يليه واتصل التنوير ، فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية أو من الإسكندرية إلى طرابلس في ثلاث ساعات أو أربع ساعات من الليل فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم ، لم يزل هذا معروفاً من أمر البلاد إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون ونفت عنها أهلها أيام خلّى بنو عبيد بينهم وبين الطريق إلى المغرب ، وذلك في حدود ٤٤٠ حين تغير ما بينهم

وبين المعز بن باديس الصنهاجي ، وقطع الدعاء لهم على المنابر ، ودعا لبني العباس ، فاستولى الخراب عليها إلى وقتنا هذا ، واستوطنها الأعراب من سليم ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وغيرهم فهم اليوم بها ، وآثار المدن والحصون باقية إلى اليوم .

ومدينة أنطابلس هذه خراب لم يبق منها إلاّ آثارها ، وفيما بين برقة وطرابلس حصن يسمّى طلميثة بالقرب منه معدن كبريت . فأما مدينة طرابلس فلم تزل معمورة إلى هذا الوقت ، وهي أول مملكة المصامدة ، وقد استولى عليها في مدة ملكهم وفي ملك أبي يعقوب منهم المملوك قراقش . . . ثمّ أخرجه منها المصامدة ، واستولى عليها أيضاً يحيى بن غانية وعلى كثير من إفريقية . . . ثمّ أخرجه عنها أيضاً المصامدة فهي في ملكهم إلى وقتنا هذا ، وهو سنة ٦٢١ .

فحد بلاد إفريقية ممّا يلي المشرق مدينة أنطابلس المذكورة ، وحدها ممّا يلي المغرب المدينة المعروفة بقسنطينية الهواء ، سميت بذلك لإفراط علوها وشدة منعتها ، ومسافة ما بين أنطابلس وقسنطينية المغرب قريبة من خمس وخمسين مرحلة ، فهذا حد إفريقية طولاً وعرضها يختلف بحسب مزاحمة الصحراء العمارة ومباعدتها .

[٤٣٤] فأول مدن إفريقية المعمورة طرابلس المغرب المتقدم ذكرها ، ومنها إلى مدينة قابس عشر مراحل ، وقابس هذه على ساحل البحر الرومي وكذلك طرابلس .

[٤٣٩] فأول بلاد المغرب ممّا على ساحل البحر الرومي مدينة أنطابلس المعروفة ببرقة ، وآخرها ممّا على ساحل البحر الأعظم مدينة طنجة ، ومسافة ما بين ذلك على التقريب ست وتسعون مرحلة .

[٤٤٧] قد تقدم ذكر معدن الكبريت الذي بين برقة وطرابلس وأنه بالقرب من حصن يدعى طلميثة .

الكامل في التاريخ لابن الأثير

[٣ : ١٥]   (سنة ٢١) . قيل : وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري فافتتح زويلة صلحاً ، وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين ، وقيل سنة عشرين .

ذكر فتح طرابلس الغرب وبرقة

[٣ : ١٩]   (سنة ٢٢) . في هذه السنة سار عمرو بن العاص من مصر إلى برقة فصالحه أهلها على الجزية وأن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه ، فلما فرغ من برقة سار إلى طرابلس الغرب فحاصرها شهراً فلم يظفر بها ، وكان قد نزل شرقيها فخرج رجل من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر وسلكوا غرب المدينة ، فلما رجعوا اشتد عليهم الحر ، فأخذوا على جانب البحر ولم يكن السور متصلاً بالبحر وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم ، فرأى المدلجي وأصحابه مسلكاً بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا . فلم يكن للروم ملجأ إلاّ سفنهم لأنهم ظنوا أن المسلمين قد دخلوا البلد . ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة وسمعوا الصياح ، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد فلم يفلت الروم إلاّ بما خفّ معهم في مراكبهم . وكان أهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو على طرابلس ؛ فلما امتنعوا عليه بطرابلس أمنوا واطمأنوا ، فلما فتحت طرابلس جنّد عمرو عسكراً كثيفاً وسيره إلى سبرة ، فصبحوها وقد فتح أهلها الباب وأخرجوا مواشيهم لتسرح ؛ لأنهم لم يكن بلغهم خبر طرابلس ، فوقع المسلمون عليهم ودخلوا البلد مكابرةً

وغنموا ما فيه وعادوا إلى عمرو . ثم سار عمرو بن العاص إلى برقة وبها لواتة ، وهم من البربر . وكان سبب مسير البربر إليها وإلى غيرها من العرب أنهم كانوا بنواحي فلسطين من الشام ، وكان ملكهم جالوت فلما قتل سارت البرابر وطلبوا العرب حتّى انتهوا إلى لوبية ومراقية . وهما كورتان من كور مصر الغربية . تفرقوا فسارت زناتة ومغيلة وهما قبيلتان من البربر إلى الغرب ، فسكنوا الجبال وسكنت لواتة أرض برقة ، وتُعرف قديماً بأنطابلس ، وانتشروا فيها حتّى بلغوا السوس ، ونزلت هوارة مدينة لبدة ، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرة وجلا من كان بها من الروم لذلك . وقام الأفارق ، وهم خدم الروم ، على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم ، وسار عمرو بن العاص كما ذكرنا فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزية ، وشرطوا أن يبيعوا من أرادوا من أولادهم في جزيتهم .

[٣ : ٦٨] (سنة ٢٦) . ثمّ إن عبد الله بن سعد لما ولي أرسل إلى عثمان في غزو إفريقية والاستكثار من الجموع عليها وفتحها ، فاستشار عثمان من عنده من الصحابة فأشار أكثرهم بذلك . فجهز إليه العساكر من المدينة وفيهم جماعة من أعيان الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس وغيره ، فسار بهم عبد الله ابن سعد إلى إفريقية . فلما وصلوا إلى برقة لقيهم عقبة بن نافع فيمن معه من المسلمين ، وكانوا بها ، وساروا إلى طرابلس الغرب ، فنهبوا من عندها من الروم . وسار نحو إفريقية وبث السرايا في كل ناحية ، وكان ملكهم اسمه جرجير ، وملكه من طرابلس إلى طنجة .

[٣ : ٣٥١] (سنة ٤١) . وفي هذه السنة استعمل عمرو بن العاص عقبة ابن نافع بن عبد قيس ، وهو ابن خالة عمرو ، على إفريقية فانتهى إلى لواتة ومزاتة ، فأطاعوا ثمّ كفروا ، فغزاهم من سنته فقتل وسبى ، ثمّ افتتح في سنة اثنتين وأربعين غدامس فقتل وسبى ، وفتح في سنة ثلاث وأربعين

كوراً من كور السودان ، وافتتح ودان وهي من برقة ، وافتتح عامة بلاد بربر ، وهو الذي اختطّ القيروان سنة خمسين .

ذكر ولاية ابن نافع إفريقية

[٣ : ٣٨٦] (سنة ٥٠) . قد ذكر أبو جعفر الطبري أن في هذه السنة ولي مسلمة بن مخلد إفريقية ، وأن عقبة ولي قبله إفريقية وبنى القيروان . والذي ذكره أهل التاريخ من المغاربة أن ولاية عقبة بن نافع إفريقية كانت هذه السنة ، وبنى القيروان ثمّ بقي إلى سنة خمس وخمسين ، ووليها مسلمة بن مخلد ، وهم أخبر ببلادهم وأنا أذكر ما أثبتوه في كتبهم ، قالوا : إن معاوية ابن أبي سفيان عزل معاوية بن حديج عن إفريقية حسب ، واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهري ، وكان مقيماً ببرقة وزويلة مذ فتحها أيام عمرو بن العاص ، وله في تلك البلاد جهاد وفتوح ، فلما استعمله معاوية سيّر إليه عشرة آلاف فارس ، فدخل إفريقية وانضاف إليه من أسلم من البربر ، فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد لأنهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام ، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتد من أسلم .

[٤ : ٩١] (حوادث سنة ٦٢) . فزحف عقبة إلى كسيلة ، فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثّر جمعه ، فلما رأى أبو المهاجر ذلك تمثل بقول أبي محجن الثقفي :

كفى حزَناً أنْ تمرَعَ الخيلُ بالقَنا ... وأُترَكَ مشدوداً عليّ وثـاقيـا
إذا قُمْتُ عنّاني الحديدُ وأُغلِقَتْ ... مصارعُ من دوني تصمُّ مناديـا

فبلغ عقبة ذلك فأطلقه ، فقال له : الحقْ بالمسلمين ، وقمْ بأمرهم ، وأنا أغتنم الشهادة ، فلم يفعل وقال : وأنا أيضاً أريد الشهادة ، فكسر عقبة

والمسلمون أجفان سيوفهم وتقدموا إلى البربر وقاتلوهم ، فقُتل المسلمون جميعهم ، لم يفلت منهم أحد ، وأسر محمد بن أوس الأنصاري في نفر يسير ، فخلّصهم صاحب قفصة ، وبعث بهم إلى القيروان . فعزم زهير بن قيس البلوي على القتال ، فخالفه حنش الصنعاني ، وعاد إلى مصر ، فتبعه أكثر الناس ، فاضطر زهير إلى العود معهم ، فسار إلى برقة وأقام بها .

ذكر ولاية زهير بن قيس إفريقية وقتله وقتل كسيلة

[٤ : ٩١] (حوادث سنة ٦٢) . لما ولي عبد الملك بن مروان ذكر عنده من بالقيروان من المسلمين ، وأشار عليه أصحابه بإنفاذ الجيوش إلى إفريقية لاستنقاذهم . فكتب إلى زهير بن قيس البلوي بولاية إفريقية ، وجهز له جيشاً كثيراً ، فسار سنة تسع وستين إلى إفريقية ، فبلغ خبره إلى كسيلة ، فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم ، وأحضر أشراف أصحابه ، وقال : قد رأيت أن أرحل إلى ممش فأنزلها ، فإن بالقيروان خلقاً كثيراً من المسلمين ، ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ، ونخاف إن قاتلنا زهيراً أن يثب هؤلاء من ورائنا ، فإذا نزلنا ممش أمناهم وقاتلنا زهيراً ، فإن ظفرنا بهم تبعناهم إلى طرابلس وقطعنا أثرهم من إفريقية ، وإن ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا . فأجابوه إلى ذلك ورحل إلى ممش ، وبلغ ذلك زهيراً فلم يدخل القيروان بل أقام ظاهرها ثلاثة أيام حتى أراح واستراح ، ورحل في طلب كسيلة . فلما قاربه نزل وعبى أصحابه وركب إليه ، فالتقى العسكران واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين ، حتى أيس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك أكثر النهار . ثمّ نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة وأصحابه وقتل هو وجماعة من أعيان أصحابه بممش . وتبع المسلمون البربر والروم فقتلوا من أدركوا

منهم فأكثروا . وفي هذه الوقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم وأشرافهم وعاد زهير إلى القيروان . ثمّ إن زهيراً رأى بإفريقية ملكاً عظيماً فأبى أن يقيم ، وقال : إنما قدمت للجهاد فأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك . وكان عابداً زاهداً فترك بالقيروان عسكراً وهم آمنون لخلو البلاد من عدو أو ذي شوكة ، ورحل في جمع كثير إلى مصر . وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة إلى إفريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها ، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية وأغاروا على برقة فأصابوا منها سبياً كثيراً ، وقتلوا ونهبوا ، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة فأخبر الخبر ، فأمر العسكر بالسرعة والجدّ في قتالهم ، ورحل هو ومن معه . وكان الروم خلقاً كثيراً ، فلما رآه المسلمون استغاثوا به ، فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال ، واشتد الأمر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيراً وأصحابه ، ولم ينج منهم أحد . وعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية . ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد ، ثمّ سيّر إلى إفريقية حسّان بن النعمان الغساني ، وسنذكره سنة أربع وسبعين إن شاء الله . وكان ينبغي أن نذكر ولاية زهير وقتله سنة تسع وستين ، وإنما ذكرناه ههنا ليتصل خبر كسيلة ومقتله ، فإن الحادثة واحدة وإذا تفرقت لم تُعلم حقيقتها .

[٤ : ٣٠١] (حوادث سنة ٧٤) . وسار حسان حتى فارق إفريقية ، وأقام وكتب إلى عبد الملك يعلمه الحال . فأمره عبد الملك بالمقام إلى أن يأتيه أمره . فأقام بعمل برقة خمس سنين ، فسمي ذلك المكان قصور حسان إلى الآن .

[٤ : ٣٠٢] (حوادث سنة ٧٤) . فلمّا ولي الوليد بن عبد الملك ولّى إفريقية عمّه عبد الله بن مروان ، فعزل عنها حساناً . واستعمل موسى بن نصير سنة تسع وثمانين على ما نذكره إن شاء الله . وقد ذكر الواقدي أن الكاهنة

خرجت غضباً لقتل كسيلة ، وملكت إفريقية جميعها ، وعملت بأهلها الأفاعيل القبيحة ، وظلمتهم الظلم الشنيع . ونال من بالقيروان من المسلمين أذى شديد بعد قتل زهير بن قيس سنة سبع وستين ، فاستعمل عبد الملك على إفريقية حسّان بن النعمان ، فسار في جيوش كثيرة وقصد الكاهنة . فاقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم جماعة كثيرة ، وعاد حسان منهزماً إلى نواحي برقة ، فأقام بها إلى سنة أربع وسبعين ، فسيّر إليه عبد الملك جيشاً كثيفاً ، وأمره بقصد الكاهنة ، فسار إليها وقاتلها فهزمها وقتلها وقتل أولادها ، وعاد إلى القيروان .

[٦ : ٦] (سنة ١٥٦) . ثم ثار في هذه السنة على يزيد بن حاتم أبو يحيى ابن فانوس الهواري بناحية طرابلس ، فاجتمع عليه كثير من البربر ، وكان بها عسكر ليزيد بن حاتم مع عامل البلد ، فخرج العامل والجيش معه ، فالتقوا على شاطىء البحر من أرض هوارة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أبو يحيى ابن فانوس وقُتل عامة أصحابه ، وسكن الناس بإفريقية وصفت ليزيد بن حاتم .

ذكر ولاية هرثمة بن أعين بلاد إفريقية

[٦ : ١٩٤] (سنة ١٧٧) . اتفق وصول يحيى بن موسى من عند الرشيد لمّا قصد العلاء ومن معه القيروان ، وكان سبب وصوله أنّ الرشيد بلغه ما صنع ابن الجارود وإفساده إفريقية ، فوجّه هرثمة بن أعين ومعه يحيى بن موسى لمحله عند أهل خراسان ، وأمره أن يقدم هرثمة ويلطف بابن الجارود ويستميله ليعاود الطاعة قبل وصول هرثمة . فقدم يحيى القيروان ، فجرى بينه وبين ابن الجارود كلام كثير ودفع إليه كتاب الرشيد ، فقال : أنا

على السمع والطاعة ، وقد قرب مني العلاء بن سعيد ومعه البربر ، فإن تركت القيروان وثب البربر فملكوها فأكون قد ضيعت بلاد أمير المؤمنين ، ولكني أخرج إلى العلاء فإن ظفر بي فشأنكم والثغور ، وإن ظفرت به انتظرت قدوم هرثمة فأسلم البلاد إليه وأسير إلى أمير المؤمنين . وكان قصده المغالطة فإن ظفر بالعلاء منع هرثمة عن البلاد ، فعلم يحيى ذلك وخلا بابن الفارسي وعاتبه على ترك الطاعة فاعتذر وحلف أنه عليها ، وبذل من نفسه المساعدة على ابن الجارود ، فسعى ابن الفارسي في إفساد حاله واستمال جماعة من أجناده فأجابوه وكثر جمعه وخرج إلى قتال ابن الجارود ، فقال ابن الجارود لرجل من أصحابه اسمه طالب : إذا تواقفنا فإنني سأدعو ابن الفارسي لأعاتبه فاقصده أنت وهو غافل فاقتله ، فأجابه إلى ذلك ، وتواقف العسكران ، ودعا ابن الجارود محمد بن الفارسي وكلمه ، وحمل طالب عليه وهو غافل فقتله ، وانهزم أصحابه وتوجه يحيى بن موسى إلى هرثمة بطرابلس . وأما العلاء بن سعيد فإنه لما علم الناس بقرب هرثمة منهم كثر جمعه وأقبلوا إليه من كل ناحية وسار إلى ابن الجارود . فعلم ابن الجارود أنه لا قوة له به فكتب إلى يحيى بن موسى يستدعيه ليسلم إليه القيروان ؛ فسار إليه في جند طرابلس في المحرم سنة تسع وسبعين ومائة . فلما وصل قابساً تلقاه عامة الجند ، وخرج ابن الجارود من القيروان مستهل صفر ، وكانت ولايته سبعة أشهر .

[٦ : ٩٦] وبنى [هرثمة] سور مدينة طرابلس مما يلي البحر .

ذكر ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية

[٦ : ١٠٨] (سنة ١٨١) . ولما توفي إبراهيم بن الأغلب ولي بعده ابنه عبد الله . وكان عبد الله غائباً بطرابلس قد حصره البربر على ما نذكره سنة

ست وتسعين ومائة ، فعهد إليه أبوه بالإمارة ، وأمر ابنه زيادة الله بن إبراهيم أن يبايع لأخيه عبد الله بالإمارة ، فكتب إلى أخيه بموت أبيه وبالإمارة ، ففارق طرابلس ووصل إلى القيروان . فاستقامت الأمور ولم يكن في أيامه شر ولا حرب ، وسكن الناس فعمرت البلاد ، وتوفي في ذي الحجة سنة إحدى ومائتين .

ذكر الفتنة بطرابلس الغرب

[٦ : ١٣٢] (سنة ١٨٩) . في هذه السنة كثر شغب أهل طرابلس الغرب على ولاتهم . وكان إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية قد استعمل عليهم عدة ولاة ، فكانوا يشكون من ولاتهم فيعزلهم ويولي غيرهم . فاستعمل عليهم هذه السنة سفيان بن المضاء ، وهي ولايته الرابعة ، فاتفق أهل البلد على إخراجه عنهم وإعادته إلى القيروان ، فزحفوا إليه فأخذ سلاحه وقاتلهم هو وجماعة ممّن معه ، فأخرجوه من داره فدخل المسجد الجامع فقاتلهم فيه ، فقتلوا أصحابه ثمّ آمنوه ، فخرج عنهم في شعبان من هذه السنة . فكانت ولايته سبعة وعشرين يوماً . واستعمل الجند الذين بطرابلس على البلد وأهله إبراهيم ابن سفيان التميمي . ثمّ وقع بين الأبناء بطرابلس أيضاً وبين قوم يُعرفون ببني أبي كنانة وبني يوسف حروب كثيرة وقتال ، حتّى فسدت طرابلس ، فبلغ ذلك إبراهيم بن الأغلب فأرسل جمعاً من الجند وأمرهم أن يحضروا الأبناء وبني أبي كنانة وبني يوسف ، فأحضروهم عنده بالقيروان في ذي الحجة . فلما قدموا عليه سألوه العفو عنهم في الذي فعلوه فعفا عنهم فعادوا إلى بلدهم .

ذكر الفتنة بإفريقية مع أهل طرابلس

[٦ : ١٨٧] (سنة ١٩٦) . في هذه السنة سار أبو عصام ومن وافقه على إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية ، فحاربهم إبراهيم فظفر بهم . وفيها استعمل ابن الأغلب ابنه عبد الله على طرابلس الغرب ، فلما قدم إليها ثار عليه الجند فحصروه في داره . ثمّ اصطلحوا على أن يخرج عنهم . فخرج عنهم ، فلم يبعد عن البلد حتّى اجتمع إليه كثير من الناس ووضع العطاء ، فأتاه البربر من كل ناحية ، وكان يعطي الفارس كل يوم أربعة دراهم ويعطي الراجل في اليوم درهمين ، فاجتمع له عدد كثير فزحف بهم إلى طرابلس . فخرج إليه الجند فاقتتلوا ، فانهزم جند طرابلس ودخل عبد الله المدينة وآمن الناس وأقام بها . ثمّ عزله أبوه واستعمل بعده سفيان بن المضاء ، فثارت هوارة بطرابلس فخرج الجند إليهم والتقوا واقتتلوا ، فهزم الجند إلى المدينة فتبعهم هوارة فخرج الجند هاربين إلى الأمير إبراهيم بن الأغلب ، ودخلوا المدينة فهدموا أسوارها . وبلغ ذلك إبراهيم بن الأغلب فسيّر إليه ابنه أبا العباس عبد الله في ثلاثة عشر ألف فارس فاقتتل هو والبربر فانهزم البربر وقُتل كثير منهم ، ودخل طرابلس وبنى سورها . وبلغ خبر هزيمة البربر إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وجمع البربر وحرضهم وأقبل بهم إلى طرابلس ، وهم جمع عظيم ، غضباً للبربر ونصرة لهم ، فنزلوا على طرابلس وحصروها ، فسد أبو العباس عبد الله بن إبراهيم باب زناتة وكان يقاتل من باب هوارة ، ولم يزل كذلك إلى أن توفي أبوه إبراهيم بن الأغلب وعهد بالإمارة لولده عبد الله ، فأخذ أخوه زيادة الله بن إبراهيم له العهود على الجند ، وسيّر الكتاب إلى أخيه عبد الله يخبره بموت أبيه وبالإمارة له . فأخذ البربر الرسول والكتاب ودفعوه إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فأمر بأن ينادي عبد الله بن إبراهيم

بموت أبيه [فصالحهم على أن يكون البلد] والبحر لعبد الله وما كان خارجاً عن ذلك يكون لعبد الوهاب . وسار عبد الله إلى القيروان فلقيه الناس وتسلم الأمر . وكانت أيامه أيام سكون ودعة .

[٦ : ٢٩٦] (سنة ٢١٧) . وفيها قدم الافشين من برقة فأقام بمصر .

ذكر الحرب بين البربر وابن الأغلب بإفريقية

[٧ : ٥٨] (سنة ٢٤٥) . في هذه السنة كانت بين البربر وعسكر أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب وقعة عظيمة في جمادى الآخرة ، وسببها أن بربر لهان امتنعوا على عامل طرابلس من أداء عشورهم وصدقاتهم وحاربوه فهزموه . فقصد لبدة فحصنها ، وسار إلى طرابلس ، فسيّر إليه أحمد ابن محمد الأمير جيشاً مع أخيه زيادة الله ، فانهزم البربر وقُتل منهم خلق كثير . وسيّر زيادة الله الخيل في آثارهم ، فقتل من أدرك منهم وأسر جماعة فضربت أعناقهم وأحرق ما كان في عسكرهم ، فأذعن البربر بعدها وأعطوا الرهن وأدوا طاعتهم .

ذكر عصيان أهل برقة

[٧ : ١٩٥] (سنة ٢٦١) . وفي هذه السنة عصى أهل برقة على أحمد ابن طولون ، وأخرجوا أميرهم محمد بن الفرج الفرغاني ، فبعث ابن طولون جيشاً عليهم غلامه لؤلؤ وأمره بالرفق بهم واستعمال اللين : فإن انقادوا وإلاّ السيف . فسار العسكر حتى نزلوا على برقة وحصروا أهلها وفعلوا ما أمرهم من اللين ، فطمع أهل برقة وخرجوا يوماً على بعض العسكر وهم نازلون على باب البلد ، فأوقعوا بهم وقتلوا منهم . فأرسل لؤلؤ إلى صاحبه أحمد

يعرفه الخبر ، فأمره بالجد في قتالهم ، فنصب عليهم المجانيق وجدّ في قتالهم ، وطلبوا الأمان فآمنهم ، ففتحوا له الباب فدخل البلد وقبض على جماعة من رؤسائهم ، وضربهم بالسياط ، وقطع أيدي بعضهم ، وأخذ معه جماعة منهم وعاد إلى مصر ، واستعمل على برقة عاملاً . ولما وصل لؤلؤ إلى مصر خلع عليه أحمد خلعة فيها طوقان ، فوضعها في رقبته وطيف بالأسرى في البلد .

[٧ : ٢٢٠] (سنة ٢٦٤) . فأتاه [أي ابن طولون] خبر ولده العباس ، وهو الذي استخلفه بمصر ، أنه قد عصى عليه وأخذ الأموال وسار إلى برقة مشاققاً لأبيه ، فلم يكترث بذلك ولم يتزعج له وثبت وقضى أشغاله وحفظ أطراف بلاده .

ذكر عصيان العباس بن أحمد بن طولون على أبيه

[٧ : ٢٢٤] (سنة ٢٦٥) . وفيها عصى العباس بن أحمد بن طولون على أبيه . وسبب ذلك أن أباه كان قد خرج إلى الشام واستخلف ابنه العباس ، كما ذكرناه ، فلمّا أبعد عن مصر حسّن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والانسراح إلى برقة ، ففعل ذلك وأتى برقة في ربيع الأول . وبلغ الخبر أباه فعاد إلى مصر وأرسل إلى ابنه ولاطفه واستعطفه فلم يرجع إليه ، وخاف من معه فأشاروا عليه بقصد إفريقية ، فسار إليها وكاتب وجوه البربر ، فأتاه بعضهم وامتنع بعضهم . وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يقول : إن أمير المؤمنين قد قلدني أمر إفريقية وأعمالها ، ورحل حتى أتى حصن لبدة ، ففتحه أهله له فعاملهم أسوأ معاملة ونهبهم ، فمضى أهل الحصن إلى الياس بن منصور النفوسي ، رئيس الإباضية هناك ، فاستغاثوا إليه ، فغضب لذلك وسار إلى العباس ليقاتله . وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل طرابلس جيشاً وأمره بقتال العباس ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً قاتل العباس

فيه بيده ، فلمّا كان الغد وافاهم الياس بن منصور الإباضي في اثني عشر ألفاً من الإباضية ، فاجتمع هو وعامل طرابلس على قتال العباس ، فقتل من أصحابه خلق كثير وانهزم أقبح هزيمة وكاد يؤسر ، فخلصه مولى له ونهبوا سواده وأكثر ما حمله من مصر وعاد إلى برقة أقبح عود . وشاع بمصر أن العباس انهزم فاغتمّ والده ، حتى ظهر عليه ، وسيّر إليه العساكر لما علم سلامته فقاتلوه قتالاً صبر فيه الفريقان ، فانهزم العباس ومن معه وكثر القتلى في أصحابه ، وأخذ العباس أسيراً وحمل إلى أبيه ، فحبسه في حجرة في داره إلى أن قدم باقي الأسرى من أصحابه .

[٨ : ٢٩] (حوادث ٢٩٦) . وانتهى المهدي وولده إلى مدينة طرابلس ، وتفرق من صحبه من التجار . وكان في صحبته أبو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي ، فقدمه المهدي إلى القيروان ببعض ما معه وأمره أن يلحق بكتامة . فلمّا وصل أبو العباس إلى القيروان وجد الخبر قد سبقه إلى زيادة الله بخبر المهدي ، فسأل عنه رفقته ، فأخبروا أنّه تخلّف بطرابلس وأن صاحبه أبا العباس بالقيروان . فأخذ أبو العباس وقرر فأنكر ، وقال : إنّما أنا رجل تاجر صحبت رجلاً في القفل ، فحبسه . وسمع المهدي فسار إلى قسطيلة ، ووصل كتاب زيادة الله إلى عامل طرابلس بأخذه ، وكان المهدي قد أهدى له واجتمع به ، فكتب العامل يخبره أنّه قد سار ولم يدركه .

[٨ : ٣٩] (سنة ٢٩٨) . ثم صار أبو العباس [أخو أبي عبد الله الشيعي] يقول : إن هذا ليس الذي كنا نعتقد طاعته وندعو إليه ، لأن المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات الباهرة . فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس ، منهم إنسان من كتامة يقال له شيخ المشايخ ، فواجه المهدي بذلك ، وقال : إن كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك ، فقتله المهدي . فخافه أبو عبد الله وعلم أن المهدي قد تغير عليه ، فاتفق هو وأخوه ومن معهما على

الاجتماع عند أبي زاكي ، وعزموا على قتل المهدي . واجتمع معهم قبائل كتامة إلا قليل منهم . وكان معهم رجل يُظهر أنّه منهم وينقل ما يجري إلى المهدي ، ودخلوا عليه مراراً فلم يجسروا على قتله . فاتفق أنّهم اجتمعوا ليلة عند أبي زاكي ، فلمّا أصبحوا لبس أبو عبد الله ثوبه مقلوباً ودخل على المهدي ، فرأى ثوبه فلم يعرفه به ، ثمّ دخل عليه ثلاثة أيام والقميص بحاله ، فقال له المهدي : ما هذا الأمر الذي أذهلك عن إصلاح ثوبك فهو مقلوب منذ ثلاثة أيام فعلمت أنّك ما نزعته ، فقال : ما علمت بذلك إلا ساعتي هذه ، قال : أين كنت البارحة والليالي قبلها ؟ فسكت أبو عبد الله ، فقال : أليس بت في دار أبي زاكي ؟ قال : بلى ، قال : وما الذي أخرجك من دارك ؟ قال : خفت ، قال : وهل يخاف الإنسان إلاّ من عدوه ؟ فعلم أن أمره ظهر للمهدي ، فخرج وأخبر أصحابه وخافوا وتخلّفوا عن الحضور ؛ فذكر ذلك للمهدي وعنده رجلٌ يقال له ابن القديم كان من جملة القوم وعنده أموال كثيرة من أموال زيادة الله ، فقال : يا مولاي إن شئت أتيتك بهم . ومضى فجاء بهم ، فعلم المهدي صحة ما قيل عنه ، فلاطفهم وفرقهم في البلاد ، وجعل أبا زاكي والياً على طرابلس ، وكتب إلى عاملها أن يقتله عند وصوله . فلمّا وصلها قتله عاملها وأرسل رأسه إلى المهدي ؛ فهرب ابن القديم ، فأُخذ ، فأمر المهدي بقتله فقتل .

[٨ : ٥٠] (سنة ٢٩٩) . وفيها خالف أهل طرابلس الغرب على المهدي عبيد الله العلوي ، فسيّر إليها عسكراً فحاصرها ، فلم يظفر بها . فسيّر إليها المهدي ابنه أبا القاسم في جمادى الآخرة سنة ثلاثمائة ، فحاصرها وصابرها واشتد في القتال ، فعدمت الأقوات في البلد حتى أكل أهلُه الميتة . ففتح البلد عنفاً ، وعفا عن أهله ، وأخذ أموالاً عظيمة من الذين أثاروا الخلاف ، وغرم أهل

البلد جميع ما أخرجه على عسكره ، وأخذ وجوه البلد رهاين عنده ، واستعمل عليها عاملاً ، وانصرف .

[٨ : ٥٣] (سنة ٣٠٠) . ودعا أحمد بن قرهب الناس إلى طاعة المقتدر ، فأجابوه إلى ذلك ، فخطب له بصقلية وقطع خطبة المهدي . وأخرج ابن قرهب جيشاً في البحر إلى ساحل إفريقية ، فلقوا هناك أسطول المهدي ومقدمه الحسن بن أبي خنزير ، فأحرقوا الأسطول وقتلوا الحسن وحملوا رأسه إلى ابن قرهب . وسار الأسطول الصقلي إلى مدينة سفاقس فخربوها ، وساروا إلى طرابلس فوجدوا فيها القائم ابن المهدي فعادوا .

[٨ : ٥٦] (سنة ٣٠١) . وفيها ورد الخبر إلى بغداذ ورسول من عامل برقة ، وهي من عمل مصر وما بعدها بأربعة فراسخ لمصر وما وراء ذلك من عمل المغرب ، بخبر خارجي خرج عليهم ، وأنهم ظفروا به وبعسكره ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . ووصل على يد الرسول من أنوفهم وآذانهم شيء كثير .

[٨ : ٦٣] (سنة ٣٠١) . في هذه السنة جهّز المهدي العساكر من إفريقية ، وسيرها مع ولده أبي القاسم إلى الديار المصرية : فساروا إلى برقة واستولوا عليها في ذي الحجة ، وساروا إلى مصر فملك الإسكندرية والفيوم .

[٨ : ٢١٢] (حوادث ٣٢٢) . وثار عليه [على أبي القاسم الشيعي] جماعة فتمكّن منهم ، وكان من أشدهم رجل يقال له ابن طالوت القرشي في ناحية طرابلس ، ويزعم أنّه ولد المهدي ؛ فقاموا معه ، وزحف إلى مدينة طرابلس فقاتله أهلها ، ثم تبين للبربر كذبه فقتلوه وحملوا رأسه إلى القائم .

[٨ : ٤٥٦] (سنة ٣٦١) . واستعمل على بلاد إفريقية يوسف بلكين ابن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري ، إلا أنّه لم يجعل له حكماً على جزيرة

صقلية ولا على مدينة طرابلس الغرب ولا على أجدابية وسرت ، وجعل على صقلية حسن بن علي بن أبي الحسين على ما قدمنا ذكره ، وجعل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي ، وكان أثيراً عنده ، وجعل على جباية أموال إفريقية زيادة الله بن القديم ، وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني وحسين ابن خلف الموصدي ، وأمرهم بالانقياد ليوسف بن زيري. فأقام بسردانية أربعة أشهر حتى فرغ من جميع ما يريد ، ثم رحل عنها ومعه يوسف بلكين وهو يوصيه بما يفعله. . . ورد يوسف إلى أعماله وسار إلى طرابلس ومعه جيوشه وحواشيه ، فهرب منه بها جمع من عسكره إلى جبال نفوسة ، فطلبهم فلم يقدر عليهم . ثم سار إلى مصر ، فلمّا وصل إلى برقة ومعه محمد بن هاني الشاعر الأندلسي قُتل غيلة ، فرُؤي ملقى على جانب البحر قتيلاً لا يُدرى من قتله ، وكان قتله أواخر رجب من سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، وكان من الشعراء المجيدين إلاّ أنّه غالى في مدح المعز حتى كفّره العلماء .

[٨ : ٤٨٩] (سنة ٣٦٥) . ولمّا استقرّ العزيز في الملك أطاعه العسكر ، فاجتمعوا عليه ، وكان هو يدبر الأمور منذ مات أبوه إلى أن أظهره ، ثم سيّر إلى الغرب دنانير عليها اسمه فُرّقت في الناس . وأقرّ يوسف بلكين على ولاية إفريقية وأضاف إليه ما كان أبوه استعمل عليه غير يوسف ، وهي طرابلس وسرت وأجدابية ، فاستعمل عليها يوسف عماله ، وعظم أمره حينئذ ، وأمن ناحية العزيز ، واستبد بالملك . وكان يظهر الطاعة مجاملة ومراقبة لا طائل وراءها .

[٩ : ٨٦] (أحداث سنة ٣٨٦) . ثم إن أرجوان بعد هذه الحادثة راسل بسيل ملك الروم وهادنه عشر سنين ، واستقامت الأمور على يد أرجوان . وسيّر أيضاً جيشاً إلى برقة وطرابلس الغرب ففتحها ، واستعمل عليها ...

الصقلي ، ونصح الحاكم وبالغ في ذلك ، ولازم خدمته فثقل مكانه على الحاكم ، فقتله سنة تسع وثمانين .

ذكر ملك الحاكم طرابلس الغرب وعودها إلى باديس

[٩ : ١٠٩] (أحداث ٣٨٩) . كان لباديس نائب بطرابلس الغرب ، فكاتب الحاكم بأمر الله بمصر وطلب أن يسلم إليه طرابلس ويلتحق به . فأرسل إليه الحاكم يانس الصقلي ، وكان خصيصاً بالحاكم وهو المتولي لبلاد برقة ، فوصل يانس وتسلم طرابلس وأقام بها وذلك سنة تسعين . فأرسل باديس إلى يانس يسأله عن سبب وصوله إلى طرابلس ، وقال له : إن كان الحاكم استعملك عليها فأرسل العهد لأقف عليه ، فقال يانس : إنّما أرسلني مُعيناً ونجدةً إن احتيج إليّ ، ومثلي لا يُطلب منه عهد بولاية لمحلي من دولة الحاكم . فسيّر إليه جيشاً ، فلقيهم يانس خارج طرابلس ، فقُتل في المعركة وانهزم أصحابه ودخلوا طرابلس فتحصنوا بها . وكان قد قُتل منهم في المعركة كثير ، ونزل عليهم الجيش وحصرهم ، وأرسلوا إلى الحاكم يستمدونه . فجهز جيشاً عليهم يحيى بن علي الأندلسي ، وسيّرهم إلى طرابلس ، وأطلق لهم مالاً على برقة . فلم يجد يحيى فيها مالاً ، فاختلّت حاله ، فسار إلى فلفل ، وكان قد دخل إلى طرابلس واستولى عليها ، فأقام معه فيها واستوطنها من ذلك الوقت . وسنذكر باقي خبرهم سنة ثلاث وتسعين .

ذكر محاصرة فلفل مدينة قابس وما كان منه

[٩ : ١٢٥] (سنة ٣٩٣) . في هذه السنة سار يحيى بن علي الأندلسي وفلفل من طرابلس إلى مدينة قابس في عسكر كثير ، فحصروها ثم رجعوا

إلى طرابلس . ولما رأى يحيى بن علي ما هو عليه من قلّة المال واختلال حاله وسوء مجاورة فلفل وأصحابه له رجع إلى مصر إلى الحاكم ، بعد أن أخذ فلفل وأصحابه خيولهم وما اختاروه من عددهم بين الشراء والغصب . فأراد الحاكم قتله ، ثم عفا عنه . وأقام فلفل بطرابلس إلى سنة أربعمائة فمرض وتوفّي . وولي أخوه وروا فأطاعته زناتة واستقام أمره ، فرحل باديس إلى طرابلس لحرب زناتة . فلمّا بلغهم رحيله فارقوها ، وملكها باديس ففرّ أهلها ، وأرسل وروا أخو فلفل إلى باديس يطلب أن يكون هو ومن معه من زناتة في أمانه ، ويدخلوه في طاعته ، ويجعلهم عمّالاً كسائر عمّاله . فأمنهم وأحسن إليهم وأعطاهم نفزاوة وقسطيلة على أن يرحلوا من أعمال طرابلس ، ففعلوا ذلك . ثم إن خزرون بن سعيد أخا وروا جاء إلى باديس ودخل في طاعته وفارق أخاه ، فأكرمه باديس وأحسن إليه . ثم إن أخاه خالف على باديس وسار إلى طرابلس فحصرها ، وسار إليه خزرون ليمنعه عن حصارها . وكان ذلك سنة ثلاث وأربعمائة .

ذكر خروج أبي ركوة على الحاكم بمصر

[٩ : ١٢٩] (سنة ٣٩٧) . في هذه السنة ظفر الحاكم بأبي ركوة ، ونحن نذكر هاهنا خبره أجمع . كان أبو ركوة اسمه الوليد ، وإنّما كني أبا ركوة لركوة كان يحملها في أسفاره سنّة الصوفية ، وهو من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان ، ويقرب في النسب من المؤيد هشام بن الحاكم الأموي صاحب الأندلس ، وإن المنصور بن أبي عامر لمّا استولى على المؤيد وتحكم عن الناس ، تتبع أهله ومن يصلح منهم للملك ، فطلبه فقتل البعض وهرب البعض . وكان أبو ركوة ممّن هرب وعمره حينئذ قد زاد على العشرين

سنة ، وقصد مصر ، وكتب الحديث . ثم سار إلى مكّة واليمن ، وعاد إلى مصر ودعا بها إلى القائم ، فأجابه بنو قرّة وغيرهم . وسبب استجابتهم أن الحاكم بأمر الله كان قد أسرف في مصر في قتل القواد وحبسهم وأخذ أموالهم ؛ وسائر القبائل معه في ضنك وضيق يودّون خروج الملك عن يده . وكان الحاكم في الوقت الذي دعا أبو ركوة بني قرّة قد آذاهم ، وحبس منهم جماعة من أعيانهم ، وقتل بعضهم . فلمّا دعاهم أبو ركوة انقادوا له ، وكان بين بني قرّة وبين زناتة حروب ودماء ؛ فاتفقوا على الصلح ومنع أنفسهم من الحاكم . فقصد بني قرّة وفتح كتّاباً يعلّم الصبيان الخط ، وتظاهر بالدين والنّسك وأمّهم في صلواتهم ، فشرع في دعوتهم إلى ما يريد فأجابوه وبايعوه واتفقوا عليه ، وعرّفهم حينئذٍ نفسه وذكر لهم أن عندهم في الكتب أنّه يملك مصر وغيرها ، ووعدهم ومنّاهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . فاجتمعت بنو قرّة وزناتة على بيعته ، وخاطبوه بالإمامة ؛ وكانوا بنواحي برقة . فلمّا سمع الوالي ببرقة خبره كتب إلى الحاكم ينهيه إليه ويستأذنه في قصدهم وإصلاحهم . فأمره بالكف عنهم واطّراحهم . ثم إن أبا ركوة جمعهم وسار إلى برقة ؛ واستقر بينهم أن يكون الثلث من الغنائم له والثلثان لبني قرّة وزناتة . فلمّا قاربها خرج إليه واليها فالتقوا فانهزم عسكر الحاكم وملك أبو ركوة برقة ، وقوي هو ومن معه بما أخذوا من الأموال والسلاح وغيره . ونادى بالكف عن الرعية والنهب وأظهر العدل وأمر بالمعروف . فلمّا وصل المنهزمون إلى الحاكم عظم عليه الأمر ، وأهمته نفسه وملكه ؛ وعاود الإحسان إلى الناس والكف عن أذاهم ، وندب عسكراً نحو خمسة آلاف فارس وسيّرهم وقدّم عليهم قائداً يُعرف بينال الطويل . وسيره فبلغ ذات الحمام ، وبينها وبين برقة مفازة فيها منزلان لا يلقى السالك الماء إلاّ في آبار عميقة بصعوبة وشدّة . فسير أبو ركوة قائداً في ألف فارس وأمرهم بالمسير إلى ينال

ومن معه ومطاردتهم قبل الوصول إلى المنزلين المذكورين ، وأمرهم إذا عادوا أن يغوروا الآبار . ففعلوا ذلك وعادوا . فحينئذٍ سار أبو ركوة في عساكره ولقيهم وقد خرجوا من المفازة على ضعف وعطش ، فقاتلهم فاشتد القتال ، فحمل ينال على عسكر أبي ركوة فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأبو ركوة واقف لم يحمل هو ولا عسكره ، فاستأمن إليه جماعة كثيرة من كتامة لما نالهم من الأذى والقتل من الحاكم وأخذوا الأمان لمن بقي من أصحابهم ، ولحقهم الباقون ، فحمل حينئذٍ بهم على عساكر الحاكم فانهزمت ، وأسر ينال وقتل ، وأسر أكثر عسكره ، وقتل منهم خلق كثير . وعاد إلى برقة وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ، وانتشر ذكره وعظمت هيبته . وأقام ببرقة وترددت سراياه إلى الصعيد وأرض مصر . وقام الحاكم من ذلك وقعد ، وسُقط في يده وندم على ما فرط ، وفرح جند مصر وأعيانها . وعلم الحاكم ذلك فاشتد قلقه وأظهر الاعتذار عن الذي فعله . وكتب الناس إلى أبي ركوة يستدعونه . وممّن كتب إليه الحسين بن جوهر المعروف بقائد القواد ، فسار حينئذٍ عن برقة إلى الصعيد . وعلم الحاكم فاشتد خوفه ، وبلغ الأمر به كل مبلغ ، وجمع عساكره واستشارهم ، وكتب إلى الشام يستدعي العساكر فجاءته ، وفرق الأموال والدواب والسلاح . وسيّرهم وهم اثنا عشر ألف رجل بين فارس وراجل ، سوى العرب ، واستعمل عليهم الفضل بن عبد الله . فلمّا قاربوا أبا ركوة لقيهم في عساكره ورام مناجزة المصريين ، والفضل يحاجزه ويدافع ويراسل أصحاب أبي ركوة يستميلهم ويبذل لهم الرغائب . فأجابه قائد كبير من بني قرّة يُعرف بالماضي ، وكان يطالعه بأخبار القوم وما هم عازمون ، فيدبر الفضل أمره على حسب ما يعلمه منه ، وضاقت الميرة على العساكر فاضطر الفضل إلى اللقاء ، فالتقوا واقتتلوا بكوم شريك ،

فقتل بين الفريقين قتلى كثيرة . ورأى الفضل من جمع أبي ركوة ما هاله وخاف المناجزة فعاد إلى عسكره . وراسل بنو قرّة العرب الذين في عسكر الحاكم يستدعونهم إليهم ويذكرونهم أعمال الحاكم بهم ، فأجابوهم واستقر الأمر أن يكون الشام للعرب ويصير لأبي ركوة ومن معه مصر . وتواعدوا ليلة يسير فيها أبو ركوة إلى الفضل فإذا وصل إليه انهزمت العرب ولا يبقى دون مصر مانع . فكتب الماضي إلى الفضل بذلك ، فلمّا كان ليلة الميعاد جمع الفضل رؤساء العرب ليفطروا عنده وأظهر أنّه صائم ، وطاولهم الحديث وتركهم في خيمه واعتزلهم ووصى أصحابه بالحذر . ورام العرب العود إلى خيامهم فعلّلهم وطاولهم ، ثم أحضر الطعام وأحضرهم فأكلوا وتحدثوا . وسيّر الفضل سرية إلى طريق أبي ركوة فلقوا العسكر الوارد من عنده فاقتتلوا . ووصل الخبر إلى العسكر وارتج . وأراد العرب الركوب فمنعهم ، وأرسل إلى أصحابهم من العرب فأمرهم بالركوب والقتال . ولم يكن عندهم علم بما فعل رؤساؤهم فركبوا واشتد القتال . ورأى بنو قرّة الأمر على خلاف ما قرروه ، ثم ركب الفضل ومعه رؤساء العرب وقد فاتهم ما عزموا عليه فباشروا الحرب وغاصوا فيها . وورد أبو ركوة مدداً لأصحابه فلمّا رآه الفضل رد أصحابه وعاد إلى المدافعة . وجهّز الحاكم عسكراً آخر ، أربعة آلاف فارس ، وعبروا إلى الجيزة ، فسمع أبو ركوة بهم فسار مجدّاً في عسكره ليوافقهم عند مصر . وضبط الطرق لئلاّ يسمع الفضل . ولم يمكن الماضي أن يكاتبه فساروا ، وأرسل إليه من الطريق يعرفه الخبر . وقطع أبو ركوة مسيرة خمس ليال في ليلتين وكبسوا عسكر الحاكم بالجيزة وقتلوا نحو ألف فارس . وخاف أهل مصر ، ولم يبرز الحاكم من قصره ، وأمر الحاكم من عنده من العساكر بالعبور إلى الجيزة . ورجع أبو ركوة فنزل عند الهرمين ، ثم انصرف من يومه . وكتب الحاكم إلى الفضل كتاباً ظاهراً يقول فيه : إن أبا ركوة

انهزم من عساكرنا ليقرأه على القواد ، وكتب إليه سرّاً يعلمه الحال . فأظهر الفضل البشارة بانهزام أبي ركوة تسكيناً للناس . ثم سار أبو ركوة إلى موضع يُعرف بالسبخة كثير الأشجار ، وتبعه الفضل وكمن أبو ركوة بين الأشجار ، وطارد عسكر الفضل ، ورجع عسكره القهقرى ليستجروا عسكر الفضل ويخرج الكمين عليهم . فلمّا رأى الكمناء رجوع عسكر أبي ركوة ظنّوها الهزيمة لا شك فيها ، فولّوا يتبعونهم ، وركبهم أصحاب الفضل وعلوهم بالسيوف ، فقُتل منهم ألوف كثيرة ، وانهزم أبو ركوة ومعه بنو قرة ، وساروا إلى حللهم . فلمّا بلغوها ثبطهم الماضي عنه ، فقالوا له : قد قاتلنا معك ولم يبق فينا قتال فخذ لنفسك وانج . فسار إلى بلد النوبة ، فلمّا بلغ إلى حصن يُعرف بحصن الجبل للنوبة أظهر أنّه رسول من الحاكم إلى ملكهم ، فقال له صاحب الحصن : الملك عليل ولا بد من استخراج أمره في مسيرك إليه . وبلغ الفضل الخبر فأرسل إلى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته ، فوكل به من يحفظه وأرسل إلى الملك بالحال . وكان ملك النوبة قد توفّي وملك ولده فأمر بأن يسلم إلى نائب الحاكم ، فتسلمه رسول الفضل وسار به ، فلقيه الفضل وأكرمه وأنزله في مضاربه ، وحمله إلى مصر ، فأشهر بها وطيف به . وكتب أبو ركوة إلى الحاكم رقعة يقول فيها : يا مولانا الذنوب عظيمة وأعظم منها عفوك ، والدماء حرام ما لم يحللها سخطك . وقد أحسنتَ وأسأتُ وما ظلمتُ إلاّ نفسي ، وسوء عملي أوبقني ، وأقول :

فررتُ فلَم يغنِ الفرار ومن يَكن ... مع الله لم يعجزه في الأرضِ هاربُ
ووالله ما كانَ الفـرارُ لحـاجةٍ ... سوى فزعِ الموتِ الذي أنا شارب
وقد قادني جرمي إليك برمّتي ... كما خرّ ميتٌ في رحى الموتِ سارب
وأجمعَ كلُّ الناسِ أنّكَ قاتــلي ... فيا ربَّ ظنَّ ربّهُ فيكَ كاذب
وما هُوَ إلاّ الانتقــام وينتهي ... وأخذكَ منهُ واجباً لكَ واجب

[١٤٤] ولمّا طيف به أُلبس طرطوراً وجُعِلَ خلفه قرد يصفعه كان معلّماً بذلك ، ثم حُمل إلى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب ، فتوفّي قبل وصوله ، فقُطع رأسه وصلب . وبالغ الحاكم في إكرام الفضل إلى حد أنّه عاده في مرضة مرضها دفعتين ، فاستعظم الناس ذلك ثم إنّه عمل في قتل الفضل لمّا عوفي فقتله .

[٩ : ١٧٨] (سنة ٤٠٦) . ثم مات وروا بن سعيد الزناتي المتغلب على ناحية طرابلس ، واختلفت كلمة زناتة فمالت فرقة مع أخيه خزرون وفرقة مع ابن وروا . فاشتد ذلك أيضاً على حماد ، وكان يطمع أن زناتة تغلب على بعض البلاد فيضطر باديس إلى الحركة إليهم .

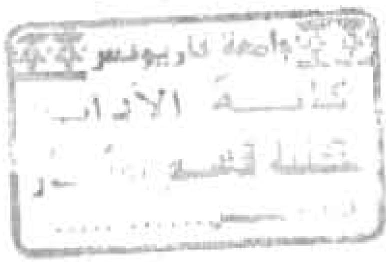
ذكر قتل المعز وزيره وصاحب جيشه

[٩ : ٢٣٠] (سنة ٤١٣) . في هذه السنة قتل المعز بن باديس ، صاحب إفريقية ، وزيره وصاحب جيشه أبا عبد الله محمد بن الحسن . وسبب ذلك أنّه أقام سبع سنين لم يحمل إلى المعز من الأموال شيئاً بل يجبيها ويرفعها عنده . وطمع طمعاً عظيماً لا يصبر على مثله بكثرة أتباعه ولأن أخاه عبد الله بأطرابلس الغرب مجاوراً لزناتة وهم أعداء دولته ، فصار المعز لا يكاتب ملكاً ولا يراسله إلا ويكتب أبو عبد الله معه عن نفسه ، فعظم ذلك على المعز وقتله .

[٩ : ٢٣١] (حوادث سنة ٤١٣) . ولمّا وصل خبر قتله إلى أخيه عبد الله بطرابلس بعث إلى زناتة فعاهدهم وأدخلهم مدينة طرابلس ، فقتلوا من كان فيها من صنهاجة وسائر الجيش وأخذوا المدينة . فلمّا سمع المعز ذلك أخذ أولاد عبد الله ونفراً من أهلهم فحبسهم ثم قتلهم بعد أيام ، لأن نساء المقتولين بطرابلس استغاثوا إلى المعز في قتلهم فقتلهم .

ذكر دخول العرب إلى إفريقية

[٩ : ٣٨٧] (سنة ٤٤٢) . في هذه السنة دخلت العرب إلى إفريقية . وسبب ذلك أن المعز بن باديس كان خطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسي وقطع خطبة المستنصر العلوي صاحب مصر سنة أربعين وأربعمائة . فلمّا فعل ذلك كتب إليه المستنصر العلوي يتهدّده ، فأغلظ المعز في الجواب . ثم إن المستنصر استوزر الحسن بن علي اليازوري ولم يكن من أهل الوزارة إنما كان من أهل التناءة والفلاحة ، فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله من الوزراء ، كان يخاطبهم بعبده ، فخاطب اليازوري بصنيعته . فعظم ذلك عليه فعاتبه ، فلم يرجع إلى ما يحب ، فأكثر الوقيعة في المعز وأغرى به المستنصر . وشرعوا في إرسال العرب إلى الغرب فأصلحوا بني زغبة ورياح ، وكان بينهم حروب وحقود ، وأعطوهم مالاً وأمروهم بقصد بلاد القيروان وملّكوهم كل ما يفتحونه ، ووعدوهم بالمدد والعدد . فدخلت العرب إلى إفريقية ، وكتب اليازوري إلى المعز : أمّا بعد ، فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولا ، وحملنا عليها رجالاً كهولا ، ليقضي الله أمراً كان مفعولا . فلمّا حلوا أرض برقة وما والاها وجدوا بلاداً كثيرة المرعى خالية من الأهل لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز . فأقامت العرب بها واستوطنتها وعاثوا في أطراف البلاد . وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم ، وكان المعز لمّا رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد وأوسع لهم في العطاء ، فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك . وكانت العرب زغبة قد ملكت مدينة طرابلس سنة ست وأربعين ، فتتابعت رياح الأثبج وبنو عدي إلى إفريقية ، وقطعوا السبيل ، وعاثوا في الأرض ، وأرادوا الوصول إلى القيروان .



ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم

[١٠ : ١٦٤] في هذه السنة غدر شاهملك التركي بيحيى بن تميم ابن المعز بن باديس وقبض عليه . وكان هذا شاهملك من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد الشرق ، فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منه ، فسار إلى مصر في مائة فارس ، فأكرمه الأفضل أمير الجيوش وأعطاه اقطاعاً ومالاً . ثم بلغه عنه أسباب أوجبت إخراجه من مصر . فخرج هو وأصحابه هاربين ، فاحتالوا حتى أخذوا سلاحاً وخيلاً وتوجّهوا إلى المغرب ، فوصلوا إلى طرابلس الغرب ، وأهل البلد كارهون لواليها ، فأدخلهم البلد وأخرجوا الوالي . وصار شاهملك أمير البلد . فسمع تميم الخبر فأرسل العساكر إليها فحصروها وضيّقوا على الترك ففتحوها . ووصل شاهملك معهم إلى المهدية .

ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب

[١١ : ٦٠] (سنة ٥٣٧) . وفي هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صقلية إلى طرابلس الغرب فحصروها . وسبب ذلك أن أهلها في أيام الأمير الحسن صاحب إفريقية لم يدخلوا أبداً في طاعته ولم يزالوا مخالفين مشاققين له ، قد قدّموا عليهم من بني مطروح مشايخ يدبرون أمرهم . فلمّا رآهم ملك صقلية كذلك جهز إليهم جيشاً في البحر ، فوصلوا إليهم تاسع ذي الحجة ، فنازلوا البلد وقاتلوه وعلقوا الكلاليب في سوره ونقبوه . فلمّا كان الغد وصل جماعة من العرب نجدةً لأهل البلد ، فقوي أهل طرابلس بهم ، فخرجوا إلى الأسطول ، فحملوا عليهم حملة منكرة ، فانهزموا هزيمة فاحشة وقُتل منهم خلق كثير . ولحق الباقون بالأسطول وتركوا الأسلحة والأثقال

والدواب والآلات ، فنهبها العرب وأهل البلد ؛ ورجع الفرنج إلى صقلية .

[١١ : ٦٦] (سنة ٥٣٩) . حكي أن بعض الحكماء بالأنساب والتواريخ قال : كان صاحب جزيرة صقلية قد أرسل سرية في البحر إلى طرابلس الغرب وتلك الأعمال ، فنهبوا وقتلوا . وكان بصقلية إنسان من العلماء المسلمين وهو من أهل الصلاح ، وكان صاحب صقلية يكرمه ويحترمه ويرجع إلى قوله ويقدمه على من عنده من القسوس والرهبان ، وكان أهل ولايته يقولون إنّه مسلم بهذا السبب . ففي بعض الأيام كان جالساً في منظرة تشرف على البحر وإذ قد أقبل مركب لطيف وأخبره من فيه أن عسكره دخل بلاد الإسلام وغنموا وقتلوا وظفروا ، وكان المسلم إلى جانبه وقد أغفى . فقال له الملك : يا فلان أما تسمع ما يقولون ؟ قال : لا ، قال : إنهم يخبرون بكذا وكذا ، أين كان محمد عن تلك البلاد وأهلها ؟ فقال له : كان غاب عنهم وشهد فتح الرها ، وقد فتحها المسلمون الآن . فضحك منه مَنْ كان هناك من الفرنج . فقال الملك : لا تضحكوا فوالله ما يقول إلا الحق . فبعد أيام وصلت الأخبار من فرنج الشام بفتحها .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب

[١١ : ٧٠] في هذه السنة ملك الفرنج ، لعنهم الله ، طرابلس الغرب . وسبب ذلك أن رجار ملك صقلية جهز أسطولاً كثيراً وسيره إلى طرابلس ، فأحاطوا بها برّاً وبحراً ثالث المحرم ، فخرج إليهم أهلها وأنشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيام . فلمّا كان اليوم الثالث سمع الفرنج بالمدينة ضجة عظيمة وخلت الأسوار من المقاتلة . وسبب ذلك أن أهل طرابلس

كانوا قبل وصول الفرنج بأيام يسيرة قد اختلفوا فأخرج طائفة منهم بني مطروح وقدموا عليهم رجلاً من الملثمين قدم يريد الحج ومعه جماعة فولّوه أمرهم ، فلمّا نازلهم الفرنج أعادت الطائفة الأخرى بني مطروح فوقع الحرب بين الطائفتين وخلت الأسوار ، فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلالم وطلعوا على السور ، واشتد القتال فملكت الفرنج المدينة عنوة وقهراً بالسيف ، فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم وأخذوا أموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجأ إلى البربر والعرب . فنودي بالأمان في كافة الناس ، فرجع كلّ من فرّ منها . وأقام الفرنج ستة أشهر حتى حصّنوا سورها وحفروا خنادقها ، ولما عادوا أخذوا رهائن أهلها ومعهم بنو مطروح والملثم ، ثم أعادوا رهائنهم وولوا عليها رجلاً من مطروح وأخذوا رهائنه وحده . واستقامت أمور المدينة وألزم أهل صقلية والسفن والروم بالسفر إليها فانعمرت سريعاً .

[١١ : ٨٥] (سنة ٥٤٣) . ولمّا استقرت أحوال البلاد سار جرجي في أسطول إلى قلعة إقليبية . وهي قلعة حصينة ، فلمّا وصل إليها سمعته العرب فاجتمعوا إليها ، ونزل إليهم الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم خلق كثير ، فرجعوا خاسرين إلى المهدية . وصار للفرنج من طرابلس الغرب إلى قريب تونس ومن المغرب إلى دون القيروان ، والله أعلم .

ذكر الحرب بين العرب وعساكر عبد المؤمن

[١١ : ١٢٢] (سنة ٥٤٨) . في هذه السنة في صفر كانت الحرب بين عسكر عبد المؤمن والعرب عند مدينة شطيف . وسبب ذلك أن العرب ، وهم بنو هلال والاثبج وعدي ورياح وزعب وغيرهم من العرب ، لما ملك عبد المؤمن بلاد بني حماد اجتمعوا من أرض طرابلس إلى أقصى المغرب ،

وقالوا : إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب وليس الرأي إلاّ إلقاء الجد معه وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن . وتحالفوا على التعاون والتضافر وأن لا يخون بعضهم بعضاً ، وعزموا على لقائه بالرجال والأهل والمال ليقاتلوه قتال الحريم . واتصل الخبر بالملك رجار الفرنجي صاحب صقلية فأرسل إلى أمراء العرب ، وهم محرز بن زياد وجبارة بن كامل وحسن ابن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم ، يحثهم على لقاء عبد المؤمن ؛ ويعرض عليهم أن يرسل إليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم ، على شرط أن يرسلوا إليه الرهائن ، فشكروه وقالوا : ما بنا حاجة إلى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين . وساروا في عدد لا يحصى ، وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية إلى بلاد المغرب ، فلمّا بلغه خبرهم جهز من الموحدين ما يزيد على ثلاثين ألف فارس ، واستعمل عليهم عبد الله بن عمر الهنتاتي وسعد الله بن يحيى . وكان العرب أضعافهم فاستجرهم الموحدون وتبعهم العرب إلى أن وصلوا إلى أرض شطيف بين جبال ، فحمل عليهم عسكر عبد المؤمن والعرب على غير أهبة ، والتقى الجمعان واقتتلوا أشد قتال وأعظمه فانجلت المعركة عن انهزام العرب ونصرة الموحدين . وترك العرب جميع ما لهم من أهل ومال وأثاث ونعم ؛ فأخذ الموحدون جميع ذلك ؛ وعاد الجيش إلى عبد المؤمن بجميعه ، فقسم جميع الأموال على عسكره ؛ وترك النساء والأولاد تحت الاحتياط ووكل بهم من الخدم الخصيان من يخدمهم ويقوم بحوائجهم وأمر بصيانتهم ، فلمّا وصلوا معه إلى مراكش أنزلهم في المساكن الفسيحة وأجرى لهم النفقات الواسعة ، وأمر عبد المؤمن ابنه محمداً أن يكاتب أمراء العرب ويعلمهم أن نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصيانة وأنّه قد بذل لهم الأمان والكرامة . فلمّا وصل كتاب محمد إلى العرب سارعوا إلى المسير إلى مراكش ، فلمّا وصلوا إليها أعطاهم عبد المؤمن نساءهم وأولادهم وأحسن

إليهم وأعطاهم أموالاً جزيلة ؛ فاسترق قلوبهم بذلك وأقاموا عنده ، وكان بهم حفيّاً واستعان بهم على ولاية ابنه محمد للعهد ، على ما نذكره سنة إحدى وخمسين .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

ذكر عصيان الجزائر وإفريقية على ملك الفرنج بصقلية وما كان منهم

[١١ : ١٣٤] قد ذكرنا سنة ثمان وأربعين وخمسمائة موت رجار ملك صقلية وملك ولده غليالم وأنّه كان فاسد التدبير فخرج عن حكمه عدة من حصون صقلية ، فلما كان هذه السنة قوي طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة وأظهروا الخلاف عليه ، وخالف عليه أهل إفريقية . فأول من أظهر الخلاف عليه عمر بن أبي الحسين الفرياني بمدينة سفاقس ، وكان رجار قد استعمل عليها لما فتحها أباه أبا الحسين ، وكان من العلماء الصالحين ، فأظهر العجز والضعف ، وقال : استعمل ولدي ، فاستعمله ، وأخذ أباه رهينة إلى صقلية ، فلمّا أراد المسير إليها قال لولده عمر : إنّني كبير السن وقد قارب أجلي ، فمتى أمكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر في أنّني أُقتل ، واحسب أنّي قد متّ ، فلمّا وجد هذه الفرصة دعا أهل المدينة إلى الخلاف ، وقال : يطلع جماعة منكم إلى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلّهم ، فقالوا له : إن سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه ، قال : هو أمرني بهذا ، وإذا قتل بالشيخ ألوف من الأعداء فما مات . فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم ، وكان ذلك أول سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . ثم اتبعه يحيى بن مطروح

بطرابلس وبعدهما محمد بن رشيد بقابس ، وسار عسكر عبد المؤمن إلى بونة فملكها . وخرج جميع إفريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهدية وسوسة .

[١١ : ١٦٠] (سنة ٥٥٤) . وفي مدته أطاع سفاقس عبد المؤمن ومدينة طرابلس وجبال نفوسة وقصور إفريقية وما والاها ، وفتح مدينة قابس بالسيف وسير ابنه أبا محمد عبد الله في جيش ففتح بلاداً .

ذكر وصول الترك إلى إفريقية وملكهم طرابلس وغيرها

[١١ : ٢٥٦] (سنة ٥٦٨) . في هذه السنة سار طائفة من الترك من ديار مصر مع قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين يوسف ابن أيوب إلى جبال نفوسة ، واجتمع به مسعود بن زمام المعروف بمسعود البلاد ، وهو من أعيان الأمراء هناك ، وكان خارجاً عن طاعة عبد المؤمن فاتفقا وكثر جمعهما ، ونزلا على طرابلس الغرب فحاصراها وضيقا على أهلها ، ثم فتحت فاستولى عليها قراقوش وأسكن أهله قصرها ، وملك كثيراً من بلاد إفريقية ما خلا المهدية وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع . وصار مع قراقوش عسكر كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب ، بما جبلت عليه من التخريب والنهب والإفساد بقطع الأشجار والثمار وغير ذلك ، فجمع بها أموالاً عظيمة وجعلها بمدينة قابس . وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع إفريقية لبعد أبي يعقوب ابن عبد المؤمن صاحبها عنها ، وكان ما سنذكره إن شاء الله .

المغرب لابن سعيد

[٣٩] إن عمرو بن العاص سمع يقول : قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر علي عهد ولا عقد إلا أهل انطابلس ، فإن لهم عهداً بوفائه .

[٤٤] قال : وكان البربر بفلسطين ، وكان ملكهم جالوت ، فلمّا قاتله داود عليه السلام فقتله ، خرج البربر متوجهين إلى المغرب ، حتّى انتهوا إلى لوبية ومراقية ، وهما كورتان من كور مصر الغربية ممّا يشرب من ماء السماء ، ولا يناله النيل ، فتفرقوا هنالك ، فتقدمت زناتة ومغيلة إلى المغرب وسكنوا الجبال ، وتقدمت لواتة فسكنت أرض انطابلس وهي برقة ، وتفرقت وانتشرت حتّى بلغوا السوس ونزلت هوارة مدينة لبدة ، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرة ، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك ، فسار عمرو بن العاص في الخيل حتّى قدم برقة ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية ، على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم . وعن أبي العالية الحضرمي قال : سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول : لأهل انطابلس عهد يوفى لهم ، قال : ولم يكن يومئذ يدخل برقة جابي خراج ، إنّما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها .

ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتّى بلغ زويلة ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين . ثم قال : سار عمرو بن العاص حتّى نزل اطرابلس في سنة ثلاث وعشرين ، فحاصرها شهراً ، لا يقدر منهم على شيء إلى أن وجد فرصة من جهة البحر ، فدخلها عليهم ، وغنم ما كان في المدينة ، فكتب عمرو إلى عمر : إن الله عز وجل قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها

وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل .

[٨٠] وردّ بارجوخ إلى أحمد بن طولون الأعمال الخارجة عن معونة مصر إلى يده فتسلم من إسحاق بن دينار الإسكندرية ومن أحمد بن عيسى الصعيدي برقة .

[١٢٠] ولم تزل بطانة العباس تحرض العباس على أبيه خوفاً من وقعهم في يديه حتى كتب إليه كتباً غليظة ، ودعته نفسه للخروج إلى إفريقية ، ورأى أن ما معه من الأموال والعدة يقيمه في الوصول إليها ، فحسن له أصحابه ذلك ، لتبعد نجعته عن أبيه ، وصغروا عنده إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن الأغلب صاحب إفريقية ؛ [وكاتب وجوه البربر فتسرعت إليه جماعة كبيرة العدة ، صغيرة العُدة] ، وفرق فيهم صدراً ممّا كان معه من المال وتخلّف عنه أكثر القبائل ، وقالوا : بيننا وبين قوم ثار ، ولا نأمن عند نزوحنا سوء الخلافة في أموالنا وحرمنا ، فرأى أن من حصل معه يكفيه وكتب إلى إبراهيم بن أحمد يخبره أن كتب المعتمد وردت عليه بتقليد إفريقية ، وأنّه قد أقره فيها ، ويأمره بإقامة الدعوة له ؛ وخرج بأكثر تلك الأموال العظيمة ، والنعم والذخائر معه ، إلى أن انتهى إلى حصن يُعرف بلبدة ففتحه أهله له ، وخرج إليه عامل ابن الأغلب ، فأطلق العباس لأصحابه نهب الحصن ، وقتلوا الرجال ، وفضحوا النساء ، وذاع الخبر ، واستغاثت طائفة من أهل هذا الحصن إلى الياس بن منصور النفوسي رئيس الإباضية ، فدخله منه غضب شديد ، وحميّة غليظة ، وكان العباس قد كتب إلى النفوسي أن أقبل بسمعك وطاعتك ، وإلا وطئت بلدك بخيلي ورجلي ، وأبحت حماك ، وهذا معتزل ذو منعة ونجدة وله أهل كثير عددهم ، ولم يؤد إلى ابن الأغلب طاعة قط ، فقال الياس بن منصور النفوسي : قل لهذا الغلام : أما إنّك أقرب الكفار

مني ، وأحقهم بمجاهدتي ، فقد بلغني من قبيح أفعالك ما لا يسعني التخلف معه عن جهادك ، وأنا على أثر رسالتي إليك .

وقد كان إبراهيم بن الأغلب أنفذ إلى محمد بن قرهب عامل طرابلس بخادم يُعرف ببلاغ في جمع من أهل القيروان كثير ، فكان القتال بينهم مهاوشة وانصرفوا على غير مناجزة ، وصبح الناس الياس بن منصور النفوسي في اثني عشر ألف مقاتل مستنصرين ، وزحم الخادم من خلفه فأطبق الجيشان عليه ، فقتل أكثر من كان معه ، واستبيحت أمواله وذخائره ، وما كان حمله معه من مصر من السلاح والخيل ، وأفلت بحشاشة نفسه ، وكان معه أيمن الأسود مقيداً ، فخلصه تقييده من القتل ، لأنهم علموا أنه حرب له ، ورجع العباس على برقة .

وكان أطلق أحمد بن محمد الواسطي بضمان جماعة من وجوه برقة إحضاره متى شاء ، فكان في أيديهم مكرماً ، فلمّا رجع بتلك الحال أعاده إلى حبسه ، وتمسك بمن بقي معه من رجال على شيء كان خزنه قبل خروجه إلى إفريقية ، وشاع بالفسطاط أن العباس قتل [فتيين من حضر] أحمد بن طولون جزعه بما تأدى إليه ، ولم يتهيأ له التصنع فيه ، وكان الناس يرون غمّه ممّا جنى عليه العباس ، وأنّه لم يكتف بما حمله من مصر حتى أوقع أثراً غليظاً بينه وبين إبراهيم بن الأغلب والياس بن منصور النفوسي ، وأنّه إن حاول الانتصار منهما أجحف بنفسه ، وإن أمسك عنهما نقص موقعه ، وبدت عورة من عوراته ، [فلم يزل مغموماً مهموماً] حتى صحت عنده سلامته .

وحدثني أحمد بن أبي يعقوب — وكان يتولى خراج برقة من قبل أحمد ابن طولون في الوقت الذي خرج فيه العباس فأقرّه عليه — قال : ما عاشرت رئيساً قط أجرأ على نفس ونقمة من العباس ، ولا أقسى قلباً عند استرحام منه .

[١٢٢] وأوقع أحمد بن محمد الحيلة على العباس حتى هرب من حبسه ،

وقد بدرت منه الكلمة التي استحل أخذه بها ، فيستتر بستر الله ، وينصرف بما سلم له ؟!

[٢٥١] ذكر القرطي : أنّه [أي ابن جدار] كان مختصّاً بالعباس بن أحمد بن طولون الذي ثار بمصر على أبيه . فلمّا استبد بالسلطان استوزره ، وخرج معه إلى برقة ، فظفر به أحمد بن طولون حين سيق له ابنه أسيراً ، وقتل ابن جدار شرّ قتلة .

مفرج الكروب لابن واصل الحموي

[١ : ٢٣٥] (سنة ٥٦٨) . من كتاب كتب به نور الدين إلى الخليفة المستضيء بالله ، « ومن جملة حسنات هذه الأيام الزاهرة ما تيسر في هذه النوبة من افتتاح بعض بلاد النوبة ، والوصول إلى مواضع لم تطرقها سنابك الخيل الإسلامية في العصور الخالية ، وكذلك استولى عساكر مصر أيضاً على برقة وحصونها ، وتحكموا في محكم معاقلها ومصونها ، حتى بلغوا إلى حدود المغرب ، فظفروا من السؤل بعنقاء مغرب » .

[١ : ٢٣٦] وفي هذه السنة (٥٦٨) مضى قراقوش – غلام الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب – إلى المغرب في طائفة من الترك وانضم إليه جماعة من العرب واستولى على أطرابلس الغرب وكثير من بلاد إفريقية ، وانضم إلى قراقوش مسعود بن زمام – وهو من أعيان العرب به هناك – وكان خارجاً عن طاعة عبد المؤمن بن علي خليفة المغرب وأولاده ، فاتفقا وكثر جمعهما ، وحكم قراقوش على تلك البلاد وصار معه عسكر كثير ، وجرت بينهم وبين المغاربة حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها ، وقد ذكرتها مفصلة في التاريخ الكبير .

البيان المغرب لابن عذاري

[٢١] ثم رحل زهير [البلوي] إلى المشرق في خلق عظيم ؛ فبلغ الروم خروجه من إفريقية إلى برقة ، فأمكنهم ما يريدون ، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة ، وقوة عظيمة ، فأغاروا على برقة ، فأصابوا فيها سبياً كثيراً ، وقتلوا ونهبوا . ووافق ذلك قدوم عسكر زهير إلى برقة من إفريقية ؛ فأخبر زهير بخبرهم ، فأمر عسكره بالمسير إلى الساحل ، طمعاً بأن يدرك سبي المسلمين فيستنقذهم . فأشرف على الروم ، وإذا هم في خلق عظيم . فلم يقدر على الرجوع ، وقد استغاث به المسلمون وصاحوا ، والروم يُدخلونهم المراكب . فنادى بأصحابه : النزول ؛ فنزلوا . وكانوا أشراف العابدين ، ورؤساء العرب المجاهدين ؛ أكثرهم من التابعين . فنزل الروم إليهم وتلقوهم بعدد عظيم . والتحم القتال وتكاثرت عليهم الروم ، فقتل زهير (رضه) وأشراف من كان معه من العرب .

[٢٦] فكتب حسان إلى أمير المؤمنين عبد الملك يخبره بذلك وأن أمم المغرب ليس لها غاية ، ولا يقف أحد منها على نهاية ؛ كلّما بادت أمّة خلفتها أمم ؛ وهم من الحفل والكثرة كسائمة النعم . فعاد له جواب أمير المؤمنين يأمره أن يقيم حيثما وافاه الجواب ، فورد عليه في عمل برقة ، فأقام بها وبنى هنالك قصوراً تسمى إلى الآن بقصور حسان .

[٥٦] لما بلغ هشام بن عبد الملك انتقاض البلاد الغربية والأندلسية بعث كلثوم بن عياض هذا إلى إفريقية ، وعقد له على اثني عشر ألفاً من أهل الشام . وكتب إلى والي كل بلد أن يخرج معه . فصارت عمال مصر وأطرابلس وبرقة معه حتى قدم إفريقية في رمضان سنة ١٢٢ .

[٦٢] لما استقر حنظلة بالقيروان لم يمكث فيها إلا يسيراً ، حتى زحف إليه عكاشة الصفري الخارجي في جمع عظيم من البربر . وزحف أيضاً إلى حنظلة عبد الواحد بن يزيد الهواري في عدد عظيم . وكانا افترقا من الزاب . فأخذ عكاشة على طريق مجانة ، فنزل بالقيروان ، وأخذ عبد الواحد على طريق الجبال وعلى مقدمته أبو قرّة المغيلي . فرأى حنظلة أن يعجل قتال عكاشة قبل أن يجتمعا عليه . فزحف إليه بجماعة أهل القيروان ، فالتقوا بالقرن ، وكان بينهم قتال شديد ، فهزم الله عكاشة ومن معه ، وقتل من البربر ما لا يحصى كثرة . وقيل إن حنظلة لمّا رأى ما دهمه من البربر قال لأصحابه : نستمد أمير المؤمنين ! فقال له شاب : بل نخرج إلى عدونا حتى يحكم الله بيننا ! فعزم حنظلة وخرج ، فهزم الله عكاشة في خبر طويل .

قال عبد الله بن أبي حسان : فأخرج حنظلة كل ما كان في الخزائن من السلاح ، وأحضر الأموال ، ونادى في الناس . فأول من دخل عليه رجل من يحصب ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال : نصر بن ينعم ! قال : فتبسم حنظلة كالمكذب له وقال له : بالله ! اصْدقْ ! فقال : والله ! ما لي اسم غير ما قلت لك ! فتفاءل به وقال : نصر وفتح ! فأعطى الناس ، وخرج لمقابلة الصفرية ، وهم الخوارج . فكان بينه وبينهم حروب يطول ذكرها ، فالتحم فيها القتال ، وتداعى الأبطال ، ولزم الرجالة الأرض ، فلا تسمع إلا وقع الحديد على الحديد ، وتقابض الأيدي بالأيدي . وكانت كرة على ميسرة العرب ، ثم انكسرت ميسرة البربر وقلبهم ، ثم كرت ميسرة العرب على ميمنة البربر ، فكانت الهزيمة . وسيق إلى حنظلة رأس عبد الواحد ، وأخذ عكاشة أسيراً ، فأتي به إلى حنظلة ، فقتله وخرّ لله ساجداً .

وقيل : ما علم في الأرض مقتلة كانت أعظم منها . وأراد حنظلة أن يحصي من قتل ، وأمر بعدهم ، فما قدر على ذلك . وأمر بقصب ،

فطرح قصبة على كل قتيل . ثم جمعت القصب ، وعدت ، فكانت القتلى مائة ألف وثمانين ألفاً . وكانوا صفرية يستحلون النساء وسفك الدماء .

[٨١] ثم قام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، وكان ثائراً متغلباً ، خرج من أطرابلس بعدما كان استولى عليها ، يريد القيروان لقتال ورفجومة ، فالتقى معهم وقاتلهم . ثم هزمهم وتبعهم يقتلهم . ثم انصرف إلى القيروان ، فولى عليها عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت بعد ذلك . ومضى أبو الخطاب إلى أطرابلس .

[٨٢] وفي سنة ١٤١ كـان خروج أبي الخطاب إلى القيروان لقتال ورفجومة ، فخرج إليه واليها عبد الملك ، فخذله أهل القيروان وانهزموا عنه ، فقتل عبد الملك وأصحابه في صفر . وكان تغلب ورفجومة على القيروان سنة وشهرين .

وفي سنة ١٤٢ أقبل أبو الأحوص العجلي بالمسودة ، فخرج إليه أبو الخطاب ، فالتقوا بمغمداس على شاطىء البحر . فانهزم أبو الأحوص وأصحابه ، واحتوى أبو الخطاب على عسكرهم . ورجع أبو الأحوص إلى مصر ، وانصرف أبو الخطاب إلى أطرابلس ، وكانت إفريقية كلها في يديه إلى أن وجه المنصور ابن الأشعث .

وفي سنة ١٤٣ اتصل بأبي الخطاب أن ابن الأشعث يريد القيروان ، فخرج إليه في زهاء مائتي ألف ، فعسكر بهم في أرض سرت . واتصل ذلك بمحمد بن الأشعث .

[٨٣] وفي سنة ١٤٤ ولي إفريقية محمد بن الأشعث الخزاعي .

لما غلبت الصفرية على إفريقية ، بعد أن قتلت ورفجومة من قتلت من قريش وغيرهم ، خرج جماعة من عربها إلى المنصور يستنصرون به على البربر ، ويصفون له ما نالهم منهم . فولى أبو جعفر ابن الأشعث مصر ،

فوجّه أبا الأحوص ، فهزمته البربر كما تقدم . فكتب أبو جعفر إلى ابن الأشعث أن يسير بنفسه ، فخرج إلى إفريقية في أربعين ألفاً عليها ثمانية وعشرون قائداً . فالتقوا بأبي الخطاب ، وكان قد جمع أصحابه في كل ناحية ، ومضوا في عدد عظيم . فضاق ذرع ابن الأشعث بلقاء أبي الخطاب لما بلغه كثرة جيوشه . ثم إن زناتة وهوارة تنازعتا فيما بينهما ، واتهمت زناتة أبا الخطاب في ميله مع هوارة ، ففارقه جماعة منهم . وبلغ ذلك ابن الأشعث ، فسر به ورحل إليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم البربر . وقُتل أصحاب أبي الخطاب وأبو الخطاب . فظن ابن الأشعث ألا بقية بعد أبي الخطاب . ثم طلع عليهم أبو هريرة الزناتي في ستة عشر ألفاً ، فتلقاهم ابن الأشعث ، فهزمهم وقتل بعضهم ، وذلك في ربيع الأول من السنة . ووجّه ابن الأشعث برأس أبي الخطاب إلى بغداد .

[٨٤] وفي سنة ١٤٥ اشتغل ابن الأشعث ببناء سور القيروان . وأخصبت بلاد إفريقية . وكان قد بعث إلى زويلة وودان ، فافتتحهما وقتل من بهما من الإباضية . وقتل عبد الله بن حيان الإباضي ، وكان رأس أهل زويلة . وسكّن ابن الأشعث أحوال أهل إفريقية في هذه السنة ، فلم تكن بها حركة له .

[٨٨] ثم ولي إفريقية عمرو بن حفص بن قبيصة سنة ١٥١ . وكان شجاعاً بطلاً . وسبب ولايته أن أبا جعفر ، لما بلغه قتل الأغلب بن سالم ، وجهه في نحو خمسمائة فارس . فأقام بالقيروان ثلاث سنين وأشهراً من ولايته ، والأمور له مستقيمة . ثم سار إلى الزاب ، واستخلف حبيب بن حبيب بن يزيد بن المهلب . فخلت إفريقية من الجند ، وثار بها البربر . فخرج إليهم حبيب والتقى معهم ، فهزموه وهزموا عسكر أطرابلس معه . فاشتدت الفتنة بإفريقية واشتعلت نارها . وأتاها أمراء القبائل من كل فج ، واجتمعوا في اثني عشر عسكراً ، وتوجهوا إلى الزاب وليس مع عمرو بن حفص إلا

خمسة عشر ألفاً وخمسمائة . وكان أمراء المغرب في ذلك الوقت ورؤساؤهم أبو قرة الصفري في أربعين ألفاً ، وعبد الرحمن بن رستم الإباضي في خمسة عشر ألفاً ، وأبو حاتم في عدد كثير ، وعاصم السدراتي في عدد كثير : قيل في ستة آلاف ، والمصور الزناتي في عشرة آلاف ، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري في ألفين سوى جماعات أخرى .

[٩٠] ولمّا دخل أبو حاتم القيروان أخرج أكثر أهلها إلى الزاب . ثم بلغه قدوم يزيد بن حاتم فتوجه إلى أطرابلس للقائه ، واستخلف على القيروان عبد العزيز المعافري . فقام عليه عمر بن عثمان وقتل أصحاب أبي حاتم . فزحف إليهم أبو حاتم إلى القيروان ، فاقتتل معهم . وتوجّه أبو عثمان إلى تونس ، ورجع أبو حاتم إلى أطرابلس حين بلغه قدوم يزيد بن حاتم . فقيل إنّه كان بين العرب والبربر ، من لدن قاتلهم عمرو بن حفص إلى انقضاء أمرهم ، ثلاثمائة وخمس وسبعون وقيعة .

[٩٢] وفيها [١٥٣هـ] ثارت البربر بأطرابلس ، وقدموا أبا حاتم الإباضي ، واسمه يعقوب بن لبيب .

وفيها [١٥٥هـ] انصرف أبو حاتم الإباضي من أطرابلس إلى القيروان ثم قدم يزيد .

[٩٤] وقدم يزيد على إفريقية ومعه من كل جند من الشام والعراق وخراسان ، فنزل أولاً أطرابلس ، وسار إليه أبو حاتم ، وزحف إليه يزيد واقتتل معه حتى قتل أبو حاتم وكثير من أصحابه وهزم سائرهم ، فاتبعوا ، وقتل من أدرك منهم . واستعمل يزيد على أطرابلس سعيد بن شداد ، وحينئذ نهض إلى القيروان ، فدخلها يوم الاثنين لعشر بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وثار على يزيد بن حاتم أبو يحيى ابن قرياس الهواري بناحية أطرابلس ، واجتمع إليه كثير من البربر . وكان بها عبد الله بن السمط الكندي قائداً

ليزيد ، فالتقوا على شاطىء البحر ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم أبو يحيى وقُتل عامة أصحابه . وتهدنت إفريقية ليزيد بن حاتم وضبطها .

[١٢٠] وفي سنة ١٧٩ كتب ابن الجارود المتغلب على إفريقية إلى يحيى بن موسى ، وهو بأطرابلس : أن اقدم القيروان ، فإنّي مسلم إليك سلطانها . فخرج يحيى بن موسى بمن معه في محرم ، فلمّا بلغ قابس تلقّاه بها عامة الجند من القيروان ، ومعهم النضر بن حفص ، وعمرو بن معاوية . فخرج ابن الجارود من القيروان ، واستخلف عليها المفرج بن عبد الملك ، فكانت أيام ابن الجارود سبعة أشهر .

وأقبل يحيى بن موسى والعلاء بن سعيد متسابقين إلى القيروان ، فسبقه العلاء إليها ، فقتل بها جماعة من أصحاب ابن الجارود . فبعث إليه يحيى ابن موسى أن يفرق جموعه إن كان في الطاعة ، فأمر من كان معه أن ينصرفوا إلى مواضعهم . ورحل العلاء إلى أطرابلس . وكان ابن الجارود قد وصل إليها قبل وصول العلاء ، فلقي بها يقطين بن موسى ، فخرج معه سائراً إلى المشرق . فلقوا هرثمة بن أعين قد وصل بولاية إفريقية .

[١١٠] وهو [أي هرثمة] الذي بنى سور أطرابلس .

[١٠٨] وفي سنة ١٩٦ ولي عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية ، وذلك أنّه لمّا مات إبراهيم بن الأغلب كان ابنه عبد الله هذا غائباً بمدينة أطرابلس ، فقال له أخوه زيادة الله بالأمر . وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وجميع رجاله وخدمته وبعث إليه بذلك .

وفي سنة ١٩٧ قدم أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب من أطرابلس ، فتلقاه أخوه زيادة الله ، وسلّم الأمر إليه .

[١٥٦] وفيها [٨٢٦٧] كانت فتنة ولد ابن طولون حين أراد التغلّب على إفريقية . وها أنا أذكر قصته إلى أن هُزم : وذلك أن العباس بن أحمد بن

طولون ، ولد صاحب مصر ، قدم في هذه السنة في ثماني مائة فارس وعشرة آلاف راجل ، من سودان أبيه ، على خمسة آلاف جمل إلى مدينة برقة في ربيع الآخر يريد إفريقية والتغلّب عليها وإخراج بني الأغلب عنها ، وحمل مع نفسه من بيت مال مصر ثمانمائة حمل دنانير ذهباً ، فأعطى أصحابه الأرزاق بها ، وقيل إن مبلغ ما حمل من المال ألف ألف دينار ومائتا ألف دينار ، ومعه أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب مكبلاً ، لأنّه أظهر الامتناع من الخروج معه ، وكان أشار عليه بأن يؤخر التقدم إلى أطرابلس حتى يصانع البربر ، فقال : أخشى أن تقدم العساكر من الشام قبل إحكام هذا الأمر ، يعني عساكر أبيه لأنّه كان ثائراً على أبيه ، ويكون أيضاً في ذلك فسحة لإبراهيم بن أحمد ، فيتمهل في الاستعداد ؛ ولكنّي أمضي على فوري هذا فآتي لبدة وأطرابلس فجأة ، ثم آخذ في استمالة البربر بعد ذلك بالعطاء والإفضال ، وأبعد من مصر فلا يقوم لأحمد بن طولون ، يعني أباه ، أمل في مطالبتي لبعدي عنه . وخرج يريد لبدة ، فاتصل خبره بإبراهيم بن أحمد ، فأخرج إليه أحمد بن قرهب في ألف وستمائة فارس ، خيلاً مجردة لا رجل فيها ، بإغذاذ السير والسرى بالليل حتى دخل أطرابلس قبل وصول العباس ابن أحمد بن طولون إلى لبدة ، ثم حشد ابن قرهب من أمكنه من جند أطرابلس وبربرها ، ثم بادر إلى لبدة ودخلها ؛ وأقبل العباس بن طولون وقد صنع له ببرقة خمسة آلاف بند ، فحمل له على كل جمل راجلاً ببنده ، وزحف بثماني مائة فارس وخمسة آلاف راجل ، فالتقى به أحمد بن قرهب على خمسة عشر ميلاً من لبدة ، وقد تأخرت الجمال بالرجالة أصحاب البنود ، فلم يكن بينهم إلا مناوشة يسيرة حتى انهزم أحمد بن قرهب ، وهو يظن أن من ناوشه القتال من أصحاب ابن طولون كانوا مقدمة للجيش ، ووصل أحمد بن قرهب إلى أطرابلس منهزماً ، وركب العباس بن طولون إثره حتى نزل أطرابلس

ونصب عليها المجانيق ، وناصبهم الحرب وأقام محاصراً لهم ثلاثة وأربعين يوماً ، فتعدى بعض سودانه على بعض حرم البوادي وهتكوا الحجب ، فاستغاث أهـــل أطرابلس بأبي منصور صاحب نفوسة ، فقام محتسباً وناصراً جيرانه من المسلمين ، وزحف في اثني عشر ألفاً من رجال نفوسة إلى العباس ابن أحمد بن طولون ، فناشبوه الحرب ، فقال العباس لأبي عبد الله الكاتب : ما الرأي ؟ فقال له أبو عبد الله : ببرقة خلّفته . وألح أهل نفوسة في محاربة ابن طولون فانهزم وخرج إلى برقة ، بعد انتهاب أهل أطرابلس لجميع عسكره ، ولم يتلبس النفوسيون منه بشيء بل تورعوا عنه ، وكان إبراهيم بن أحمد قد حشد الأجناد ، وضرب حلي نسائه دنانير ودراهم ، إذ لم يبق أبو الغرانيق مالاً . ثم خرج بنفسه يريد أطرابلس ، فلقيه خبر هزيمة ابن طولون ، فبحث ابن طولون الأغلب عن الأموال ، وأخذها ممّن وجدت عنده ، فكان الرجل من أهل العسكر يبيع مثاقيل ابن طولون سرّاً بما أمكنه ، خوفاً من أن تؤخذ منه .

[١٦٤] وفيها [٢٨٠هـ] كان تمنع البلاد ومخالفتها على السلطان إبراهيم بن أحمد ، وانتزاء من انتزى عليه . وذلك أن أهل تونس والجزيرة والأربس وباجة وقمودة خالفوا وقدّموا على أنفسهم رجالاً من الجند وغيرهم ، لأن السلطان إبراهيم بن الأغلب أخذ عبيدهم وخيلهم ، وجار عليهم ، فصارت إفريقية عليه ناراً موقدة ، ولم يبق بيده من أعمالها إلا الساحل والشرق إلى أطرابلس .

[١٧٣] وفي سنة ٢٨٣ رجع إبراهيم بن أحمد من تونس إلى رقادة وخرج أبو منصور أحمد بن إبراهيم إلى أطرابلس . وخرج أبو بحر ابن أدهم إلى مصر . وفيها كانت وقعة نفوسة ، وذلك أن إبراهيم بن أحمد اعترضته نفوسة بين قابس وأطرابلس ومنعته الجواز ، وكانوا في زهاء عشرين ألف رجل ، لا فارس معهم . فناصبهم الحرب ، وقاتلوهم قتالاً شديـــداً

حتى هزموهم وقتلوا أكثرهم . ثم تمادى إلى مدينة أطرابلس ، فقتل بها أبا العباس محمد بن زيادة الله بن الأغلب ، وكان أديباً ظريفاً ، له تآليف ؛ وسبب قتله أن المعتضد بالله العباسي كتب إلى إبراهيم بن أحمد يعنفه على سوء فعله بأهل تونس ، ويقول له : إن انتهيت عن أخلاقك هذه ، وإلاّ فسلم العمل الذي بيدك لابن عمك محمد بن زيادة الله . ثم نهض من أطرابلس إلى تاورغا فقتل بها خمسة عشر رجلاً .

[١٧٤] وفي سنة ٢٨٤ كانت وقعة بنفوسة لأبي العباس ابن إبراهيم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم نحو ثلاثمائة . فلمّا وصل بهم إلى والده إبراهيم بن أحمد دعا بهم ، فقرب إليه شيخ منهم ، فقال له إبراهيم : أتعرف علي بن أبي طالب ؟ فقال له : لعنك الله ، يا إبراهيم ، على ظلمك وقتلك . فذبحه إبراهيم .

[٢٠١] وخرج [زيادة الله] عن مدينة رقادة متوجهاً إلى مصر في ثلث الليل الأول ، ومعه وجوه رجاله وفتيانه وعبيده ، وأخذ طريق الجادة حتّى لحق بمدينة أطرابلس .

[٢٠٢] وركب عبد الله بن الصائغ في البحر يريد المشرق ، فألقاه البحر بمدينة أطرابلس ، وبها زيادة الله . فأتي إليه به ، فقربه وأدناه ، وعاتبه في فراره عنه ، فاعتذر إليه ابن الصائغ بما أخذه من الحيرة والخوف ، فهمّ زيادة الله باستحيائه ، فأشار إليه كل من معه من أهله وقواده بقتله ، فأمر راشداً الأسود بضرب عنقه ، فقتله .

[٢٠٥] وبعث أبو عبد الله الشيعي إلى أطرابلس ، فأتى منها بأخيه أبي العباس المخطوم ، وكان بها محبوساً ، وبأبي جعفر الخزري ، وبأم عبيد الله الشيعي ، وكانت هنالك مع الخزري ، فقدموا عليه . وكان أبو العباس المخطوم عجولاً ، كثير الكلام ، ضعيف العقل ، فأراد أن ينفي من القيروان

كل من يذهب من الفقهاء مذهب أهل المدينة ، فلم يجبه أخوه أبو عبد الله إلى ذلك .

[٢٢٥] وفيها [٢٩٨هـ] خالفت هوارة بأطرابلس ، وقدّموا على أنفسهم أبا هارون الهواري ، وزحف أيضاً جماعة من زناتة ولماية وغيرهم من القبائل إلى مدينة أطرابلس محاصرين لأهلها ، فأخرج إليهم عبيد الله الشيعي أبا زاكي تمام بن معارك الاجابي ، وكان يذهب مذهب أبي عبد الله في الغدر بعبيد الله والخلـع له . فأراد أن يبعده لما كان يحاوله عبيد الله من قتل أبي عبد الله ، وجيّش مع أبي زاكي جيشاً عظيماً ، فحاربهم أبو زاكي حتى هزمهم وفرق جموعهم وقتل كثيراً منهم ، وبعث برؤوس كثيرة وآذان مقرطة لمن قتل ، فنصبت برقادة .

ذكر قتل عبيد الله الشيعي

[٢٢٧] ثم إن عبيد الله كتب إلى ماقنون بن دبارة الاجابي عامـله بأطرابلس ، يأمره بقتل أبي زاكي تمام بن معارك الاجابي على بنية بناها ونية نواها في قتله وقتل أبي عبد الله الشيعي بعده . فبعث عامل أطرابلس في أبي زاكي ، وكان عمّه ، ثم عرض عليه كتاب عبيد الله إليه يأمره بقتله .

فلمّا قرأه أبو زاكي قال له : يا عم ، نفذ ما أمرت به . فقدمه فضرب عنقه ، وكتب إلى عبيد الله بخبر قتله مع حمام وصل إلى رقادة من ساعته ، وذلك يوم الثلاثاء غرّة ذي الحجّة سنة ٢٩٨ .

[٢٣٢] وفي سنة ٣٠٠ خالف أهـل مدينة أطرابلس على عبيد الله الشيعي ، إذ كان قد استعمل عليهم ماقنون بن دبارة الاجابي فبسط أيدي بني عمّه من كتامة على الناس ، وتطاولوا إلى الحرم ، فتحرك السـواد ،

ومدّوا أيديهم إلى من لقوا من كتامة فقتلوهم . وهرب ماقنون وأغلق أهل أطرابلس أبواب المدينة ، وقتلوا من كان داخلها من كتامة ، وقدموا على أنفسهم محمد بن إسحاق المعروف بابن القرلين ؛ ولحق ماقنون بعبيد الله فأخرج إليهم جيشاً وحاربهم شهوراً .

[٢٣٤] وفيها خرج أبو القاسم ابن عبيد الله لمحاربة أطرابلس . وفصل من رقادة يوم الأحد لليلتين خلتا من جمادى الأولى . ووجه إليها عبيد الله في البحر خمسة عشر مركباً حربية . فلمّا وصلت إلى أطرابلس أخرجوا إليها مراكبهم ، فحرقوا الأسطول ، وقتلوا من فيه . وسار أبو القاسم في البر نحو أطرابلس ، فأوقع بأهل هوارة ، ثم نزل على أطرابلس ، فحاربها وحاصرها حتى أكلوا الميتة ، فرغبوا إلى أبي القاسم في الأمان ، فأمنهم إلا ثلاثة أنفس اشترط التحكم فيهم ؛ وهم : محمد بن إسحاق القرشي ، ومحمد بن نصر ، ورجل يعرف بالحوححه . فدخل أطرابلس وتحكم فيها . ثم قفل بالعسكر إلى رقادة ، وبين يديه الثلاثة الذين تقدم ذكرهم ؛ فطوفوا بالقيروان على الجمال بالقلانس ، ثم قُتلوا .

وفيها قتل أبو القاسم بمدينة أطرابلس ، عند افتتاحه لها ؛ من كان معه من بني الأغلب وقوادهم .

[٢٣٥] وفي سنة ٣٠١ أخرج عبيد الله الشيعي حباسة بن يوسف بالجيوش إلى المشرق ، فدخل مدينة سرت بالأمان ، وهرب من كان فيها من جند بني العباس ، وقرىء بذلك كتاب في الجوامع بإفريقية . ودخل حباسة مدينة أجدابية بالأمان أيضاً . وهرب من كان فيها لبني العباس . ودخل مدينة برقة . وكان عبيد الله يمد حباسة بن يوسف بالجيوش ، فكلّما دخل مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم وعاث فيهم وتعلل على أهل العافية منهم ، حتى لقد أخذ ببرقة جماعة كانوا يلعبون بالحمام ؛ فأضرم لهم ناراً ، وأجلسهم

حواليها ، وأمر بأن تقطع لحومهم وتشوى ثم يطعمونها ، وقذفهم بعد ذلك في النار ، وقال : إن هذه الحمام كانت تأتيهم بالأخبار من قبل بني العباس . وبرح ببرقة من أراد العطاء والرزق الواسع فليأت . فاكتتب عنده جماعة ، وأمر العرفاء من كتامة بأن يعرفوهم بأعيانهم ، ويرقب كل واحد منهم رجلاً من أولئك المكتتبين عنده ، ثم أمرهم أن يحضروا بالغداة لأخذ الأرزاق ؛ فلمّا حضروا قتل جميعهم ، وكانوا نحواً من ألف رجل ، فأمر بجمع جثثهم ، ووضع عليها كرسيّاً وجلس فوقه ، ثم أدخل وجوه أهل البلد ، فنظروا إلى ما هالهم من كثرة القتلى ؛ ومات منهم ثلاثة من الخوف والرعب . فلمّا مثل أهل البلد بين يديه سبهم ، وقال : إن لم تحضروني غداً مائة ألف مثقال ، قتلتكم أجمعين . فأحضروه إياها . ووردت على حباسة عساكر عظيمة من مصر لمحاربته فدارت بينهم حرب عظيمة كانت فيها ردعات على حباسة ، ثم انهزمت جيوش مصر ، واتبعهم حباسة وقتل كثيراً منهم .

وفيها قتل حباسة بن يوسف حارثاً ونزاراً ابني حمال المزاتي ، في نفر من أبنائهم وبني عمهم ، بمدينة برقة ؛ وباع نساءهم ، وأخذ جميع أموالهم ؛ إذ كان عبيد الله الشيعي قد خطر بهم في حين قدومه من مصر ؛ فادعى أنّهم سرقوا له حمل مال ومتاع . فلمّا طالب بذلك عندهم قام إليه رجل منهم فشتمه ولطمه ، فكان ذلك سبب قتل حباسة لهم ، على ما أمره به عبيد الله وحدّه له . ثم إن أهل برقة كتبوا إلى عبيد الله بما دار عليهم من حباسة ، وقتله رجالهم ، وتشتيته نساءهم ، وأخذه أموالهم ؛ فجاوبهم يعتذر إليهم ، ويحلف أنّه ما أمر بشيء ممّا ذكروه إلا في النفر الثلاثة . وكتب إلى حباسة يأمره بالرحيل عنهم ، فتوجه بالعساكر نحو مصر ، فنزل بجبل مقه ، وحارب الحصون التي تجاوره حتى أخذها ، وقتل أهلها وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم .

[٢٤٠] وفيها [٣٠٢هـ] خالفت مدينة برقة ، وكان أبو القاسم ، لما مر بهم في انصرافه من مصر ، قد هنأوه بالسلامة ، فزعم لهم أنّه إنّما كان طلب حباسة ليعاقبه على فعله بهم ، وأمرهم ببنيان ثلم مدينتهم ، واستخلف عليهم رجالاً من كتامة . فلمّا ولى عنهم أبو القاسم ، وعلموا الحال التي انصرف عليها من مصر ، بدر الغوغاء إلى من كان خلف عندهم من كتامة ، فقتلوهم . ووصل أبو القاسم إلى مدينة رقادة منصرفه عن الفيوم يوم الأحد لعشر خلون من ذي القعدة .

[٢٤١] وفيها أخرج عبيد الله الجيوش إلى مدينة برقة مع أبي مدين ابن فروخ اللهيصي .

[٢٤٤] وفي هذه السنة [٣٠٤] فتحت مدينة برقة على يدي أبي مدين الموجه إليهم بعد أن أفنت الحرب أكثر أهلها مدة ثمانية عشر شهراً ، حوصروا فيها ، وأحرق قوم منهم بالنار ، واستصفى أبو مدين أموالهم ، وبعث بجماعة منهم إلى عبيد الله ، فأمر بقتلهم .

[٢٥٤] وفيها [٣٠٦هـ] مات أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن بن جندب المعروف بموسى القطان ، وكان من رجال محمد بن سحنون ، وولي قضاء مدينة أطرابلس في أيام عيسى بن مسكين ، وعزله إبراهيم بن أحمد عن القضاء وحبسه ، وله اثنا عشر جزءاً ألفها في أحكام القرآن .

وفيها مات بمدينة برقة أبو مدين ابن فروخ اللهيصي ، وكان قائد الشيعة بها .

[٢٦٣] وفيها [٣٠٩هـ] خالفت نفوسة على عبيد الله ، وقدّموا على أنفسهم أبا بطة ، فاجتمع إليه عدد كثير ، واشتدت شوكته . فأخرج إليهم عبيد الله علي بن سلمان الداعي في جمع كثير . فلمّا قرب منهم بيتوه ، فقتلوا كثيراً من أصحابه ، وانهزم الباقون ، وتفرقوا عن علي بن سلمان ، فسار عبيد الله إلى علي بن لقمان عامله على قابس بأن يقتل كل من مر به من

المنهزمين ، فقتل منهم جماعة ؛ وأمد عبيد الله علي بن سلمان بالجيوش ، وأخذ في حصار نفوسة بعزم .

[٢٦٤] وفيها توفّي محمد بن سلام بن سيار البرقي الهمداني ، وكان متفقهاً على مذهب الشيعة .

وولي قضاء مدينة القيروان محمد بن عمران النفطي [٣١١هـ] ، وكان قبل ذلك على قضاء مدينة أطرابلس ، فجمع بها أموالاً كثيرة من الرشى والأحباس ورفعها إلى عبيد الله ، فكانت له وسيلة إليه .

[٢٦٥] وفيها [٣١١هـ] أوقع علي بن أبي سلمان بأهل نفوسة ، ودخل حصنهم وهدمه ؛ وقتل الرجال وسبى الذرية ، وذلك يوم الاثنين لاثنّي عشرة ليلة بقيت من شعبان .

وفيها دخل مسرور بن سليمان بن كافي الواحات من صعيد مصر ، وهما حصنان في قفار ورمال ، وكان عليها عامل لصاحب مصر يُعرف بالكرمازي ، فهزمه مسرور وأسر ولده وابن أخيه ، واستحوذ على الموضع ، ثم وقع الطاعون في أصحاب مسرور ، فأخرب الحصنين ، وقلع ثمارهما ، وانصرف إلى برقة .

[٢٦٧] وفيها [٣١٢هـ] قرىء كتاب عبيد الله بالقيروان وأعمالها بدخول مسرور بن سليمان بن كافي الواحات ، وملكه لها ، وتاريخه يوم الخميس لثماني ليال بقين من المحرم .

[٢٧٢] وفي سنة ٣١٦ زحف أبو القاسم الشيعي إلى قبائل البربر بالمغرب ؛ فنزل ببرقة [1] على حصنها المعروف بأغزر يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم ، فقاتلهم ونقب السور عليهم حتّى سقط ، وهلك

---

١ الصواب : ببرقجانة .

ممّن كان تحته وفوقه عدد كثير ؛ فلمّا نظروا إلى الغلبة أحرقوا الأمتعة وعرقبوا الدواب والمواشي ، وقاتلوا الشيعة حتى قُتلوا وأُسر منهم من استأسر وانتهب ما في الحصن . وأجابت هوارة ولماية إلى طاعة الشيعة ، فأمنهم أبو القاسم .

[٢٩٠] وفيها [٣٢٠هـ] عزل عبد الله بن سلمان صاحب الوثائق ، وكان من عمال أبي جعفر البغدادي ، وزنّ بأبنة ، فرفع بذلك عليه خليل الشيعي ، وقال له : يا مولاي ! إنّما يعمل البغدادي في شرّ هذه الدولة الزاهرة ، وإدخال العيب فيها . وقد ولّى على قضاء أطرابلس والوثائق رجلاً مستهتراً بالمرد . ورفع إليه قول ابن عامر الفزاري في مرد إفريقية أيام بني الأغلب وفيها ذكر ابن سلمان هذا بقبيح من القول . وأول الأرجوزة :

وروضة تكسو أديم الأرضِ
وشياً بديعاً من نَباتٍ غضّ
منها على الأرواح قاضٍ يقضي
بياض بعضٍ واحمرار بعضِ

[٢٩١] وفيها :

نارُ ابنِ سلمان على الغزلانِ
شبيه بدرٍ فوقَ غصنِ بانِ
ما إن لَهُ في حُسنه من ثانِ
كأنّما صيغ مِنَ العقيانِ

فذلك عزله ، وولى قضاء مدينة أطرابلس أحمد بن بحر ، وكان صاحب مظالم القيروان وصلاتها ، باختيار إسحاق بن أبي المنهال .

[٢٩٥] وممّن ثار عليه [أي أبي القاسم العبيدي] ابن طالوت القرشي ، فسار إلى ناحية أطرابلس ليأخذها ، وهو في عدد كثير ، فقاتلوه وقتلوا جملة

من أصحابه ، وزعم أنّه ابن المهدي ، فقام معه البربر واتبعوه . فلمّا تبين لهم أمره قتلوه وأتوا برأسه إلى القائم بأمر الله .

[٢٩٦] وفي سنة ٣٢٣ بعث القائم بأمر الله عسكراً إلى برقة ، قود عليه زيدان ، وبعث معه عامراً المجنون ، وأبا زرارة ، وجماعة من عساكر برقة الذين بها من كتامة إلى مصر ، فدخلوا إلى الإسكندرية ، فأخرج إليه محمد بن الإخشيد جيشاً فيه خمسة عشر ألف فارس ، فأسر منهم خلقاً كثيراً .

[٣٢٩] وفي هذه السنة [٣٦٧] أنعم العزيز بالله على أبي الفتوح بأطرابلس ونواحيها ، فقدم عليها أبو الفتوح يحيى بن خليفة الملياني ، فأقام بها شهوراً ثم عزله .

[٣٦٠] وفي سنة ٣٩٠ خرج نصير الدولة في طلب فلفل بن سعيد . فلمّا علم فلفل أنّه لا طاقة له بلقائه هرب إلى الرمال وافترق جمعه . فرجع نصير الدولة إلى إفريقية ومعه أبو البهار ابن زيري ، وقد اعتذر له ممّا فعل إخوانه فقبل عذره . ثم رجع فلفل إلى أطرابلس وتمادى نصير الدولة إلى أن وصل قصر الإفريقي فبلغه حينئذ أن بني زيري رجعوا إلى الغرب خوفاً منه ، وأنّه لم يبق مع فلفل منهم سوى ماكسن وابنه محسن ، فرجع نصير الدولة إلى المنصورية حضرته .

وفي أول رجب من هذه السنة خرج نصير الدولة إلى رقادة متوجهاً لقتال زيري بن عطية الزناتي أمير الغرب ، لما بلغه أنّه أتى إلى أشير . ثم جاء الخبر برحيل زيري بن عطية إلى الغرب ، فرجع نصير الدولة إلى المنصورية .

وفي سنة ٣٩١ خرج نصير الدولة في طلب فلفل ثانية . ووصل كتاب يوسف بن عامر عامل قابس يذكر فيه أن فلفلاً رحل إلى أطرابلس من على قابس لست بقين من رجب . ولما وصل فلفل إلى أطرابلس خرج إليه فتوح ابن علي وجماعة أهلها ، فتلقوه وأدخلوه البلد ، فاستوطنها من ذلك الوقت .

[٣٦٨] وفي هذه السنة [٣٩٢] كان خروج يحيى بن علي بن الأندلسي من مصر بالعسكر ، فكان وصوله إلى أطرابلس يوم الجمعة لتسع خلون من ربيع الأول . وكان متولي التدبير في الوقت زيدان الصقلي ، فاختلفت عليه أمور العسكر مع سوء عقله وضعف تدبيره ، ووصل إلى فلفل فاستخف به واحتقره .

وفي سنة ٣٩٣ وصل يحيى بن علي بن الأندلسي ، ومعه فلفل بن سعيد وفتوح بن علي ، إلى مدينة قابس ، فحصروا عطية بن جعفر . وخرج في تلك الأيام إلى قابس عشرون رجلاً من الناشبة ، فعرف بهم فلفل ، فبعث في طلبهم ، فلمّا أتي بهم ضرب أعناقهم ، وكان وصولهم إليها يوم الاثنين لأربع عشرة خلون من شعبان من هذه السنة ؛ ثم انصرفوا راجعين إلى أطرابلس . ولمّا رأى يحيى بن علي اختلال الحال عليه ، ولم يجد ما يعطي لرجاله ، عاد ببقيتهم إلى مصر ، بعدما أخذ فلفل وأصحابه ما أحبّوه من خيولهم ، بين شراء وغصب ، فلمّا وصل إلى صاحب مصر الحاكم بأمر الله أراد الإيقاع به ، وبعد ذلك عفا عنه وقبل عذره .

[٣٧٠] وفيها [٣٩٦هـ] ثار ببرقة الوليد بن هشام ، وادعى أنّه من بني أميّة من ولد المغيرة ؛ وكان ظهوره في العام القارط عن هذه ؛ وكان معلماً ببرقة ، فرأى في أهل برقة فرصة ، فانتسب لهم وعرّفهم أن عنده روايات وعلماً ، وأنّه هو الذي يملك مصر ويقتل الجبابرة ؛ وأعانه على ذلك قوم من لواتة وزناتة ، فنصبوه إماماً واجتمعوا عليه . ثم أقبل البربر من كل ناحية إليه ؛ فزحف إلى برقة وحاصرها حتى فتحها ، وذلك في رجب من العام القارط ؛ ثم قوي أمره في هذه السنة ، فأخرج الحاكم إليه جيشاً ، فكان بينهم قتال شديد ، إلى أن هزم عسكر مصر وقتل قائده .

[٣٧١] وفي سنة ٣٩٧ استفحل أمر الثائر ببرقة الوليد بن هشام ،

وكثرت جموعه وأتباعه . فأخذه الحاكم بالحيلة ؛ فدعا وجوه رجاله وقواده ، وأمرهم أن يكاتبوه ويعرفوه أنهم على مذهبه ، وأنّه إن قرب منهم صاروا في جملته . فلمّا تواتر ذلك عليه وثق به وزحف بكل من معه من قبائل البربر إلى مصر ، فخرجت إليه عساكر مصر ، فهزموه ، ولحق بأرض السودان . ثم أخذ أسيراً وأدخل مصر على جمل ، فطيف به بثياب مشهرة ، ثم قُتل شرّ قتلة في منتصف شوال .

وفي سنة ٣٩٩ هرب أولاد محمد بن أبي العرب من المنصورية يريدون فلفل بن سعيد بن خزرون الزناتي بأطرابلس ، فأرسل نصير الدولة إلى صاحب قابس يأمره أن يقطع بهم ، فلحق بهم المذكور ، وأخذ منهم علياً ويوسف ، فقطع رأسيهما ووجه بهما إلى المنصورية منسلخ المحرم . ووصل القاسم بعد ذلك ، فعفا عنه .

[٣٧٢] وفي سنة ٤٠٠ توفّي فلفل بأطرابلس بعلّة أصابته . وولي مكانه ورو ، وأطاعته زناتة .

وفيها رحل أبو مناد نصير الدولة بعساكر عظيمة إلى أطرابلس في طلب زناتة ، فكان وصوله إلى ظاهر أطرابلس يوم الاثنين لسبع خلون من شعبان ؛ فتلقاه أهلها مسرورين ، داعين ، مستبشرين ، فضربت له فساطيط الديباج والقباب الجليلة ، ونزل ؛ فأخذت الناس ريح عظيمة خرقت جميع المضارب ومزقتها وذهبت بها . ودخل نصير الدولة إلى قصر فلفل . وجاءت رسل ورو بن سعيد أخي فلفل راغبة في الأمان والعفو ، فعفا عنهم ، وأشهد بذلك على نفسه ، ثم صدر إلى المنصورية ظافراً .

[٣٧٣] وفي سنة ٤٠٢ قدم المنصورية خزرون بن سعيد بن خزرون الزناتي ، أخو فلفل المتقدم ذكره . وكان سبب وصوله اختلاف جرى بينه وبين أخيه ورو ، فقصد إلى نصير الدولة ، فقبله أحسن قبول ، وكان معه

نحو سبعين فارساً من زناتة ، فأنزلهم وأحسن إليهم ، ثم بعد ذلك بأيام أعطاه مدينة ، فخرج إليها بالبنود والطبول .

وفي سنة ٤٠٣ وصل إلى المهدية مركب فيه هدية جليلة من الحاكم إلى نصير الدولة باديس صاحب إفريقية ؛ وإلى ولده منصور عزيز الدولة ، فتلقاها المنصور مع أهل القيروان على قصر الماء بالبنود والطبول ، ووصلت سجلات منه إلى نصير الدولة بإضافة برقة وأعمالها إليه .

[٣٧٥] وفي سنة ٤٠٥ أخرج نصير الدولة هدية جليلة إلى الحاكم ، وشيعها بالطبول والبنود عن المنصورية ، فوصلت إلى المهدية ، وركب البحر بها يعلى بن فرج . وكان فيها مائة فرس ولها سروج محلاة شدت في ثمانية عشر حملاً أقفاصاً ، وكان فيها ثمانية عشر حملاً من الخز والسمور والمتاع السوسي المذهب النفيس ، وعشرون وصيفة ، وعشرة من الصقالبة ، وغير ذلك . ووجهت السيدة أم ملال أخت نصير الدولة إلى السيدة أخت الحاكم هدية أيضاً . ولما وصلت تلك الهدايا إلى جهة برقة أخذها العرب ، وهرب يعلى بن فرج ، وأسلمها بجميع ما فيها .

[٢٨٣] وفي هذه السنة [٤٠٥] مات وروا بن سعيد في شوال ، فاختلفت كلمة الزناتيين ، ومالت فرقة مع خليفة بن وروا ، وفرقة مع خزرون ابن عمّه ، وأوقع الله فيهم الشتات .

[٣٩٠] وفي سنة ٤١٤ وردت الأخبار وتتابعت بإفريقية بأن خليفة ابن وروا ومن معه رموا في البحر مراكب كثيرة ، وأنهم رحلوا من أطرابلس في طلب فتوح ابن القائد ، وقد كان كاتب شرف الدولة المعز بن باديس في الانحياش إليه والدخول في طاعته فأعطاه مدينة نفطة من عمل قسطيلية . فخرج شرف الدولة فاجتاز بسوسة ثم إلى المهدية ، وذلك يوم الخميس لأربع خلون من المحرم . وأمر بالنداء في حشد البحريين ، وكتب

أن يلحق به كل من يتخلف عنه من عساكره ليكون رحيله من المهدية إلى سفاقس ، ثم إلى قابس ، قاصداً إلى اطرابلس . وأمر بالاحتفاز في إصلاح القطائع وعمارة دار الصناعة ، وأخذ في إنشاء العدد الحربية ، فأنشىء منها في المدة القريبة ما لم يتم مثله في الزمن البعيد . ثم رأى الوصول إلى المنصورية ليأخذ الناس عددهم وما يحتاجون إليه ، فكان وصوله يوم الاثنين لست بقين من المحرم من العام .

[٤١٦] وفيها [٤٤٣هـ] وصلت إلى القيروان مكاتبة من الأمير جبارة بن مختار العربي من برقة بالسمع والطاعة للمعز بن باديس ، وأخبر أنه وأهل برقة قد أحرقوا المنابر التي كان يدعى عليها للعبيدية ، وأحرقوا راياتهم وتبرأوا منهم ، ولعنوهم على منابرهم ، ودعوا للقائم بأمر الله العباسي .

[٤١٧] قال ابن شرف : لما آل الأمر إلى التصريح بلعنة بني عبيد على المنابر ، وأمر المعز بن باديس بقتل أشياعهم ، أباح بنو عبيد للعرب مجاز النيل ، وكان قبل ذلك ممنوعاً ، لا يجوزه أحد من العرب . ثم أمر لكل جائز منهم بدينار ، فجاز منهم خلق عظيم من غير أن يأمرهم بشيء لعلمه أنهم لا يحتاجون لوصية . فجازوا أفواجاً ، وأقاموا بناحية برقة . ومضت الأيام على ذلك مدة .

[٤٣٠] وفي سنة ٤٦٨ وصلت إلى إفريقية عرب من برقة ، ونزلت حول القيروان .

[٤٣١] وفي سنة ٤٧٤ حاصر تميم مدينة سفاقس ، وعاث عسكره في اجنتها المعروفة بالغابة ، وأفسدها وولى تميم ابنه مقلداً مدينة أطرابلس سنة ٤٧٠ .

[٤٥١] وفي سنة ٥٣٧ خرج أسطول صاحب صقلية ، فضرب على مدينة أطرابلس ، فخيبه الله .

أعمال الأعلام لابن الخطيب

[١] القسم الثالث من الكتاب المسمى بأعمال الأعلام فيما يختص بالمغرب من لدن أحواز برقة إلى السوس الأقصى .

[١١] واتصل بالرشيد وثوبُ ابن الجارود على الفضل (بن روح بن حاتم) وإفساده إفريقية ، فوجه أميراً على المغرب هرثمة بن أعين ، وقدم هرثمة ابن أعين القيروان مستهل ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائة فأمن الناس وسكنهم وأحسن إليهم وبنى سور طرابلس وقصر المنستير . . . إلخ .

[١٥] دولة أبي العباس [ابن] إبراهيم بن الأغلب بن سالم ، وكان أبو العباس هذا ، واسمه عبد الله ، غائباً بطرابلس فقام أخوه زيادة الله بالأمر ، وقدم في صفر سنة سبع وتسعين ومائة واستقل بالأمر .

[٢٨] دولة إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب : وفي أيامه كانت فتنة ابن طولون وقصده إلى برقة مخالفاً لأبيه أحمد بن طولون يريد تملك إفريقية .

[٥٨] المعز لدين الله : وملك بلاد المغرب بأسرها إلى البحر المحيط وبرقة والإسكندرية ثم مصر والشام والحجاز على يد قائده الكاتب جوهر .

تاريخ ابن خلدون

[٢ : ٣٠٥] بنو غطفان . . . وليس منهم اليوم عمودة رجالة في قطر من الأقطار إلاّ ما كان لفزارة ورواحة في جوار هيب ببلاد برقة .

[٢ : ٣٠٦] ذبيان بن بغيض ، قال ابن سعيد : وإن بأرض برقة منهم إلى طرابلس قبائل رواحة وهيب وفزان .

[٢ : ٣٠٨] ومن بني سليم بنو دباب بن مالك ومنازلهم ما بين قابس وبرقة يجاورون مواطن هيب . . . وبنو سليمان بن دباب في جهة فزان وودان ؛ ورؤساء دباب لهذا العهد الجواري ما بين طرابلس وقابس وبينهم بنو صابر والمحاميد بنواحي فاس . . . ومن بني سليم بنو هيب بن بهثة إخوة بني عوف بن بهثة ، وهم ما بين السدرة من برقة إلى العقبة الكبيرة ثم الصغيرة من حدود الإسكندرية ، فأول ما يلي الغرب منهم بنو أحمد ، لهم أجدابية وجهاتها ، وهم عدد يرهبهم الحجاج ، ويرجعون إلى شماخ ، وقبائل شماخ لها عدد وأسماء متمايزة ولها العز في هيب لكونها حازت المخصب من بلاد برقة مثل المرج وطلميثا ودرنا ، وفي المشرق عن بني أحمد إلى العقبة الكبيرة [محارب] ؛ وأما الصغيرة فسمال ومحارب والرياسة في هاتين القبيلتين لبني عزاز وهيب ، بخلاف سائر سليم لأنها استولت على إقليم طويل خربت مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلاّ لأشياخها ، وتحت أيديهم خلق من البرابرة واليهود زراعاً وتجاراً ، وأما رواحة وفزارة الذين في بلاد هيب فهم من غطفان .

[٢ : ٣١١] وبنو قرة كانت منازلهم ببرقة وكانت رياستهم أيام الحاكم

العبيدي لماضي بن مقرب . ولما بايعوا لأبي ركوة من بني أمية بالأندلس وقتله الحاكم سلط عليهم العرب والجيوش فأفنوهم ، وانتقل جلّهم إلى المغرب الأقصى .

[٤ : ٣٦] ثم نزلوا [أتباع الشيعي] رقادة في ربيع سنة سبع وتسعين ، وحضر أهل القيروان فأجابوا وبويع للمهدي البيعة العامة ، واستقام أمره وبث دعاته في الناس فأجابوا إلا قليلاً عرض عليهم السيف وقسم الأموال والجواري في رجال كتامة وأقطعهم الأعمال ودوّن الدواوين وجبى الأموال وبعث العمال على البلاد ، فبعث على طرابلس ماكنون بن ضبارة الاجاني .

[٤:٣٧] ولما استقام أمر المهدي بعد الشيعي جعل ولاية عهده لابنه أبي القاسم نزار وولى على برقة وما إليها حباسة بن يوسف .

[٤:٣٨] ثم انتقض أهل طرابلس سنة ثلاثمائة وأخرجوا عاملهم ماكنون ، فبعث إليهم ابنه أبا القاسم فحاصرها طويلاً ثم فتحها وأثخن فيهم وأغرمهم ثلاثمائة ألف دينار . ثم أغزى ابنه أبا القاسم وجموعه كتامة سنة إحدى وثلاثمائة إلى الإسكندرية ومصر ، وبعث أسطوله في البحر في مائتين من المراكب وشحنها بالأمداد وعقد عليها لحباسة بن يوسف ، وسارت العساكر فملكوا برقة ثم الإسكندرية والفيوم .

[٤ : ٤٠] ثم توفّي عبيد الله المهدي في ربيع سنة ثنتين وعشرين لأربع وعشرين سنة من خلافته ؛ وولي ابنه أبو القاسم محمد ، ويقال نزار ، بعده ولقب القائم بأمر الله ، فعظم حزنه على أبيه حتى يقال إنّه لم يركب سائر أيامه إلاّ مرّتين ، وكثر عليه الثوار ، وثار بجهات طرابلس ابن طالوت القرشي ، وزعم أنّه ابن المهدي ، وحاصر طرابلس ، ثم ظهر للبربر كذبه فقتلوه .

[٤ : ٤٨] فاعتزم المعز على المسير إلى مصر ، وأخرج جوهر الكاتب إلى المغرب لحشد كتامة ، وأوعز إلى أعمال برقة لحفر الآبار في طريقها وذلك سنة خمس وخمسين .

[٤ : ٤٩] وولى على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي ، ولم يجعل لبلكين ولاية عليه .

وسار هو إلى طرابلس في عساكره ، وهرب بعضهم إلى جبل نفوسة فامتنعوا بها ، وسار إلى برقة فقتل بها شاعره محمد بن هانىء الأندلسي ، وُجد قتيلاً بجانب البحر في آخر رجب من سنة ثنتين وستين .

[٤ : ٥١] ثم توفّي المعز بمصر في منتصف ربيع الآخر سنة خمس وستين لثلاث وعشرين سنة من خلافته ، وولي ابنه نزار بعهده إليه ووصيته ولقب العزيز بالله ، وكتم موت أبيه إلى عيد النحر من السنة ، فصلّى بالناس وخطبهم ودعا لنفسه وعزّى بأبيه وأقر يعقوب بن كلس على الوزارة ، كما كان أيام أبيه ، وأقر بلكين بن زيري على ولاية إفريقية وأضاف إليه ولاية عبد الله بن يخلف الكتامي ، وهي طرابلس وسرت وأجدابية .

[٤ : ٥٧] وبعث [الحاكم] جيشاً إلى برقة وطرابلس المغرب فتحها وولى عليها يانساً الصقلي .

خروج أبي ركوة ببرقة والظفر به

[٤ : ٥٨] كان أبو ركوة هذا يزعم أنّه الوليد بن هشام بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الداخل ، وأنّه هرب من المنصور بن أبي عامر حين تتبعهم بالقتل وهو ابن عشرين سنة ، وقصد القيروان فأقام بها يعلم الصبيان . ثم قصد مصر وكتب الحدث ، ثم سار إلى مكة واليمن والشام . وكان يدعو للقائم

من ولد أبيه هشام واسمه الوليد . وإنّما لقبه أبا ركوة لأنّه كان يحملها لوضوئه على عادة الصوفية ، ثم عاد إلى نواحي مصر ونزل على بني قرّة من بادية هلال بن عامر ، وأقام يعلم الصبيان ويؤمهم في صلاتهم . ثم أظهر ما في نفسه ودعا للقائم ، وكان الحاكم قد أسرف في القتل في أصناف الناس وطبقاتهم والناس معه على خطر . وكان قتل جماعة من بني قرّة وأحرقهم بالنار لفسادهم ، فبادر بنو قرة ، وكانوا في أعمال برقة ، فأجابوه وانقادوا له وبايعوا . وكان بينهم وبين لواتة ومزاتة وزناتة جيرانهم في الأصل حروب ودماء فوضعوها واتفقوا على بيعته ، وكتب عامل برقة إينال الطويل بخبرهم إلى الحاكم ، فأمره بالكف عنهم . ثم اجتمعوا وساروا إلى برقة فهزموا العامل برمـــادة وملكوا برقة وغنموا الأموال والسلاح وقتلوه . وأظهر أبو ركوة العدل ، وبلغ الخبر إلى الحاكم فاطمأنت نفسه وكف عن الأذى والقتل وجهز خمسة آلاف فارس مع القائد أبي الفتوح الفضل بن صالح ، فبلغ ذات الحمام وبينها وبين برقة مفازة صعبة معطشة . وأمر أبو ركوة من غوّر المياه التي فيها على قلبها ، ثم صار للقائهم بعد خروجهم من المفازة على جهد العطش فقاتلهم ونال منهم ، وثبت أبو ركوة واستأمن إليه جماعة من كتامة لما نالهم من أذى الحاكم وقتله ، فأمنهم ولحقوا به ، وانهزمت عساكر الحاكم وقُتل خلق كثير منهم . ورجع أبو ركوة إلى برقة ظافراً ، وردد البعوث والسرايا إلى الصعيد وأرض مصر . وأهم الحاكم أمره وندم على ما فرط وجهز علي بن فلاح العساكر لحربهم . وكاتب الناس أبا ركوة يستدعونه . وممّن كتب إليه الحسن بن جوهر قائد القواد . وبعثهم في ستة عشر ألف مقاتل سوى العرب ، وبعث أخاه في سرية ، فواقع بني قرّة وهزمهم وقتل من شيوخهم عبد العزيز بن مصعب ورافع بن طراد ومحمد بن أبي بكر ، واستمال الفضل بني قرّة فأجابه ماضي بن مقرب من أمرائهم وكان

يطالعه بأخبارهم ، وبعث علي بن فلاح عسكراً إلى الفيوم فكبسه بنو قرّة وهزموه ، ونزل أبو ركوة بالهرمين ورجع من يومه . ثم رحل الفضل إلى الفيوم لقتالهم فواقعهم برأس البركة وهزمهم ، واستأمن بنو كلاب وغيرهم ، ورجع علي بن فلاح وتقدم الفضل لطلب أبي ركوة . وخذل ماضي بن مقرب بني قرّة عن أبي ركوة فقالوا له : انج بنفسك إلى بلد النوبة . ووصل إلى تخومهم ، وقال : أنا رسول الحاكم ، فقالوا : لا بد من استئذان الملك ، فوكلوا به وطالعوا الملك بحقيقة الحال ، وكان صغيراً قد ولي بعد سرقة أبيه ، وبعث إليه الفضل بشأنه وطلبه . فكتب إلى شجرة بن منيا قائد الخيل بالثغر بأن يسلمه إلى نائب الحاكم ، فجاء به رسول الفضل ، وأنزله الفضل في خيمة ، وحمله إلى مصر فطيف به على جمل لابساً طرطوراً وخلفه قرد يصفعه ، ثم حُمل إلى ظاهر القاهرة ليُقتل ، فمات قبل وصوله ، وقطع رأسه وصلب . وبالغ الحاكم في إكرام الفضل ورفع مرتبته ثم قتله بعد ذلك . وكان ظفر الحاكم بأبي ركوة سنة سبع وتسعين .

[٤ : ٥٩] وفي سنة تسعين انقطعت طرابلس عن منصور بن بلكين ابن زيري صاحب إفريقية ، وولي عليها يانس العزيزي من موالي العزيز ، فوصل إليها وأمكنه عامل المنصور منها وهو تمصولة بن بكار ، وجاء إلى الحاكم بأهله وولده وماله ، وأطلق يد يانس على مخلفه بطرابلس . يقال كان له من الولد نيف وستون بين ذكر وأنثى ، ومن السراري خمس وثلاثون ، فتلقي بالمبرة وهيىء له القصور ورتب له الجراية وقلّده دمشق وأعمالها ، فهلك بها لسنة من ولايته . وفي سنة ثنتين وتسعين وصل الصريخ من جهة فلفول ابن خزرون المغراوي في ارتجاع طرابلس إلى منصور بن بلكين ، فجهزت العساكر مع يحيى بن علي الأندلسي الذي كان جعفر أخوه عامل الزاب للعبيديين ونزع إلى بني أمية وراء البحر ، ولم يزل هو وأخوه في تصريفهم

إلى أن قتل المنصور بن أبي عامر جعفراً منهما ، ونزع أخوه يحيى إلى العزيز بمصر فنزل عليه وتصرف في خدمته ، وبعثه الآن الحاكم في العساكر – لما قدمناه – فاعترضه بنو قرّة ببرقة ففضوا جموعه ورجع إلى مصر ، وسار يانس من برقة إلى طرابلس ، فكان من شأنه مع فلفول ما ذكرناه .

[٤ : ٦٢] كان المعزّ بن باديس قد انتقض دعوة العبيديين بإفريقية وخطب للقائم العباسي وقطع الخطبة للمستنصر العلوي سنة أربعين وأربعمائة ، فكتب إليه المستنصر يتهدده ، ثم إنّه استوزر الحسين بن علي اليازوري بعد الجرجرائي ولم يكن في رتبته ، فخاطبه المعز دون ما كان يخاطب من قبله . كان يقول في كتابه إليهم عبده ويقول في كتاب اليازوري صنيعته . فحقد ذلك وأغرى به المستنصر ، وأصلح بين زغبة ورياح من بطون هلال وبعثهم إلى إفريقية وملّكهم كل ما يفتحونه ، وبعث إلى المعز : أما بعد فقد أرسلنا إليك خيولا ، وحملنا عليها رجالاً فحولا ، ليقضي الله أمراً كان مفعولا . فساروا إلى برقة فوجدوها خالية لأن المعز كان أباد أهلها من زناتة ، فاستوطن العرب برقة ، واحتقر المعز شأنهم واشترى العبيد واستكثر منهم حتى اجتمع له منهم ثلاثون ألفاً . وزحف بنو زغبة إلى طرابلس فملكوها سنة ست وأربعين ، وجازت رياح والأثبج وبنو عدي إلى إفريقية فأضرموها ناراً .

[٤ : ١٩٠] واستقل عبد الرحمن [بن حبيب] بملك إفريقية وولي مروان بن محمد ، فكتب له بولايتها ، ثم ثارت عليه الخوارج في كل جهة ، فكان عمر بن عطاب الأزدي بطبنياش وعروة بن الوليد الصفري بتونس وثابت الصنهاجي بباجة وعبد الجبار بن الحرث بطرابلس على رأي الإباضية ، فزحف عبد الرحمن إليهما سنة إحدى وثلاثين فظفر بهما وقتلهما ، وسرح أخاه الياس لابن عطاب فهزمه وقتله .

[٤ : ١٩١] ولما قتل عبد الملك بن أبي الجعد حبيب بن عبد الرحمن

رجع في قبائل ورفجومة إلى القيروان وملكها ، واستولت ورفجومة على إفريقية، وساروا في أهل القيروان بالعسف والظلم ، كما كان عاصم وأسوأ منه ، وافترق أهل القيروان بالنواحي فراراً بأنفسهم ، وشاع خبرهم في الآفاق فخرج بنواحي طرابلس عبد الأعلى بن السمح المعافري الإباضي منكراً للذلك وقصد طرابلس وملكها .

عبد الأعلى بن السمح المعافري

ولما ملك عبد الأعلى مدينة طرابلس بعث عبد الملك بن أبي الجعد العساكر لقتاله سنة إحدى وأربعين ، فلقيهم أبو الخطاب وهزمهم وأثخن فيهم ، واتبعهم إلى القيروان ، فملكها وأخرج ورفجومة منها واستخلف عليها عبد الرحمن ابن رستم ، وسار إلى طرابلس للقاء العساكر القادمة من ناحية أبي جعفر .

محمد بن الأشعث الخزاعي

[٤ : ١٩١] كان أبو جعفر المنصور لما وقع بإفريقية ما وقع من الفتنة وملك قبائل ورفجومة القيروان ، وفد عليه رجالات من جند إفريقية يشكون ما نزل بهم من ورفجومة ويستصرخونه . فولى على مصر وإفريقية محمد بن الأشعث الخزاعي ، فنزل مصر وبعث على إفريقية أبا الأحوص عمرو بن الأحوص العجلي ، وسار في مقدمته فلقيه أبو الخطاب عبد الأعلى بسرت ودهمه بالعساكر ، ومعهم الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة بن سوادة التميمي ، فسار لذلك ولقي أبا الخطاب بسرت ثانية ، فانهزم أبو الخطاب وقتل عامة أصحابه وذلك سنة أربع وأربعين . وبلغ الخبر إلى عبد الرحمن بن رستم بالقيروان ، ففرّ عنها إلى تاهرت وبنى هنالك مدينة ونزلها .

وقام ابن الأشعث فافتتح طرابلس واستعمل عليها المخارق غفاراً الطائي ، وقام بأمر إفريقية وضبطها .

[٤ : ١٩٢] ولمّا بلغ أبا جعفر المنصور قتل الأغلب بن سالم بعث على إفريقية مكانه عمر بن حفص هزارمرد من ولد قبيصة بن أبي صفرة أخي المهلب ، فقدمها سنة إحدى وخمسين ، فاستقامت أموره ثلاث سنين . ثم سار لبناء السور على مدينة طبنة واستخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب المهلبي ، فلمّا توجه لذلك ثار البربر بإفريقية وغلبوا على من كان بها ، وزحفوا إلى القيروان وقاتلوا أبا حازم فقتلوه ، واجتمع البربر الإباضية بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب الإباضي مولى كندة ؛ وكان على طرابلس الجنيد بن بشار الأسدي من قبل عمر بن حفص فأمده بالعساكر ، وقاتلوا أبا حازم فهزمهم وحصرهم بقابس ، وانتقضت إفريقية من كل ناحية .

[٤ : ١٩٣] ولما بلغ المنصور انتقاض إفريقية على عمر بن حفص وحصاره بطبنة ثم بالقيروان ، بعث إليه يزيد بن أبي حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة في ستين ألف مقاتل . وبلغ خبره عمر بن حفص فحمله ذلك على الاستماتة حتّى قتل . وسار يزيد بن حاتم فقدم عليها ، وأبو حاتم يعقوب ابن حبيب مستولٍ عليها ، فسار إلى طرابلس للقائه واستخلف على القيروان عمر بن عثمان الفهري ، فانتقض وقتل أصحابه وخرج المخارق بن غفار فرجع إليهما أبو حاتم ففرا من القيروان ولحقا بجيجل من سواحل كتامة ، فتركهما واستخلف على القيروان عبد العزيز بن السبع المعافري ؛ وسار للقاء يزيد ، وسار يزيد إلى طرابلس ، فلحق أبو حاتم بجبال نفوسة ، واتبعته عساكر يزيد فهزمهم ، فسار إليه يزيد بنفسه وقاتله قتالاً شديداً ، فانهزم البربر وقتل أبو حاتم في ثلاثين ألفاً من أصحابه ، وتتبعهم يزيد بالقتل بثأر

عمر بن حفص ، ثم ارتحل إلى القيروان ، فدخلها منتصف سنة خمس وخمسين .

[٤ : ١٩٥] وبنى [هرثمة] السور على طرابلس ممّا يلي البحر .

ثم بعث الرشيد على إفريقية محمد بن مقاتل الكعبي ، وكان صنيعه ، فقدم القيروان في رمضان سنة إحدى وثمانين .

ثم خرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي سنة ثلاث وثمانين ، واجتمع إليه الناس ، وسار إلى القيروان ، فخرج إليه محمد بن مقاتل ولقيه ، فانهزم أمامه ورجع إلى القيروان وتمام في اتباعه ، إلى أن دخل عليه القيروان وأمنه تمام على أن يخرج عن إفريقية ، فسار محمد إلى طرابلس . وبلغ الخبر إلى إبراهيم بن الأغلب بمكانه من الزاب ، فانتفض لمحمد وسار بجموعه إلى القيروان وهرب تمام بين يديه إلى تونس ، وملك القيروان واستقدم محمد ابن مقاتل من طرابلس وأعاده إلى إمارته بالقيروان آخر ثلاث وثمانين .

[٤ : ١٩٦] ثم خالف أهل طرابلس على إبراهيم بن الأغلب سنة تسع وثمانين ، وثاروا بعاملهم سفيان بن المهاجر ، وأخرجوه من داره إلى المسجد ، وقتلوا عامة أصحابه ، ثم أمنوه على أن يخرج من طرابلس . فخرج سفيان لشهر من ولايته واستعملوا عليهم إبراهيم بن سفيان التميمي ، فبعث إليهم إبراهيم بن الأغلب العساكر وهزمهم ودخل طرابلس عسكره ، ثم استحضر إبراهيم الذين تولوا كبر ذلك فحضروا في ذي الحجّة آخر السنة وعفا عنهم وأعادهم إلى بلدهم .

ثم بعث إبراهيم على طرابلس ابنه عبد الله سنة ست وتسعين ، فثار عليه الجند وحاصروه بداره ثم أمنوه على أن يخرج عنهم ، فخرج واجتمع إليه الناس وبذل العطاء ، وأتاه البربر من كل ناحية وزحف إلى طرابلس فهزم جندها ودخل المدينة ، ثم عزله أبوه وولى سفيان بن المضاء ،

فثارت هوارة بطرابلس وهجم الجند ، فلحقوا بإبراهيم بن الأغلب وأعاد معهم ابنه عبد الله في ثلاثة عشر ألفاً من العساكر ، ففتك بهوارة وأثخن فيهم ، وجدد سور طرابلس . وبلغ الخبر إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فجمع البربر وجاء إلى طرابلس فحاصرها ، وسد عبد الوهاب باب زناتة وكان يقاتل من باب هوارة ، ثم جاءه الخبر بوفاة أبيه فصالحهم على أن يكون البلد والبحر لعبد الله وأعمالها لعبد الوهاب ، وسار إلى القيروان . وكانت وفاة إبراهيم في شوال سنة ست وتسعين .

ابنه أبو العباس عبد الله

ولمّا توفّي إبراهيم بن الأغلب عهد لابنه عبد الله ، وكان غائباً بطرابلس والبربر يحاصرونه ، كما ذكرناه .

[٤ : ١٩٨] ولم يبق على طاعة زيادة الله من إفريقية إلاّ تونس والساحل وطرابلس ونفزاوة ، وبعث الجند إلى زيادة الله بالأمان وأن يرتحل عن إفريقية ، وبلغه أن عامر بن نافع يريد نفزاوة وأن برابرتها دعوه . فسرح إليهم مائتي مقاتل لمنع عامر بن نافع ، فرجّع عامراً عنها وهزمه إلى قسطيلة ورجع ثم ذهب عنها واستولى سفيان على قسطيلة وضبطها ، وذلك سنة تسع ومائتين . واسترجع زيادة الله قسطيلة والزاب وطرابلس واستقام أمره .

[٤ : ٢٠١] وكانت في أيامه [أبي الغرانيق] حروب وفتن ، وفتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين ، وتغلب الروم على مواضع من جزيرة صقلية ؛ وبنى محمد حصوناً ومحارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة المغرب ، وهي الآن معروفة .

[٤ : ٢٠٣] وكان [إبراهيم بن أحمد] عادلاً حازماً فقطع البغي والفساد

وجلس لسماع شكوى المتظلمين ، فأمنت البلاد ، وبنى الحصون والمحارس بسواحل البحر حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة للنذير بالعدو فيصل إيقادها بالإسكندرية في الليلة الواحدة . وبنى سور سوسة . وفي أيامه كان مسير العباس ابن أحمد بن طولون مخالفاً على أبيه صاحب مصر سنة خمس وستين ، فملك برقة من يد محمد بن قرهب قائد ابن الأغلب ثم ملك لبدة ثم حاصر طرابلس ، واستمد ابن قرهب نفوسة فأمدوه ، ولقي العباس بن طولون بقصر حاتم سنة سبع وستين فهزمه ورجع إلى مصر . ثم خالفت وزداجة ومنعوا الرهن وفعلت مثل ذلك هوارة ثم لواتة وقُتل ابن قرهب في حروبهم ، فسرح إبراهيم ابنه أبا العباس عبد الله إليهم في العساكر سنة تسع وستين فأثخن فيهم .

[٤ : ٢٠٦] ولما وصل الخبر إلى زيادة الله بوصول الشيعي إلى قمودة حمل أمواله وأثقاله ولحق بطرابلس معتزماً على الشرق ، وأقبل الشيعي إلى إفريقية ، وفي مقدمته عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير ، ووصل إلى رقادة في رجب سنة ست وتسعين ، وتلقاه أهل القيروان وبايعوا لعبيد الله المهدي ، كما ذكرناه في أخبارهم ودولتهم . وأقام زيادة الله بطرابلس سبعة عشر يوماً وانصرف ومعه إبراهيم بن الأغلب ، وكان نمي عنه أنه أراد الاستبداد لنفسه بالقيروان بعد خروج زيادة الله ، فأعرض عنه واطّرحه ، وبلغ مصر فمنعه عاملها عيسى البرشدي من الدخول إلاّ عن أمر الخليفة ، وأنزله بظاهر البلد ثمانية أيام .

الخبر عن انتقاض العباس بن أحمد بن طولون على أبيه

[٤ : ٣٠١] لما رحل أحمد بن طولون إلى الشام استخلف ابنه العباس ، وكان أحمد بن الواسطي محكماً في الدولة ، وكان للعباس بطانة يدارسونه

الأدب والنحو ، وأراد أن يولي بعضهم الوظائف ولم يكونوا يصلحون لها ، فمنع الواسطي من ذلك خشية الخلل في الأعمال . فحمل هؤلاء البطانة عليه عند العباس وأغروه به ، وكتب هو إلى أحمد يشكوهم فأجابه بمداراة الأمور إلى حين وصوله . وكان محمد بن رجاء كاتب أحمد مداخلاً لابنه العباس ، فكان يبعث إليه بكتب الواسطي يتنزل له قاطلع على جواب أبيه عن كتبه بالمداراة ، فازداد خوفاً وحمل ما كان هنالك من المال والسلاح ، وهو ألف ألف دينار ، وتسلف من التجار مائتي ألف أخرى ، واحتمل أحمد بن محمد الواسطي وأيمن الأسود مقيدين وسار إلى برقة ، ورجع أحمد إلى مصر وبعث له جماعة فيهم القاضي أبو بكرة بكار بن قتيبة والصابوني القاضي وزياد المري مولى أشهب فتلطفوا به بالموعظة حتى لان ، ثم منعه بطانته وخوّفوه ، فقال لبكار : ناشدتك الله هل تأمنه علي ؟ فقال : هو قد حلف وأنا لا أعلم ، فمضى على ريبته ورجع القوم إلى أبيه وسار هو إلى إفريقية يطلب ملكها . وسهل عليه أصحابه أمر إبراهيم بن أحمد بن الأغلب صاحبها ، وكتب إليه بأن المعتمد قلّده إفريقية وأنّه أقرّه عليها ، وانتهى إلى مدينة لبدة ، فخرج عليه عامل ابن الأغلب فقبض عليه ونهب البلد وقتل أهله وفضح نساءهم فاستغاثوا بالياس بن منصور كبير نفوسة ورئيس الإباضية ، وقد كان خاطبه يتهدده على الطاعة ، وبلغ الخبر إلى ابن الأغلب فبعث العساكر مع خادمه بلاغ ، وكتب إلى محمد بن قرهب عامل طرابلس بأن يظاهر معه على قتال العباس ، فسار ابن قرهب وناوشه القتال من غير مسارعة ثم صحبهم الياس في اثني عشر ألفاً من قومه . وجاء بلاغ الخادم من خلفه فأجفل واستبيح أمواله وذخائره وقتل أكثر من كان معه وأفلت بحاشيته ، وانطلق أيمن الأسود من القيد ورجع إلى مصر ، وجاء العباس إلى برقة مهزوماً ، وكان قد أطلق أحمد الواسطي بعد أن ضمن حرب برقة إحضاره ، فلمّا رجع أعاده إلى محبسه ،

فهرب من الحبس ولحق بالفسطاط ، ووجد أحمد بن طولون قد سار إلى الإسكندرية عازماً على الرحيل إلى برقة ، فهوّن أمره ومنعه من الرحيل بنفسه ، وخرج طبارجي وأحمد الواسطي فجاءوا به مقيّداً على بغل وذلك سنة سبع وستين ، وقبض على كاتبه محمد بن رجاء وحبسه لما كان يطلع ابنه العباس على كتبه ، ثم ضرب ابنه وهو باكٍ عليه وحبسه .

استيلاء الفرنج على طرابلس الغرب

[٥ : ٢٠٢] كان أهل طرابلس الغرب ، لما انحل نظام الدولة الصنهاجية بإفريقية وتقلص ظلها عنهم ، قد استبدوا بأنفسهم . وكان بالمهدية آخر الملوك من بني باديس وهو الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز ، فاستبد لعهده في طرابلس أبو يحيى ابن مطروح ، ورفضوا دعوة الحسن وقومه وذلك عندما تكالب الافرنج على الجهات . فطمع رجار في ملكها وبعث أسطوله في البحر ، فنازلها آخر سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فنقبوا سورها ، واستنجد أهلها بالعرب فأنجدوهم ، وخرجوا إلى الافرنج فهزموهم وغنموا أسلحتهم ودوابهم ، ورجع الافرنج إلى صقلية ، فتجهزوا إلى المغرب وطرقوا جيجيل من سواحل بجاية وهرب أهلها إلى الجبل ودخلوها فنهبوها وخربوا القصر الذي بناه بها يحيى بن العزيز بن حماد ، ويسمى النزهة ، ورجعوا إلى بلادهم ، ثم بعث رجار أسطوله إلى طرابلس سنة إحدى وأربعين فأرسى عليها ونزل المقاتلة وأحاطوا بها برّاً وبحراً وقاتلوها ثلاثاً ، وكان أهل البلد قد اختلفوا قبل وصول الافرنج وأخرجوا بني مطروح وولوا عليهم رجلاً من أمراء لمتونة قدم حاجّاً في قومه فولّوه أمرهم ، فلمّا شغل أهل البلد بقتال الافرنج اجتمعت شيعة بني مطروح وأدخلوهم للبلد ووقع بينهم القتال ،

فلمّا شعر الافرنج بأمرهم بادروا إلى الأسوار فنصبوا عليها السلالم وتسنموها وفتحوا البلد عنوة وأفحشوا في القتل والسبي والنهب ، ونجا كثير من أهلها إلى البربر والعرب في نواحيها ، ثم رفعوا السيف ونادوا بالأمان فتراجع المسلمون إلى البلد وأقروهم على الجزية ، وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلحوا أسوارها وفنادقها وولّوا عليها ابن مطروح وأخذوا رهنه على الطاعة ، ونادوا في صقلية بالمسير إلى طرابلس فسار إليها الناس وحسنت عمارتها .

استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب

[٥ : ٢٨٦] كان قراقوش من موالي تقي الدين عمر بن تورانشاه بن نجم الدين أيوب ، وهو ابن أخي صلاح الدين ، فغضب مولاه في بعض النزعات وذهب مغاضباً إلى المغرب ، ولحق بجبل نفوسة من ضواحي طرابلس الغرب وأقام هنالك دعوة موالية . وكان في بسائط تلك الجبال مسعود بن زمام المعروف بالبلط في أحيائه من رياح من عرب هلال بن عامر ، كان منحرفاً عن طاعة عبد المؤمن شيخ الموحدين وخليفة المهدي فيهم ، فانتبذ مسعود بقومه عن المغرب وإفريقية إلى تلك القاصية فدعاه قراقوش إلى إظهار دعوة مواليه بني أيوب ، فأجابه ونزل معه بأحيائه على طرابلس ، فحاصرها قراقوش وافتتحها ونزل بأهله وعياله في قصرها ، ثم استولى على قابس من ورائها وعلى توزر ونفطة وبلاد نفزاوة من إفريقية ، وجمع أموالاً جمة وجعل ذخيرته بمدينة قابس . وخربت تلك البلاد أثناء ذلك باستيلاء العرب عليها ولم يكن لهم قدرة على منعهم ، ثم طمع في الاستيلاء على جميع إفريقية ووصل يده بيحيى بن غانية اللمتوني الثائر بتلك الناحية بدعوة لمتونة من بقية الأمراء في دولتهم . فكانت لهما بتلك الناحية آثار مذكورة في أخبار دولة الموحدين ، إلى أن غلبه ابن

غانية على ما ملك من تلك البلاد وقتله كما هو مذكور في أخبارهم ، والله أعلم .

[٦ : ٤] وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة ، وكان فيها بنو قرة بن هلال بن عامر . وكان لهم في دول العبيديين أخبار وحكايتهم في الثورة أيام الحاكم والبيعة لأبي ركوة من بني أمية في الأندلس معروفة . وقد أشرنا إليها في دولة العبيديين . ولما أجاز بنو هلال وسليم إلى المغرب خالطوهم في تلك المواطن ثم ارتحلوا معهم إلى المغرب كما نذكره في دخول العرب إلى إفريقية والمغرب ، وبقي في مواطنهم ببرقة لهذا العهد أحياء بني جعفر ، وكان شيخهم أوسط هذه المائة الثامنة أبو ذئب وأخوه حامد بن حميد . وهم ينسبون في المغرب تارة في العزة ويزعمون أنهم من بني كعب بن سليم وتارة في هيب كذلك وتارة في فزارة . والصحيح في نسبهم أنهم من مسراتة إحدى بطون هوارة ، سمعته من كثير من نسابتهم . وبعدهم فيما بين برقة والعقبة الكبيرة أولاد سلام . وما بين العقبة الكبيرة والإسكندرية أولاد مقدم ، وهم بطنان : أولاد التركية وأولاد فايد . ومقدم وسلام معاً ينسبون إلى لبيد . فبعضهم يقول لبيد بن علي بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر . وبعضهم يقول في مقدم : مقدم بن عزاز بن كعب بن سليم . (وذكر لي سلام) شيخ أولاد التركية أن أولاد مقدم من ربيعة بن نزار ؛ ومع هؤلاء الأحياء حي محارب ينتمون بآل جعفر ، ويقال إنهم من جعفر بن كلاب ؛ وحي رواحة ينتمون بآل زبيد ، ويقال ابن جعفر أيضاً ؛ والناجعة من هؤلاء الأحياء كلهم ينتمون في شأنهم إلى الواحات من بلاد القبلة (وقال ابن سعيد) : ومن غطفان في برقة هيب ورواحة وفزارة فجعل هؤلاء من غطفان ، والله أعلم بصحة ذلك .

[٦ : ١٤] فأشار الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري باصطناعهم والتقدم لمشايخهم وتوليتهم أعمال إفريقية وتقليدهم أمرها و (...)

صنهاجة ليكونوا عند نصر الشيعة والسبب في الدفاع عن الدولة ، فإن صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا أولياء للدعوة وعمالاً بتلك القاصية وارتفع عدوانهم من ساحة الخلافة . وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها وأمر العرب البادية أسهل من أمر صنهاجة الملوك ، فتقبلوا هديه وشوراه . وقيل : إن الذي أشار بذلك وفعله وأدخل العرب إلى إفريقية إنّما هو أبو القاسم الجرجاني ؛ وليس ذلك بصحيح ، فبعث المستنصر وزيره على هؤلاء الأحياء سنة إحدى وأربعين ، وأرضخ لأمرائهم في العطاء ، ووصل عامتهم بعيراً ودينارا لكل واحد منهم ، وأباح لهم إجازة النيل ، وقال لهم : قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون . وكتب اليازوري إلى المغرب : أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولاً فحولا ، وأرسلنا عليها رجالاً كهولا ، ليقضي الله أمراً كان مفعولا . فطمعت العرب إذ ذاك ، وأجازوا النيل إلى برقة ونزلوا بها ، وافتتحوا أمصارها واستباحوها ، وكتبوا لإخوانهم شرقي النيل يرغبونهم في البلاد ، فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين ، فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه ، وتقارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب ، وخربوا المدينة الحمراء وأجدابية وأسمرا وسرت ، وأقامت لهب من سليم وأحلافها رواحة وناصرة وعمرة بأرض برقة ، وسارت قبائل دباب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلاّ أتوا عليه حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث وأربعين .

[٦ : ١٥] واقتسمت العرب بلاد إفريقية سنة ست وأربعين . وكان لزغبة طرابلس وما يليها ، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها . ثم اقتسموا البلاد ثانية ، فكان لهلال من تونس إلى الغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والأثبج والخلط وسفيان ، وتصرم الملك من يد المعز .

[٦ : ١٧] وفرقة من هؤلاء الهلاليين لم يكونوا من الذين أجازوا النيل لعهد اليازوري أو الجرجاني ، وإنّما كانوا من قبل ذلك ببرقة أيام الحاكم العبيدي ولهم فيها أخبار مع الصنهاجيين ببرقة .

وكان شيخهم أيام الحاكم مختار بن القاسم . ولما بعث الحاكم يحيى بن علي الأندلسي ليصرخ فلفول بن سعيد بن خزرون بطرابلس على صنهاجة ، كما نذكره في أخبار بني خزرون ، أوعز لهم في السير معه فوصلوا إلى طرابلس وجرّوا الهزيمة على يحيى بن علي ورجعوا إلى برقة ، وبعث عنهم فامتنعوا ثم بعث لهم بالأمان ووصل وفدهم إلى الاسكندرية فقتلوا عن آخرهم سنة أربع وتسعين وثلاثمائة . وكان عندهم معلّم للقرآن اسمه الوليد بن هشام ينسب إلى المغيرة بن عبد الرحمن من بني أمية ، وكان يزعم أن لديه أثارة من علم في احتياز ملك آبائه ، وقبل ذلك منه البرابرة من مرامة وزناتة ولواتة وتحدثوا بشأنه ، فنصبه بنو قرّة وبايعوه بالخلافة سنة خمس وتسعين ، وتغلبوا على مدينة برقة ، وزحف إليهم جيوش الحاكم فهزموها وقتل الوليد ابن هشام قائدها من الترك ، ثم رجعوا به إلى مصر فانهزموا ولحق الوليد بأرض الحاكم من بلاد السودان ، ثم أخفرت ذمته وسيق إلى مصر وقتل وهدرت لبني قرة جنايتهم هذه وعفا عنهم . ولما كانت سنة ثنتين وأربعمائة اعترضوا هدية باديس بن المنصور ملك صنهاجة من إفريقية إلى مصر فأخذوها ، وزحفوا إلى برقة فغلبوا العامل عليها ومر في البحر واستولوا على برقة ، ولم يزل هذا شأنهم ببرقة . فلمّا زحف إخوانهم الهلاليون من زغبة ورياح والأثبج وأتباعهم إلى إفريقية كانوا ممّن زحف معهم ، وكان من شيوخهم ماضي بن مقرب ، المذكور في أخبار هلال .

[٦ : ١٩] وكان المستنصر لما بعثهم إلى إفريقية عقد لرجالاتهم على أمصارها وثغورها وقلّدهم أعمالها ، فعقد لموسى بن يحيى المرداسي على القيروان

وباجة ، وعقد لزغبة على طرابلس وقابس ، وعقد لحسن بن سرحان على قسنطينة .

[٦ : ٢١] ونزل هذا الحي من زغبة مع بني يادين هؤلاء لما اعتزلوا إخوانهم الهلاليين وتحيز إلى فئتهم ، وصاروا جميعاً قبلة المغرب الأوسط من مصاب إلى جبل راشد ، بعد أن كانت قسمتهم الأولى بقابس وطرابلس . وكانت لهم حروب مع أولاد خزرون أصحاب طرابلس ، وقتلوا سعيد بن خزرون فصاروا إلى هذا الوطن الآخر بمشاقة ابن غانية وانحرافهم عنه إلى الموحدين ، وانعقد ما بينهم وبين بني يادين حلف على الجوار والذبّ عن الأوطان وحمايتها من معرة العدو في احتيال غزاتها وانتهاز الفرصة فيها . فتعاقدوا على ذلك واجتوروا وأقامت زغبة في القفار وبنو يادين بالتلول والضواحي ، ثم فرّ مسعود بن سلطان بن زمام أمير الرياحيين من بلاد الهبط ، ولحق ببلاد طرابلس ونزل على زعب ودباب من قبائل بني سليم ، ووصل إلى مراقش بن رياح وحصر معه طرابلس حتى افتتحها ، وهلك هنالك ؛ وقام إلى الميروني ولحق وانيه (؟) بالجملة فهزمه وقتل الكثير من قومه ، وانهزمت طائفة من قوم محمد ابن مسعود منهم ابنه عبد الله وابن عمّه حركات بن أبي الشيخ بن عساكر بن سلطان وشيخ من شيوخ قرة ، فضرب أعناقهم وفرّ يحيى بن غانية إلى مسقطه من الصحراء . واستمرت على ذلك أحوال هذه القبائل من هلال وسليم وأتباعها .

[٦ : ٣٢] والرياسة على رياح في هذه البطون كلّها لمرداس . وكانت عند دخولهم إفريقية في ضنبر منهم ثم صارت للزواودة أبناء داود بن مرداس بن رياح . ويزعم بنو عمر بن رياح أن أباهم كفله ورباه .

الخبر عن زغبة وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة

[٦ : ٤٠] هذه القبيلة إخوة رياح ، ذكر ابن الكلبي أن زغبة ورياحاً ابنا أبي ربيعة ابن نهيك بن هلال بن عامر ، هكذا نسبهم . وهم لهذا العهد ممّا يزعمون أن عبد الله يجمعهم بكسر دال عبد . ولم يذكر ابن الكلبي ذلك وذكر عبد الله في ولد هلال . فلعلّ انتسابهم إليه بما كفلهم واشتهر دونهم ، وكثيراً ما يقع مثل هذا في أنساب العرب ، أعني انتساب الأبناء لعمهم أو كافلهم ، والله أعلم . وكانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم إفريقية ، وتغلبوا على نواحي طرابلس وقابس وقتلوا سعيد بن خزرون من ملوك مغراوة بطرابلس . ولم يزالوا بتلك الحال إلى أن غلب الموحدون على إفريقية . وثار بها ابن غانية وتحيزت إليه أفاريق هلال بن رياح وجشم ، فنزعت زغبة إلى الموحدين ، وانحرفوا عن ابن غانية .

[٦ : ٧٢] وأمّا هيب فهو ابن بهثة بن سليم . ومواطنهم من أول أرض برقة ممّا يلي إفريقية إلى العقبة الصغيرة من جهة الإسكندرية . أقاموا هنالك بعد دخول إخوانهم إلى إفريقية . وأول ما يلي الغرب منهم بنو حميد ، لهم أجدابية وجهاتها ، وهم عديد يرهبهم الحاج ويرجعون إلى شماخ ، لها عدد ولهم العز في هيب لكونها حازت خصب برقة الذي منه المرج . وفي شرقيهم إلى العقبة الكبيرة سمال ومحارب . والرياسة في هاتين القبيلتين لبني عزاز وهم المعروفون بالعزة ، وجميع بطون هيب هذه استولت على إقليم طويل خربوا مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلا لأشياخهم . وفي خدمتهم بربر ويهود يحترفون بالفلاحة والتجر ، ومعهم من رواحة وفزارة أمم . واشتهر لهذا العهد ببرقة من شيوخ أعرابها أبو ذؤيب . ولا أدري نسبه فيمن هو ،

فقوم يقولون من العزة وقوم يقولون من بني أحمد وقوم يجعلونه من فزارة ، وهم هنالك قليل عددهم والغلب لهيب فكيف تكون الرياسة لغيرهم ؟ وأمّا عوف فهو ابن بهثة بن سليم ، ومواطنهم من وادي قابس إلى أرض بونة ، ولهم حرمان عظيمان بمرداس وعلاق ، [وعلاق] بطنان بنو يحيى وحصن . وفي أشعار هؤلاء المتأخرين منهم مثل حمزة بن عمر شيخ الكعوب وغيره أن يحيى وعلاقاً أخوان ، ولبني يحيى ثلاثة بطون حمير ودلاج ، ولحمير بطنان ترحم وكردم ، ومن ترحم الكعوب بنو كعب بن أحمد بن ترحم ، ولحصن بطنان بنو علي وحكيم ، ونحن نأتي على الحكاية عن جميعهم بطناً بطناً . وكانوا عند إجازتهم على أثر الهلاليين مقيمين ببرقة ، كما ذكرناه . وهنالك نزل عليهم القاضي أبو بكر ابن العربي وأبوه حين غرقت سفينتهم ونجوا إلى الساحل فوجدوا هنالك بني كعب فنزل عليهم فأكرمه شيخهم ، كما ذكر في رحلته ، ولما كانت فتنة ابن غانية وقراقش الغزي بجهات طرابلس وقابس وضواحيها ، كما نذكر في أخبارهم ، كان بنو سليم هؤلاء فيمن تجمع إليهم من ذؤبان العرب وأوشاب القبائل فاعصوصبوا عليهم وكان لهم معهم حروب ، وقتل قراقش ثمانين من الكعوب ، وهربوا إلى برقة واستصرخوا برياح من بطون سليم ودبكل من حمير فصارخوهم إلى أن تجلت غياية تلك الفتنة بمهلك قراقش وابن غانية من بعده .

دباب بن سليم

[٦ : ٨٤] قد ذكرنا الخلاف في نسبهم من أنهم من دباب بن ربيعة بن زعب الأكبر وأن ربيعة أخو زعب الأصغر ، وضبط هذه اللفظة لهذا العهد بضم الزاي وقد ضبطها الأجدابي والرشاطي بكسر الزاي ، كذا

نقل أبو محمد التجاني في رحلته. ومواطنهم ما بين قابس وطرابلس إلى برقة، ولهم بطون، فمنهم أولاد أحمد بن دباب ومواطنهم غربي قابس وطرابلس إلى برقة عيون رجال مجاورون لحصن، ومن عيون رجال بلاد زعب من بطون دباب بنو يزيد مشاركون لأولاد أحمد في هذه المواطن، وليس هذا أباً لهم ولا اسم رجل وإنّما هو اسم حلفهم انتسبوا به إلى مدلول الزيادة، كذا قال التجاني. وهم بطون أربعة: الصهب بسكون الهاء، بنو صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب وإخوتهم الحمارنة بنو حمران بن جابر، والخرجة بسكون الراء بطن من آل سليمان منهم؛ أخرجهم آل سالم من مواطنهم بمسلاتة فحالفوا هؤلاء ونزلوا معهم، والأصابعة نسبة إلى رجل ذي إصبع زائدة، ولم يذكر التجاني في أي بطن من دباب ينتسبون. ومنهم النوائل، بنو نائل بن عامر بن جابر وإخوتهم أولاد سنان بن عامر وإخوتهم أولاد وشاح بن عامر، وفيهم رياسة هذا القبيل من دباب كلّهم. وهم بطنان عظيمان: المحاميد بنو محمود بن طوق بن بقية بن وشاح، ومواطنهم ما بين قابس ونفوسة وما إلى ذلك من الضواحي والجبال ورياستهم لهذا العهد في بني رحاب بن محمود لأولاد سباع بن يعقوب بن عطية بن رحاب، والبطن الآخر الجواري بنو حميد بن جارية بن وشاح، ومواطنهم طرابلس وما إليها مثل تاجورا وزواغة وزنزور وما إليها من ذلك لهذا العهد، ورياستهم لهذا العهد في بني مرغم بن صابر بن عسكر بن علي بن مرغم. ومن أولاد وشاح بطنان آخران صغيران مندرجان مع الجواري والمحاميد وهما: الجواوبة، بنو جواب بن وشاح، والعمور، بنو عمور بن وشاح. هكذا زعم التجاني في العمور هؤلاء وفي هلال بن عامر بطن العمور، كما ذكرناه. وهم يزعمون أن عمور دباب هؤلاء منهم وأنّهم إنّما جمعهم مع دباب الموطن خاصة وليسوا من سليم، والله أعلم بحقيقة ذلك. وكان من أولاد وشاح

بنو حريز بن تميم بن عمر بن وشاح ، كان منهم فائد بن حريز من فرسان العرب المشاهير وله شعر متداول بينهم لهذا العهد ، [يتخذونه] سمراً وفكاهة المجالس ، ويقال إنّه من المحاميد فائد بن حريز بن حربي بن محمود ابن طوق . وكان بنو دباب هؤلاء شيعة لقراقش الغزي وابن غانية ، ولهما فيه أثر . وقتل قراقش مشيخة الجواري في بعض أيامه ثم صاروا بعد مهلك ابن غانية إلى خدمة الأمير أبي زكريا وأهل بيته من بعده ، وهم الذين أقاموا أمر الدعي ابن أبي عمارة وعليهم كان تلبسه لأن يصير أميراً بدل المخلوع ، وكان فر إليهم بعد مهلك مولاه وبنيه ونزل عليهم ، حتى إذا مر بهم ابن أبي عمارة فعرفه الخبر فاتفقوا على التلبيس وزينوا ذلك لهؤلاء العرب فقبلوه . وتولى كبر ذلك مرغم بن صابر وتبعه قومه وداخلهم في الأمر أبو مروان عبد الملك بن مكي رئيس قابس ، فكان من قـدر الله ما كان من تمام أمره وتلويث كرسي الخلافة بدمه ، حسبما يذكر في أخبار الدولة الحفصية . وكان السلطان أبو حفص يعتمد عليهم فغلبهم في دعوة أبي عمارة فخالفوا عليه وسرح لحربهم قائده أبا عبد الله الفزاري واستصرخوا بالأمير أبي زكريا ابن أخيه ، وهو يومئذ صاحب بجاية الثغر الغربي من إفريقية ، ووفد عليه منهم عبد الملك بن رحاب بن محمود فنهض لصريخه سنة سبع وثمانين وستمائة ، وحاربوا أهل قابس وهزموهم وأثخنوا فيهم . ثم غلبهم الفزاري ومانعهم عن وطن إفريقية ، ورجع الأمير أبو زكريا إلى القرة . وكان مرغم ابن صابر بن عسكر شيخ الجواري قد أسره أهل صقلية من سواحل طرابلس سنة ثنتين وثمانين وباعوه لأهل برشلونة فاشتراه ملكهم ، وبقي أسيراً عندهم إلى أن انضم إليه عثمان بن إدريس الملقّب بأبي دبوس بقية الخلفاء من بني عبد المؤمن ، وأراد الإجازة إلى إفريقية لطلب حقّه في الدعوة الموحدية ، فعقد الملك ملك برشلونة بينه وبين مرغم حلفاً وبعثهما ونزل بساحل طرابلس .

وأقام مرغم الدعوة لأبي دبوس وحمل عليها قومه وحاصر طرابلس سنة ثمان وثمانين أياماً ، ثم تركوا عسكراً لحصارها وارتحلوا لجباية الوطن فاستفرغوه ، وكان ذلك غاية أمرهم . وبقي أبو دبوس يتقلب في أوطانهم مدة ، واستدعاه الكعوب لأول المائة الثامنة وأجلبوا به على تونس أيام السلطان أبي عصيدة من الحفصيين ، وحاصروها أياماً فلم يظفروا ، ورجع إلى نواحي طرابلس وأقام بها مدة ثم ارتحل إلى مصر وأقام بها إلى أن هلك ، كما يأتي ذكره في خبر ابنه مع السلطان أبي الحسن بالقيروان ، ولم يزل هذا شأن الجواري والمحاميد إلى أن تقلص ظل الدولة عن أوطان قابس وطرابلس ، فاستبدوا برياسة ضواحيها واستعبدوا سائر الرعاية المعتمرة في جبالها وبسائطها ، واستبد أهل الأمصار برياسة أمصارهم : بنو مكي بقابس ، وبنو ثابت بطرابلس على ما يذكر في أخبارهم ، وانقسمت رياسة أولاد وشاح بانقسام المصرين ، فتولى الجواري طرابلس وضواحيها وزنزور وغريان ومغر ، وتولى المحاميد بلد قابس وبلاد نفوسة وحرب . وفي دباب هؤلاء بطون أخرى ناجعة في القفر ، ومواطنهم متزاحة إلى جانب الشرق عن مواطن هؤلاء الوشاحيين ، فمنهم : آل سليمان بن هيب بن رافع بن دباب ، ومواطنهم قبلة مغر وغريان ورياستهم في ولد نصر بن زائد بن (. . .) سليمان ، وهي لهذا العهد لطائل بن حماد بن نصر ، وبينه وبين البطن الآخر آل سالم بن رافع أخي سليمان ومواطنهم بلد مسراتة إلى لهد ومسلاتة ، وشعوب آل سالم هؤلاء : الأحمد والعمائم والعلاونة وأولاد مرزوق ورياستهم في أولاد ولد مرزوق ، وهو ابن معلى بن معراق بن قليتة بن قاص بن سالم ، وكانت في أول هذه المائة الثامنة لغلبون بن مرزوق واستقرت في بنيه ، وهي اليوم لحميد ابن سنان بن عثمان بن غلبون ، والعلاونة منهم مجاورون للعزة من عرب برقة والمشائية من هوارة المقيمين ، وتجاذب دباب هؤلاء في مواطنهم من

جهة القبلة ناصرة، وهم من بطون ناصرة بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة ابن سليم، فإن كان زعب أبو دباب الملك ابن خفاف، كما زعم التجاني، فهم إخوة ناصرة ويبعد أن يسمّى قوم باسم إخوانهم؛ وإن كانوا لناصرة، كما زعم ابن الكلبي، وهو أقرب، فيكون هؤلاء اختصوا باسم ناصرة دون دباب وغيرهم من بنيه، وهذا كثير من بطون الغيايا، والله أعلم. ومواطنهم بلاد فزان وودان. هذه أخبار دباب هؤلاء. وأمّا العزة جيرانهم في الشرق الذين (...) منا ذكرهم بهم (...) برقة خلفاء لاستيلاء الخراب على أمصارها وقراها من دولة صنهاجة، وتمرست بمدائنها بادية العرب وناجعتهم فتحيفوها غارة ونهباً، إلى أن فسدت فيها مذاهب المعاش وانتقض العمران فخربت، وصار معاش الأكثر من هؤلاء العرب المواطنين بها لهذا العهد من الملح يثيرون له الأرض بالعوامل من الجمال والحمير، وبالنساء إذا ضاق كسبهم عن العوامل وارتكبوا ضرورة المعاش، وينجعون إلى بلاد النخل في جهة القبلة منهم من أوجلة وسنترية والواحات وما وراء ذلك من الرمال والقفر إلى بلد السودان المجاورين لهم، وهم كانوا قسمى بلادهم برنق؛ وشيخ هؤلاء العرب ببرقة يعرف لهذا العهد بأبي ذئب من بني جعفر، وركاب الحج من المغرب يحمدون مسالمتهم في مرّهم وحسن نيتهم في التجافي عن جامع بيت الله وإرفادهم بجلب الأقوات لسربهم وحسن الظن بهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يرَه. وأما نسبهم فما أدري فيمن هو من العرب، وحدثني الثقة من دباب عن خريص ابن شيخهم أبي دباب أنهم من بقايا الكعوب ببرقة، وتزعم نسابة الهلاليين أنهم لربيعة بن عامر إخوة هلال بن عامر. وقد مرّ الكلام في ذلك في أول ذكر بني سليم، ويزعم بعض النسابة أنهم والكعوب من العزة، وأن العزة من هيب، وأن رياسة العزة لأولاد أحمد وشيخهم أبو ذئب، وأن المشانية جيرانهم من هوارة. وذكر لي سلام بن التركية شيخ

أولاد مقدم جيرتهم بالعقبة أنهم من بطون مسراتة من بقية هوارة ، وهو الذي رأيت النسابة المحققين عليه بعد أن دخلت مصر ولقيت كثيراً من المترددين إليها من أهل برقة ، وهذا آخر الطبقة الرابعة من العرب .

[٦ : ١٠١] وأمّا من جهة الشرق فيختلف باختلاف اصطلاحات ، فعرف أهل الجغرافيا أنّه بحر أهل القلزم المنفجر من بحر اليمن هابط على سمت الشمال وبانحراف يسير إلى المغرب حتى ينتهي إلى القلزم والسويس ، ويبقى بينهم من هنالك وبين سمته البحر الرومي مسيرة يومين وينقطع عند السويس والقلزم ، وبعده عن مصر في جهة الشرق ثلاثة أيام ، هذا آخر المغرب عندهم ، ويدخل فيه إقليم مصر وبرقة ، وكان المغرب عندهم جزيرة أحاطت بها البحار من ثلاث جهاتها كما تراه ، وأمّا العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الأقاليم فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة وإنّما يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب في هذا العرف لهذا العهد ، وهذا الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم .

ثم فزان وودان قبلة طرابلس ، قصور متعددة ذات نخل وأنهار ، وهي أول ما افتتح المسلمون من أرض إفريقية لما أغزاها عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص ، ثم الواحات قبلة برقة ، ذكرها المسعودي في كتابه . وما وراء هذه كلّها في جهة الجنوب فقفار ورمال لا تنبت زرعاً ولا مرعى .

[٦ : ١٠٣] وأما إفريقية كلّها إلى طرابلس فبسائط فيح كانت دياراً لنفزاوة وبني يفرن ونفوسة ومن لا يحصى من قبائل البربر ، وكانت قاعدتها القيروان ، وهي لهذا العهد مجالات للعرب من سليم وبني يفرن ، وهوارة مغلوبون تحت أيديهم ، وقد تبدوا معهم ونسوا رطانة الأعاجم وتكلموا بلغات العرب وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم ، وقاعدتها لهذا العهد تونس وهي دار ملكها ويمر فيها النهر الأعظم المعروف بوادي مجرد ، يجتمع فيه سائر

الأودية بها ويصب في البحر الرومي على مرحلة من غربي تونس بموضع يُعرف ببنزرت . وأمّا برقة فدرست وخربت أمصارها وانقرض أمرها وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت داراً للواتة وهوارة وغيرهم من البربر ، وكانت بها الأمصار المستبحرة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وأمثالها فعادت يباباً ومفاوز كأن لم تكن .

[٦ : ١٠٧] وكانوا يؤدون الجزية لهرقل ملك القسطنطينية ، كما كان المقوقس صاحب الإسكندرية وبرقة ومصر يؤدون الجزية له ، وكما كان صاحب طرابلس ولبدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الأندلس من القوط لما كان الروم غلبوا على هؤلاء الأمم أجمع ، وعنهم كلّهم أخذوا النصرانية . فكان الفرنجة هم الذين ولوا أمر إفريقية ، ولم يكن للروم شيء فيها من ولاية وإنّما كان كلّ من كان منهم بها من جند الافرنج ومن حشودهم ، وما يسمع في كتب الفتح من ذكر الروم في فتح إفريقية فمن باب التغليب ، لأن العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الافرنج وما قاتلوا في الشام إلا الروم فظنوا أنّهم هم الغالبون على أمم النصرانية ، فإن هرقل هو ملك النصرانية كلّها فغلّبوا اسم الروم على جميع أمم النصرانية .

[٦ : ١٠٩] فبعث عبد الملك إلى حسان بن النعمان الغساني عامله على مصر أن يخرج إلى جهاد إفريقية ، وبعث إليه بالمدد فزحف إليها سنة تسع وسبعين ودخل القيروان وغزا قرطاجنة وافتتحها عنوة ، وذهب من كان بقي بها من الافرنجة إلى صقلية وإلى الأندلس . ثم سأل عن أعظم ملوك البربر فدلوه على الكاهنة وقومها جراوة فمضى إليها حتى نزل وادي مسكيانة ، وزحفت إليه فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم المسلمون وقُتل منهم خلق كثير وأُسر خالد بن يزيد القيسي . ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حسان والعرب حتى أخرجوهم من عمل قابس ، ولحق حسان بعمل طرابلس ولقيه كتاب عبد

الملك بالمقام وبنى قصوره وتعرف به لهذا العهد .

[٦ : ١١١] وبلغ الخبر هشام بن عبد الملك فعزل ابن حبحاب وولى كلثوم ابن عياض القشيري سنة ثلاث وعشرين . وسرحه في اثني عشر ألفاً من أهل الشام ، وكتب إلى ثغور مصر وبرقة وطرابلس أن يمدوه ، فخرج إلى إفريقية والمغرب حتى بلغ وادي طنجة .

وبلغ الخبر إلى هشام بن عبد الملك فبعث حنظلة بن سفيان الكلبي فقدم القيروان سنة أربع وعشرين ومائة ، وهوارة يومئذ خوارج على الدولة منهم عكاشة بن أيوب وعبد الواحد بن يزيد في قومهما . فثارت هوارة ومن تبعهم من البربر ، فهزمهم حنظلة بن المعز وظاهر القيروان بعد قتال شديد وقتل عبد الواحد الهواري وأخذ عكاشة أسيراً . وأحصيت القتلى في هذه الوقيعة فكانوا مائة وثمانين ألفاً . وكتب بذلك حنظلة إلى هشام وسمعها الليث بن سعد ، فقال : ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحبّ إلي من غزوة القرن والأصنام . ثم خفت الخلافة بالمشرق والتاث أمرها لما كان من بني أمية من الفتنة وما كان من أمر الشيعة والخوارج مع مروان ، وأفضى الأمر إلى الإدالة ببني العباس من بني أمية ، وأجاز البحر عبد الرحمن ابن حبيب من الأندلس إلى إفريقية فملكها ؛ وغلب حنظلة عليها سنة ست وعشرين ومائة فعادت هيف إلى أديانها واستشرى داء البربر وأعضل أمر الخارجية ورؤوسها فانتقضوا من أطراف البقاع وتواثبوا على الأمر بكل ما كان داعين إلى بدعتهم ، وتولى كبر ذلك يومئذ صنهاجة ، وتغلب أميرهم ثابت بن وريدون وقومه على باجة ، وثار معه عبد الله بن سكرديد من أمرائهم فيمن تبعه .

وثار بطرابلس عبد الجبار والحرث من هوارة ، وكانا يدينان برأي الإباضية ، فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسي لما خرج إليهم يدعوهم

إلى الصلح . وبقي الأمر على ذلك مدة . وثار إسماعيل بن زياد في قتل البربر وأثخن فيهم وزحف إلى تلمسان سنة خمس وثلاثين .

[٦ : ١١٢] واستولت ورفجومة على القيروان وسائر إفريقية وقتلوا من كان بها من قريش وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع ، واشتد البلاء على أهل القيروان وأنكرت ذلك من فعل ورفجومة ومن إليهم من نفزاوة برابرة طرابلس الإباضية من هوارة وزناتة ، فخرجوا واجتمعوا إلى أبي الخطاب عليها ، واجتمع إليه سائر البربر الذين كانوا هنالك من زناتة وهوارة ، وزحف بهم إلى القيروان فقتل عبد الملك بن أبي الجعد وسائر ورفجومة ونفزاوة ، واستولى على القيروان سنة إحدى وأربعين .

وقدم محمد بن الأشعث والياً على إفريقية من أبي جعفر المنصور ، فزحف إليه أبو الخطاب ، ولقيه بسرت فهزموا ابن الأشعث وقتل البربر ببلاد ريغا ، وفر عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى تاهرت بالمغرب الأوسط ، واجتمعت إليه طوائف البربر الإباضية من لماية ولواتة وورجالة ونفزاوة ، فنزل بها واختط مدينتها سنة أربع وأربعين . وضبط ابن الأشعث إفريقية ، وخاف البربر .

ثم انتقض البربر من بعد ذلك أيام عمر بن حفص من ولد قبيصة ابن أبي صفرة ، أخي المهلب . وكان تغلب هوارة منذ سنة إحدى وخمسين ، واجتمعوا بطرابلس وقدموا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب بن مرين بن يطوفت من أمراء مغيلة ، ويسمى أبا قادم ، ورجفت بجنود عمر بطبنة في اثني عشر عسكراً . وكان منهم أبو قرة في أربعين ألفاً من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم في ستة آلاف من الإباضية والمسور بن هانىء في عشرة آلاف كذلك وجرير بن مسعود فيمن تبعه من مديونة وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي في ألفين منهم من الصفرية . واشتد الحصار على عمر بن حفص فأعمل الحيلة

في الخلاف ، وأعطى ابنه في إتمام ذلك أربعة آلاف ، وافترقوا وارتحلوا عن طبنة ؛ ثم بعث بعثاً إلى ابن رستم فهزمه ودخل تاهرت مفلولاً ، وزحف عمر بن حفص إلى أبي حاتم والبربر الإباضية الذين معه ونهضوا إليه ، فخالفهم إلى القيروان وشحنها بالأقوات والرجال ، ثم لقي أبا حاتم والبربر وهزموه ، ورجع إلى القيروان وحاصروه ، وكانوا في ثلاثمائة وخمسين ألفاً ، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً ، وكانوا كلّهم إباضية . وطال الحصار وقُتل عمر بن حفص في بعض أيامه سنة أربع وخمسين ومائة ، وصالح أهل القيروان أبا حاتم على ما أحب ، وارتحل . وقدم يزيد بن قبيصة بن المهلب سنة أربع وخمسين ومائة والياً على إفريقية فزحف إليه أبو حاتم بعد أن خالف عليه عمر بن عثمان الفهري وافترق أمرهم ، فلقيه يزيد بن حاتم بطرابلس ، فقتل أبو حاتم وانهزم البربر . ولحق عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن من أصحاب أبي حاتم بكتامة ، وبعث المخارق بن غفار الطائي ، فحاصره ثمانية أشهر ثم غلب عليه فقتله ومن كان معه من البربر ، وهربوا إلى كل ناحية . وكانت حروبهم مع الجند من لدن قتل عمر بن حفص بطبنة إلى القضاء ثلاثمائة وخمسة وسبعين حرباً . وقدم يزيد إفريقية فزال فسادها ورتب القيروان .

[٦ : ١١٤] وأما نفوسة فهم بطن واحد تنسب إليه نفوسة كلّها ، وكانوا من أوسع قبائل البربر ، فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور وبني مكسور وماطومة . وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما إليها ، وهنالك الجبل المعروف بهم . وهم على ثلاث مراحل من قبلة طرابلس يسكنه اليوم بقاياهم .

[٦ : ١١٥] واستولت نفزاوة على القيروان وقتلوا من كان بها من قريش وسائر العرب وربطوا دوابهم بالمسجد . وعظمت حوادثهم وأنكر ذلك عليهم الإباضية من برابرة طرابلس ، وتولى كبرها زناتة وهوارة فاجتمعوا إلى الخطاب بن السمح ورجالات العرب ، واستولوا على طرابلس ثم على القيروان

سنة إحدى وأربعين وقتلوا عبد الملك بن أبي الجعد وأثخنوا في قومه من نفزاوة وورفجومة ورجعوا إلى طرابلس بعد أن استعمل أبو الخطاب على القيروان عبد الرحمن بن رستم . واضطرم المغرب وعظمت فتنة ورفجومة هؤلاء إلى أن قدم محمد بن الأشعث سنة ست وأربعين من قبل المنصور فأثخن في البربر وأطفأ نار هذه الفتنة ، كما قدمناه .

[٦ : ١١٧] وكان لواتة هؤلاء ظواعن في مواطنهم بنواحي برقة ، كما ذكره المسعودي ، وكان لهم في فتنة أبي يزيد آثار ، وكان منهم بجبل أوراس أمة عظيمة ظاهروا أبا يزيد مع بني كملان على أمره ، ولم يزالوا بأوراس لهذا العهد مع من به من قبائل هوارة وكتامة .

[٦ : ١٢١] ولمّا تحزّب الإباضية بناحية طرابلس منكرين على ورفجومة فعلهم في القيروان ، كما مرّ ، واجتمعوا إلى أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إمام الإباضية ، فملكوا طرابلس ثم ملكوا القيروان وقتل واليها مروان بجومة عبد الملك بن أبي الجعد ، وأثخنوا في ورفجومة وسائر مغراوة سنة إحدى وأربعين ، ورجع أبو الخطاب والإباضية الذين معه من زناتة وهوارة وغيرهم بعد أن استخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم . وبلغ الخبر بفتنة ورفجومة هذه واضطراب الخوارج من البربر بإفريقية والمغرب وتسلقهم على الكرسي للإمارة بالقيروان إلى المنصور أبي جعفر فسرح محمد بن الأشعث الخزاعي في العساكر إلى إفريقية وقلده حرب الخوارج بها ، فقدمها سنة أربع وأربعين ، ولقيهم أبو الخطاب في جموعه قريباً من طرابلس فأوقع به ابن الأشعث وبقومه ، وقُتل أبو الخطاب وطار الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن رستم بمكان إمارته في القيروان ، فاحتمل أهله وولده ولحق بإباضية المغرب الأوسط من البرابرة الذين ذكرناهم ، ونزل على لماية لقديم حلف بينه وبينهم ، فاجتمعوا إليه وبايعوا له بالخلافة ونظروا في مدينة ينصبون بها كرسي

إمارتهم ، فشرعوا في بناء مدينة تاهرت في سفح جبل كزول السياح على تلول منداس ، واختطوها على وادي ميناس النابعة منه عيون بالقبلة وتمر بها وبالبطحاء إلى أن تصب في وادي شلف ، فأسسها عبد الرحمن بن رستم واختطها سنة أربع وأربعين ومائة ، فربت واتسعت خطتها إلى أن هلك عبد الرحمن وولي ابنه عبد الوهاب من بعده ، وكان رأس الإباضية ، وزحف سنة ست وتسعين مع هوارة إلى طرابلس ، وبها عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب من قبل أبيه ، فحاصره في جموع الإباضية من البربر إلى أن هلك إبراهيم ابن الأغلب ، واستقدم عبد الله بن الأغلب لإمارته بالقيروان فصالح عبد الوهاب على أن تكون الضاحية لهم ، وانصرف إلى نفوسة ولحق عبد الله بالقيروان وولى عبد الوهاب ابنه ميموناً ، وكان رأس الإباضية والصفرية والواصلية ، وانصرف إلى نفوسة وكان يسلم عليه بالخلافة ، وكان أتباعه من الواصلية وحدهم ثلاثين ألفاً ظواعن ساكنين بالخيام .

[٦ : ١٤١] وكانت مواطن الجمهور من هوارة هؤلاء ، ومن دخل في نسبهم من إخوانهم البرانس والصمغر ، لأول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة ، كما ذكره المسعودي والبكري . وكانوا ظواعن وآهلين . ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوروا لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه إفريقية . ويعرفون بنسبهم هكارة قلبت العجمة واوه كافاً أعجمية تخرج بين الكاف العربية والقاف ، وكان لهم في الردة وحروبها آثار ومقامات ، ثم كان لهم في الخارجية والقيام بها ذكر ، وخصوصاً بالإباضية منها . وخرج على حنظلة منهم عبد الواحد بن يزيد مع عكاشة الفزاري فكانت بينهما وبين حنظلة حروب شديدة ثم هزمهما وقتلهما وذلك سنة أربع وعشرين ومائة أيام هشام بن عبد الملك . وخرج على يزيد ابن حاتم سنة ست وخمسين ومائة يحيى بن فوناس منهم ، واجتمع إليه كثير

من قومه وغيرهم ، وزحف إليه قائد طرابلس عبد الله بن السمط الكندي على شاطىء البحر بسوارية من سواحلهم ، فانهزم وقتل عامة هوارة . وكان منهم مع عبد الرحمن بن حبيب مجاهد بن مسلم من قواده .

ثم ثارت هوارة من بعد ذلك على إبراهيم بن الأغلب سنة ست وتسعين ومائة ، وحاصروا طرابلس وافتتحوها فخربوها . وتولى كبر ذلك منهم عياض ووهب ، وسرح إبراهيم إليهم ابنه أبا العباس ، فهزمهم وقتلهم وبنى طرابلس . وجأجأ هوارة بعبد الوهاب بن رستم من مكان إمارتهم بتاهرت فجلاهم . واجتمعوا إليه ومعهم قبائل نفوسة وحاصروا أبا العباس ابن الأغلب بطرابلس إلى أن هلك أبوه إبراهيم بالقيروان . وقد عهد إليه فصالحهم على أن تكون الصحراء لهم ، وانصرف عبد الوهاب إلى نفوسة . ثم صحوا بعد ذلك وغزوا مع الجيوش صقلية .

ومن هوارة لهذا العهد بمصر أوزاع متفرقون أوطنوها أكرة وعبارة وشاوية ، وآخرون موطنون ما بين برقة والإسكندرية يُعرفون بالمشانية ويظعنون مع العزة من بطون هيب من سليم بأرض التلول من إفريقية ، ما بين تبسة إلى مرماجنة إلى باجة ، ظواعن صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم ، قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم . فأولهم ممّا يلي تبسة قبيلة ونفن ، ورياستهم لهذا العهد في ولد يفرن بن حناش لأولاد دحمان بن فلان بعده ، وكانت الرياسة قبلهم سارية من بطون ونفن ومواطنهم ببسائط مرماجنة وتبسة وما إليهما ، وبينهم قبيلة أخرى في الجانب الشرقي منهم يُعرفون بقيصرون ، ورياستهم في بيت بني مرمن ما بين ولد زعازع وولد حركات ، ومواطنهم بفحص آبه وما إليها من نواحي الأربس . وتليهم إلى جانب الشرق قبيلة

أخرى منهم يُعرفون بنصورة ورياستهم في بيت الرمامنة لولد سليمان بن جامع منهم ، ويراد بهم في رياسة نصرة قبيلة وربهامة ، ومواطنهم ما بين تبسة إلى صامتة إلى جبل الزنجار إلى اطار على ساحل تونس وبسائطها ، ويجاورهم متساحلين إلى ضواحي باجة قبيلة أخرى من هوارة يُعرفون ببني سليم ، ومعهم بطن من عرب نصر من هذيل بن مدركة بن الياس جاءوا من مواطنهم بالحجاز مع العرب الهلاليين عند دخولهم إلى المغرب ، وأوطنوا بهذه الناحية من إفريقية ، واختلطوا بهوارة ، ودخلوا في عدادهم ؛ ومعهم أيضاً بطن آخر من بطون رياح من هلال ينتمون إلى عتبة بن مالك بن رياح صاروا في عدادهم وجروا على مجراهم في الظعن والمغرم ومعهم أيضاً بطن من مرداس بني سليم يعرفون ببني حبيب ويقولون هو حبيب بن مالك ، وهم غارمة مثل سائر هوارة ، وضواحي إفريقية من هذا العهد معهودة لهؤلاء الظواعن ، ومعظمهم من هوارة ، وهم أهل بقر وشاء وركوب للخيل . وللسلطان بإفريقية عليهم وظائف من الجباية وضعها عليهم دهاقين العمال بديوان الخراج قوانين مقررة ، ويضرب عليهم مع ذلك البعث في غزوات السلطان بعسكر مفروض يحضر بمعسكر السلطان متى استنفروا لذلك . ولرؤسائهم آراء قاطعات ومكان في الدول بين رجالات البدو ؛ ومن بطون هوارة بمواطنهم الأولى من نواحي طرابلس ظواعن وآهلون توزعتهم العرب من دباب فيما توزعوه من الرعايا وغلبوهم على أمرهم منذ ضحا عملهم من ظل الدولة ، فتملكوهم تملك العبيد للجباية منهم والاستكثار منهم في الانتجاع والحرب ، مثل برهونة وورقلة الظواعن ومجريس الموطنين بزنزور من وينفن ، وهي قرية من قرى طرابلس . ومن هوارة هؤلاء بآخر عمل طرابلس ممّا يلي بلد سرت وبرقة قبيلة يعرفون بمسراتة لهم كثرة واعتزاز ، ووضائع العرب عليهم قليلة ويعطونها من عزة ، وكثيراً ما ينقلون في سبيل التجارة

بلاد مصر والإسكندرية وفي بلاد الجريد من إفريقية وبأرض السودان إلى هذا العهد . (واعلم) أن في قبلة قابس وطرابلس جبالاً متصلاً بعضها ببعض من المغرب إلى المشرق ؛ فأولها من جـانب الغرب جبل دمر ، يسكنه أمم من لواتة ويتصلون في بسطه إلى فاس وصفاقس من جانب الغرب وأمم أخرى من نفوسة من جانب الشرق ، وفي طوله سبع مراحل ويتصل به شرقاً جبل نفوسة ، تسكنه أمة كبيرة من نفوسة ومغراوة وسدراتة ، وهو قبلة طرابلس على ثلاث مراحل عنها وفي طوله سبع مراحل ، ويتصل به من جانب الشرق جبل مـلاتة ويعتمره قبائل هوارة إلى بلد مسراتة وبرقة ، وهو آخر جبال طرابلس . وكانت هذه الجبال من مواطن هوارة ونفوسة ولواتة ، وكانت هنالك مدينة صغيرة [هي] بلد نفوسة قبل الفتح ؛ وكانت برقة من مواطن هوارة هؤلاء ، ومنهم مكان بني خطاب ملوك زويلة أحد أمصار برقة ، كانت قاعدة ملكهم حتى عرفت بهم ، فكان يقال زويلة ابن خطاب ، ولما خربت انتقلوا منها إلى فزان من بلاد الصحراء وأوطنوها . وكان لهم بها ملك ودولة حتى إذا جاء قراقوش الغزي الناصري ، مملوك تقي الدين ابن أخي صلاح الدين ، كما نذكر في مكانه عند ذكر الغوري بن مسوفة وأخباره، وافتتح زلة وأوجلة وافتتح فزان بعدها ، وتقبض على عاملها محمد بن خطاب ابن يصلتّن بن عبد الله بن صنفل بن خطاب آخر ملوكهم وامتحنه وطالبه بالأموال وبسط عليه العذاب إلى أن هلك ، وانقرض أمر بني خطاب هؤلاء الهواريين .

[٦ : ١٥٦] ولما كان سنة سبع وستين رغب بلكين من الخليفة نزار بن المعز أن يضيف إليه عمل طرابلس وسرت وأجدابية ، فأجابه إلى ذلك وعقد له عليها ، ورحل عنها عبد الله بن يخلف الكتامي وولي بلكين عليها من قبله .

[٦ : ١٦٢] وبعث [جرجي قائد الأسطول الصقلي] أسطولاً إلى صفاقس

فملكها ، وآخر إلى سوسة فملكها أيضاً ، وآخر إلى طرابلس كذلك ؛ واستولى رجار صاحب صقلية على بلاد الساحل كلّها ؛ ووضع على أهلها الجزى ، وولى عليهم كما نذكره ، إلى أن استنقذهم من ملكة الكفر عبد المؤمن شيخ الموحدين وخليفة إمامهم المهدي .

[٦ : ١٦٧] وكان آخر من ملكها (أي مدينة قابس) من بني جامع أخوه مدافع بن رشيد بن كامل . ولمّا استولى عبد المؤمن على المهدية وصفاقس وطرابلس بعث ابنه عبد الله بعسكر إلى قابس ، ففرّ مدافع بن رشيد عن قابس وأسلمها للموحدين ولحق بعرب طرابلس من عرب [. . .] فأجاروه سنتين ، ثم لحق بعبد المؤمن بقابس فأكرمه ورضي عنه ، وانقرض ملك بني جامع بقابس .

الخبر عن ثورة رافع بن مكن بن مطروح بطرابلس

[٦ : ١٦٨] أمّا طرابلس فكان رجار صاحب صقلية ، لعنه الله ، قد استولى عليها سنة أربعين وخمسمائة على يد قائده جرجي بن مخائيل الأنطاكي ، وأبقى المسلمين بها واستعمل عليهم . وبقيت في ملكة النصارى أياماً ، ثم إن أبا يحيى ابن مطروح من أعيان البلد مشى في وجوه الناس وأعيانهم وداخلهم في الفتك بالنصارى ، فاجتمعوا لذلك وثاروا بهم وأحرقوهم بالنار . ولمّا وصل عبد المؤمن إلى المهدية وافتتحها سنة خمس وخمسين وفد عليه أبو يحيى ابن مطروح ووجوه أهل طرابلس فأوسعهم برّاً وتكرمة ، وقدّم ابن مطروح المذكور [. . .] وردهم إلى بلدهم ، فلم يزل عليهم إلى أن هرم وعجز بعد يوسف ابن عبد المؤمن ، وطلب الحج فسرحه السيد أبو زيد ابن أبي حفص محمد بن عبد المؤمن عامل تونس ، فارتحل في البحر سنة ست وثمانين واستقر بالإسكندرية .

[٦ : ١٩١] وارتحل [علي بن غانية] إلى طرابلس وفيها قراقش الغزي المطغري ، وكان من خبره على ما نقل أبو محمد التيجاني في كتاب رحلته أنّ صلاح الدين صاحب مصر بعث تقي الدين ابن أخيه تورانشاه إلى المغرب لافتتاح ما أمكنه من مدينة تكون له معقلاً يتحصن فيه من مطالبة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام الذي كان صلاح الدين وعمّه من وزرائه ، واستعجلوا النصر فخشوا عاديته ؛ ثم رجع تقي الدين من طريقه لأمر عرض له ، ففرّ قراقش الأرمني بطائفة من جنوده وفرّ إبراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظمي [نسبة] لسيده الملك المعظم صاحب الدولة ابن أيوب أخي صلاح الدين ؛ فأما قراقش فلحق بسنترية وافتتحها وذلك سنة ست وثمانين ، وخطب فيها لصلاح الدين ولأستاذه تقي الدين وكتب لهما بفتح زويلة ، وغلبه ابن خطاب الهواري على ملك فزان ، وكانت ملكاً لعمه محمد بن الخطاب بن يصلتن بن عبد الله بن صنفل بن خطاب ، وهو آخر ملوكهم ، وكانت قاعدة ملكه زويلة وتعرف بزويلة ابن خطاب ، فقبض عليه وغلبه على المال حتى هلك . ولم يزل يفتح البلاد إلى أن وصل طرابلس واجتمع عليه عرب دياب بن سليم ، ونهض بهم إلى جبل نفوسة فملكه واستخلص أموال العرب ، واتصل به مسعود بن زمام شيخ الزواودة من رياح عند مفره من المغرب ، كما ذكرناه ، واجتمعت أيديهم على طرابلس وافتتحها ، واجتمع إليه ذؤبان العرب من هلال وسليم ، وفرض لهم العطاء واستبد بملك طرابلس وما وراءها . وكان قراقش من الأرمن ، وكان يقال له المعظمي والناصري لأنه يخطب للناصر صلاح الدين ، وكان يكتب في ظهائره ولي أمْرِ المؤمنين بسكون الميم ويكتب علامة الظهيرة بخطه « وثقت بالله وحده » أسفل الكتاب . وأما إبراهيم بن قراتكين صاحبه فإنّه سار مع العرب إلى قفصة فملك جميع منازلها وأرسل إلى بني المرند رؤساء قفصة فأمكنوه من البلد

لانحرافهم عن بني عبد المؤمن ، فدخلها وخطب للعباس ولصلاح الدين إلى أن قتله المنصور عند فتح قفصة .

رجع الخبر إلى ابن غانية

ولمّا وصل علي بن غانية إلى طرابلس ولقي قراقش اتفقا على المظاهرة على الموحدين واستمال ابن غانية كافّة بني سليم من العرب وما جاورهم من غلاّتهم مسوفة ، وخالطوه في ولايتهم ، واجتمع إليه من كان منحرفاً عن طاعة الموحدين من قبائل هلال مثل جشم ورياح والأثبج ، وخالفتهم زغبة إلى الموحدين ، فاحتفلوا بطاعتهم سائر أيامهم . ولحق بابن غانية فل قومه من لمتونة ومسوفة من أطراف البقاع ، فانعقد أمره وتجدد بذلك القطر سلطان قومه ، وجدد رسوم الملك واتخذ الآلة وافتتح كثيراً من بلاد الجريد وأقام فيها الدعوة العباسية .

[٦ : ١٩٣] وقام بالأمر أخوه يحيى بن إسحق بن محمد بن غانية ، وجرى في مظاهرة قراقش وموالاته على سنن أخيه علي . ثم نزع قراقش إلى طاعة الموحدين سنة ست وثمانين فهاجر إليهم بتونس وتقبله السيد أبو زيد ابن أبي حفص بن عبد المؤمن ، وأقام معه أياماً ثم فر ووصل إلى قابس فدخلها مخادعة وقتل جماعة منهم واستبد على أشياخ دباب والكعوب من بني سليم فقتل سبعين منهم بقصر العروسين ، كان منهم محمود بن طوق أبو المحاميد وحميد ابن جارية أبو الجواري ، ونهض إلى طرابلس فافتتحها ورجع إلى بلاد الجريد فاستولى على أكثرها ، ثم فسد ما بينه وبين يحيى بن غانية ، وسار إليه يحيى فانتهز قراقش ولحق بالجبال وتوغل فيها ، ثم فرّ إلى الصحراء ونزل ودان ، ولم يزل بها إلى أن حاصره ابن غانية من بعد ذلك بمدة وجمع عليه أهل الثأر من

دباب واقتحمها عليه عنوة وقتله وابنه بالموحدين ، ولم يزل بالحضرة إلى أيام المستنصر ، ثم فرّ إلى ودان وأجلب في الفتنة ، فبعث إليه ملك كام من قتله لست وخمسين وخمسمائة (رجع الخبر) . واستولى ابن غانية على الجريد، واستنزل ياقوت مولى قراقش من طرة ، كذا ذكره التجاني في رحلته ، ولحق ياقوت بطرابلس ونازله ابن غانية بها ، وطال أمر حصاره وبالغ ياقوت في المدافعة ، وبعث يحيى يستعين بأسطول ميورقة ، فأمده أخوه عبد الله بقطعتين منه ، فاستولى على طرابلس وأشخص ياقوت إلى ميورقة واعتقل بها إلى أن أخذها الموحدون .

[٦ : ١٩٤] ولما فرغ ابن غانية من أمر طرابلس ولّى عليها تاشفين ابن عمّه الغاني وقصد قابس فوجد بها عامل الموحدين ابن عمر تافراكين بعثه إليهم صاحب تونس الشيخ أبو سعيد ابن أبي حفص ، فاستدعاه أهلها لما فرّ عنهم نائب قراقش ، أخذ ابن غانية لطرابلس فنازل قابس وضيق عليها حتى سألوه الأمان على أن يخلي سبيل ابن تافراكين ، فعقد لهم ذلك وأمكنوه من البلد فملكه سنة إحدى وتسعين وأغرمهم ستين ألف دينار .

[٦ : ١٩٦] وأجمع ابن غانية النهوض لقتال الموحدين بتونس ، وجمع ذؤبان العرب من الزواودة وغيرهم ، وأوفد الزواودة يومئذ محمد بن مسعود البلط بخبر بني عوف بن سليم إلى الموحدين ، والتقوا بشبور من نواحي تبسة فانهزمت جموع ابن غانية ولجأ إلى جهة طرابلس .

ثم اجتمع إلى ابن غانية طوائف العرب من رياح وعوف وهيب ومن معهم من قبائل البربر ، وعزم على دخول إفريقية ونهض إليهم الشيخ أبو محمد سنة ست ولقيهم بجبل نفوسة ، ففلّ عسكرهم واستلحم أمرهم وغنم ما كان معهم من الظهر والكراع والأسلحة ، وقتل يومئذ محمد بن الغاني وجرار بن يفرن ، وقتل معه ابن عمّه حركات بن أبي الشيخ بن عساكر

ابن سلطان ، وهلك يومئذ من العرب الهلاليين أمير قرّة سماد بن نحيل . (حكى) ابن نحيل أن مغانم الموحدين يومئذ من عساكر الملثمين كانت ثمانية عشر ألفاً من الظهر . فكان ذلك ممّا أوهن من شدته وطامن من بأسه ، وثارت قبائل نفوسة بكبت ابن عصفور فقتلوا ولديه . وكان ابن غانية يبعثه عليهم للمغرم ، وسار أبو محمد في نواحي إفريقية ورفع سلبهم واستئثار أشياخهم بأهلهم وأسكنهم بتونس حسماً لفسادهم . وصلحت أحوال إفريقية إلى أن هلك الشيخ أبو محمد سنة ثماني عشرة ، وولي أبو محمد السيد أبو العلا إدريس بن يونس بن عبد المؤمن ، ويقال بل وليها قبيل مهلك الشيخ أبي محمد ، فاستطار بعد مهلكه سور بن عباية ولحم ، فعابه رعيته ونهض إليه السيد أبو العلا ، ونزل قابس وأقام بقصر العروسين ، وسرح ولده السيد أبا زيد بعسكر من الموحدين إلى درج وغدامس ، وسرح عسكراً آخر إلى ودان لحصار ابن غانية ، فأرجف بهم العرب ونهضوا وهمّ بهم السيد أبو العلا ، وفر ابن غانية إلى الزاب ، واتبعه السيد أبو زيد فنازل بسكرة واقتحمها عليه ونجا ابن غانية فجمع أوباشاً من العرب والبربر ، واتبعه السيد أبو زيد في الموحدين وقبائل هوارة ، وتزاحفوا بظاهر تونس سنة إحدى وعشرين فانهزم ابن غانية وجموعه ، وقتل كثير من الملثمين ، وامتلأت أيدي الموحدين من الغنائم . وكان طرأ له يومئذ حماس من بعد ما سعى في هذا الزحف أثر مذكور وبلاء حسن ، وبلغ السيد أبا زيد إثر هذه الوقيعة خبر مهلك أبيه بتونس فانكفأ راجعاً ، وأعيد بنو أبي حفص إلى مكان أبيهم الشيخ أبي محمد ابن أثال بإفريقية ، واستقل الأمير أبو زكريا منهم بأمرها واقتلعها عن ملكة بني عبد المؤمن وتناولها من يد أخيه أبي محمد ، وهذا الأمير أبو زكريا هو جد الخلفاء الحفصيين وماهد أمرهم بإفريقية ، فأحسن دفاع ابن غانية عنها وشرّده في أقطارها ورفع يده شيئاً فشيئاً عن النيل من أهلها

ورد إياها . ولم يزل شريداً مع العرب بالقفار ، فبلغ سجلماسة من أقصى المغرب والعقبة الكبرى من تخوم الديار المصرية ، واستولى على ابن مدكود صاحب السويقة من تخوم برقة ، وأوقع بمغراوة لواجد ما هو بلخة ومليانه (؟) وقتل أميرهم منديل بن عبد الرحمن وصلب شلوه بسور الجزائر .

[٦ : ٢٣٧] ونهض يغذّ السير حتى نزل المهدية ، وبها من نصارى أهل صقلية ، فافتتحها صلحاً سنة خمس وخمسين ، واستنقذ جميع البلاد الساحلية مثل صفاقس وطرابلس من أيدي العدو .

[٦ : ٢٤٣] وقصد علي بن غانية قفصة فملكها ونازل توزر فامتنعت عليه ولحق بطرابلس ، وخرج غزي الصنهاجي من جموع ابن غانية في بعض أحياء العرب ، فتغلب على أشير ، وسرح إليهم السيد أبو زيد ابنه أبا حفص عمر ، ومعه غانم بن مردنيش ، فأوقعوا بهم ، واستولى على حللهم وقتل غزي وسيق رأسه إلى بجاية ونصب بها وألحق به عبد الله أخوه ، وغزا بنو حمدون من بجاية إلى سلا لاتهامهم بالدخول في أمر ابن غانية : واستقدم الخليفة السيد أبا زيد من مكانه بجاية وقدم مكانه أخاه السيد أبا عبد الله وانصرف إلى الحضرة ، وبلغ الخبر أثناء ذلك باستيلاء علي بن الروبرتير على ميورقة . وبلغ الخبر علي بن غانية بمكانه من طرابلس فبعث أخاه عبد الله إلى صقلية ، وركب منها إلى ميورقة ونزل في بعض قراها ، وأعمل الحيلة في تملك البلد .

[٦ : ٢٤٨] ثم إن ابن غانية لمّا تغلب على المهدية وعلى قراقش الغزي صاحب طرابلس ، وقد مرت أخباره في أخبار ابن غانية ، ثم تغلب على بلاد الجريد ، ثم نزل تونس سنة تسع وتسعين وافتتحها عنوة ، وتقبض وطالب أهل تونس بالنفقة التي أنفق ، وبسط عليهم العذاب وتولى ذلك فيهم كاتبه ابن عصفور حتى هلك في الامتحان كثير من بيوتاتهم ، ثم دخل في دعوته أهل بونة وتسررت وسعارمة والأرض والقيروان وتبسة وصفاقس وقابس وطرابلس : وانتظمت

له أعمال إفريقية وفرق العمال وخطب للعباسي ، كما ذكرناه في أخباره ، ثم ولى على تونس أخاه الغازي ، ونهض إلى جبال طرابلس فأغرمهم ألف ألف دينار مكررة مرتين ، ورجع إلى تونس . واتصل بالناصر كثرة الهرج بإفريقية واستيلاء ابن غانية عليها وحصول السيد في قبضته ، فشاور الموحدين في أمره ، فأشاروا بمسالمة ابن غانية ، وأشار أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص بالنهوض إليها والمدافعة عنها ، فعمل على رأيه ونهض من مراكش سنة إحدى وستمائة ، وبعث الأسطول في البحر لنظر أبي يحيى ابن أبي زكريا الهزرجي ، فبعث ابن غانية ذخيرته وحرمه إلى المهدية مع علي بن الغاني ابن محمد بن علي . وانتقض أهل طرابلس على ابن غانية وأخرجوا عاملهم تاشفين بن الغاني ابن محمد بن علي بن غانية ، وقصدهم ابن غانية ، فافتتحها وخربها . ووصل أسطول الناصر إلى تونس ، فدخلوها وقتلوا من كان بها من أتباع ابن غانية ، ونهض الناصر في اتباع ابن غانية فأعجزه ، ونازل المهدية ، وبعث أبا محمد ابن الشيخ أبي حفص للقاء ابن غانية ، فلقيه بتاجرا فأوقع به وقتل جبارة وكاتبه ابن اللمطي وعامله الفتح بن محمد .

قال ابن نخيل : وكانت الغنائم من عسكره يومئذ ثمانية عشر ألفاً من أحمال المال والمتاع والخرثي والآلة ، ونجا بأهله وولده ، فأطلق السيد أبا زيد من الاعتقال بعد أن همّ حرسه بقتله عند الهزيمة ، ثم تسلم الناصر المهدية من يد علي بن الغازي المعروف بالحاج الكافر على أن يلحق بابن عمه ، فقبل شرطه ومضى لوجهه ، ثم رجع من طريقه واختار التوحيد ، فناله من الكرامة والتقريب ما لا فوقه ، وهلك في يوم العقاب الآتي ذكره . ثم فرض الناصر على المهدية ، واستعمل عليها محمد بن يغمور الهرغي ، وعلى طرابلس عبد الله بن إبراهيم بن جامع . ورجع إلى تونس فأقام إلى سنة ثلاث وستمائة ، وسرح أخاه السيد أبا إسحق في عسكر من الموحدين لاتباع العدو ، فدوخوا

ما وراء طرابلس واستأصلوا بني دمر ومطماطة وجبال نفوسة وتجاوزوها إلى سويقة بني مذكود ، وقفل السيد أبو إسحق بهم إلى أخيه الناصر بتونس وقد كمل الفتح .

[٦ : ٢٤٩] وفي سنة خمس بعدها عقد للسيد أبي عمران ابن يوسف بن عبد المؤمن على تلمسان ، أدال به من السيد أبي الحسن ، فوصل إلى تلمسان في عساكر الموحدين وتطوف أقطارها ، وزحف إليه ابن غانية هنالك : فانفض الموحدون وقتل السيد أبو عمران وارتاع أهل تلمسان ، وأسرع السيد أبو زكريا من فاس إليها فسكن نفوسهم خلال ما عقد الناصر لأبي زيد ابن يوجان على تلمسان ، وسرحه في العساكر فنزل بها ، وفر ابن غانية إلى مكانه من قاصية إفريقية ومعه محمد بن مسعود البلط شيخ الزواودة من رياح وغيره من أعراب رياح وسلم ، واعترضهم أبو محمد ابن أبي حفص فانكشفوا ، واستولى الموحدون على محلاتهم وما بأيديهم ، ولحقوا بجهات طرابلس ، ورجع عنهم سير بن إسحق آخذاً بدعوة الموحدين .

[٦ : ٢٧٨] وارتحل الناصر إلى المغرب ، ورجع عنه الشيخ أبو محمد من بجاية ، فقعد مقعد الإمارة بقصبة تونس في السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة وأنفذ أوامره واستكتب أبا عبد الله محمد بن أحمد بن نخيل . ورجع ابن غانية إلى نواحي طرابلس فجمع أحزابه وأتباعه من العرب من سليم وهلال ، وكان فيهم محمد بن مسعود في قومه من الزواودة ، وعاودوا عيثهم ، وخرج إليهم أبو محمد سنة أربع وستمائة في عساكر الموحدين ، وتحيز إليه بنو عوف من سليم ، وهم مرداس وعلاق . فلقيهم بشير ، فتواقعوا واحتربوا عامة يومهم ونزل النصر ، ثم انفض عسكر ابن غانية آخر النهار واتبعهم الموحدون والعرب واكتسحوا أموالهم ، وأفلت ابن غانية جريحاً إلى صبرة ورجع أبو محمد إلى تونس بالظفر والغنيمة .

[٦ : ٢٧٩] كان ابن غانية بعد واقعة أشير واستنقاذ أبي محمد تاهرت من يده خلص إلى جهة طرابلس وتلاحق به فل الملثمين وأولياؤه من العرب ، وكان المجلي معه في مواقف الزواودة من رياح وكبيرهم محمد بن مسعود ، فتوامروا واعتزموا على معاودة الحرب ، وتعاقدوا على الثبات والصبر ، وانطلقوا يستألفون الأعراب من كل ناحية حتى اجتمع إليهم من ذلك أمم كان فيهم رياح وزعب والشريد وعوف ودباب ونعات ، واحتفلوا في الاحتشاد وأجمعوا دخول إفريقية ، فبادرهم أبو محمد قبل وصولهم إليه وخرج من تونس سنة ست وأغذ السير إليهم ، وتزاحفوا عند جبل نفوسة ، واشتدت الحرب ، ولمّا حمي الوطيس ضرب أبو محمد أبنيته وفسطاطه وتحيّز إليه بعض الفرق من بني عوف بن سليم ، واختل مصاف ابن غانية واتبعه الموحدون إلى أن دخل في غيابات الليل ، وامتلأت أيديهم بالأسرى والغنائم وسيقت ظعائن العرب ، وقد كانوا قدّموها بين أيديهم للحفيظة أفذاذاً في الكر والفر ، فأصبحت مغنماً للموحدين وربات خدورها سبياً . وهلك في المعركة خلق من الملثمين وزناتة والعرب ، وكان فيهم اليه بن محمد بن مسعود البلط ابن سلطان شيخ الزواودة وابن عمه حركات بن أبي الشيخ بن عساكر بن سلطان وشيخ بني قرة وجرار بن يفرن كبير مغراوة ومحمد بن الغازي بن غانية في آخرين من أمثالهم ، وانصرف ابن غانية مهيض الجناح مفلول الحد محفوفاً باليأس من جميع جهاته ، وانقلب أبو محمد والموحدون أعزة ظاهرين ، واستفحل أمر أبي محمد بإفريقية وحسم عامة الفساد واستولى جبايتها ، وطالت مواقف حروبه ولم تهزم له راية .

[٦ : ٣٠٢] كان أحمد بن مرزوق أبو عمارة من بيوتات بجاية الطارئين عليها من المسيلة . نشأ ببجاية وسيماً محترفاً بصناعة الخياطة عمراً ، وكان يحدث نفسه بالملك لما كان يزعم أن العارفين يخبرونه بذلك . ثم اغترب عن

بلده ولحق بصحراء سجلماسة واختلط بعرب المعقل ، وانتمى إلى أهل البيت وادعى أنه الفاطمي المنتظر عند الأغمار وأنه يحيل المعادن إلى الذهب بالصناعة ، فاشتملوا عليه وحدثوا بشأنه أياماً . أخبرني طلحة بن مظفر من شيوخ العمارية إحدى بطون المعقل أنّه رآه أيام ظهوره بالمعقل ملتبساً بتلك الدعوى حتّى فضحه العجز ، ثم لما زهدوا فيه لعجز مدعاه ذهب يتقلب في الأرض حتّى وصل إلى جهات طرابلس ، ونزل على دباب وصحب منهم الفتى نصيراً مولى الواثق ابن المستنصر ويلقب بري ، ولما رآه تبين فيه شبهاً من الفضل ابن مولاه فطفق يبكي ويقبل قدميه ، فقال له ابن أبي عمارة : ما شأنك ؟ فقص عليه الخبر ، فقال : صدقني في هذه الدعوى وأنا أثئرك من قاتلهم . وأقبل نصير على أمراء العرب منادياً بالسرور بابن مولاه حتّى خيل عليهم . ثم نزل بادس إلى ابن أبي عمارة من محاورات وقعت بين العرب وبين الواثق قصها عليهم ابن أبي عمارة نفياً للريب بأمره ، فصدقوا واطمأنوا وأتوه ببيعتهم . وقام بأمره مرغم بن صابر بن عسكر أمير دباب ، وجمع له العرب ، ونازلوا طرابلس ، وبها يومئذ محمد بن عيسى الهنتاني ، وشهر بعتق الفضة ، فامتنعت عليهم ، ورحلوا إلى المجريسيين الموطنين بزنزور وجهاتها من هوارة فأوقعوا بهم ، ثم سار في تلك النواحي واستوفى جباية لماية وزواوة وأغرم نفوسة وغريان ونفزة من بطون هوارة وضائع ألزمها إياهم واستوفاها ، ثم زحف إلى قابس فبايع له عبد الملك بن مكي في رجب سنة إحدى وثمانين وأعطاه صفقته طواعية وفاء بحق آبائه فيما طوقوه وذريعة إلى الاستقلال الذي كان يؤمله ، وأعلن بخلافته ونادى بقومه ، واستخدم له بني كعب ابن سليم ورياستهم في بني شيخه لعبد الرحمن بن (. . .) فأجابوا داعيه وأنابوا إلى خدمته ، وتوافت إليه بيعة أهل جربة والحامة وقرى نفزاوة ، ثم زحف إلى توزر وبلاد قصطيلة فأطاعوه ، ثم رجع إلى قفصة فبايع له أهلها ،

وعظم أمره وعلا صيته ، فجهز إليه السلطان أبو إسحق العساكر من تونس ، كما نذكره ، والله تعالى أعلم .

لما تفاقم أمر الدعي بنواحي طرابلس ودخل الكثير من أهل الأمصار في طاعته جهز السلطان عساكره وعقد لابنه الأمير أبي زكريا على حربه ، فخرج من تونس ونازل القيروان واقتضى منها غرائم ووضائع استأثر منها بأموال . ثم ارتحل إلى لقاء الدعي ، وانتهى إلى غردة ، وبلغه هنالك ما كان من استيلاء الدعي على قفصة ، فأرجف به العسكر وانفضوا من حوله ورجع إلى تونس فدخلها آخر يوم من رمضان من سنته ، وارتحل الدعي على أثره من قفصة واحتل بالقيروان فبايع له أهلها ، واقتدى به أهل المهدية وصفاقس وسوسة فبايعوا له . وكثر الإرجاف بتونس فاضطرب السلطان وأخرج معسكره بظاهر البلد في وسط شوال وضرب الغزو على الناس واستكثر من العدد وخرج إلى معسكره بظاهر البلد وتلوم بها لإزاحة العلل . وارتحل الدعي من القيروان زاحفاً إليه فتسربت إليه طبقات الجنود ومشيخة الموحدين ، رضي الله عنهم ، بمكانه وطاغية بني المستنصر خليفتهم الطويل أمد الولاية عليهم رحمة لما نازل الواثق وأبناؤه من عملهم ، ثم انفض عن السلطان كبير الدولة موسى بن ياسين في معظم من الموحدين ، ولحق الدعي بطريقه فاختل أمر السلطان وانتقضت عرى ملكه وفر إلى بجاية ، كما نذكره إن شاء الله تعالى .

[٦ : ٣٠٨] كان أبو دبوس آخر خلفاء بني عبد المؤمن بمراكش لما قتل سنة ثمان وخمسين وستمائة . وافترق بنوه وتقلبوا في الأرض ، لحق منهم عثمان بشرق الأندلس ونزل على طاغية برشلونة فأحسن تكريمه ووجد هنالك أعقاب عمه السيد أبي زيد المتنصّر أخي أبي دبوس في مثواهم من إيالة العدو ، وكان لهم هنالك مكان وجاه لنزوع أبيهم السيد أبي زيد عن دينه إلى دينهم ، فاستبلغوا في مساهمة قريبهم هذا الوافد ، وخطبوا له عن الطاعة خطباً ،

ووافق ذلك حصول مرغم بن صابر بن عسكر شيخ الجواري من بني دباب في قبضة أسره ؛ وكان قد أسره الغزاة من أهل صقلية بنواحي طرابلس سنة ثنتين وثمانين وباعوه من أهل برشلونة ، فاشتراه الطاغية وأقام عنده أسيراً إلى أن نزع إليه عثمان بن أبي دبوس هذا ، كما ذكرناه ، وشهر بطلب حق الدعوة الموحدية ، وأمل الظفر في القاصية لبعدها عن الحامية ، فعبر البحر إلى طرابلس ، وكان من حظوظ كرامته عند الطاغية أن أطلق له مرغم بن صابر وعقد له حلفاً معه على مظاهرته وجهز له أساطيل وشحنها بالمدد من المقاتلة والأقوات على مال شرطوه ، فنزلوا على طرابلس سنة ثمان وثمانين ، واحتشد مرغم قومه وحملهم على طاعة ابن أبي دبوس ونازلوا البلد معه ومع جنده من النصرانية فحاصروهم ثلاثاً ، وساء أثرهم فيها ، ثم رحل النصارى بأسطولهم ورسوا بأقرب السواحل إلى البلد ، وتنقل ابن أبي دبوس ومرغم في نواحي طرابلس بعد أن أنزلوا عليها عسكراً للحصار ، فاستوفوا من جباية المغارم والوضائع مالاً دفعوه للنصارى في شرطهم ، وانقلبوا في أسطولهم ، وأقام ابن أبي دبوس يتقلب مع العرب . واستدعاه ابن مكي من بعد ذلك لأن يشتد به في استبداده فلم يتم أمره إلى أن هلك بجربة ، والله وارث الأرض ومن عليها .

[٦ : ٣٢٤] واتصل [بالسلطان الحفصي] أن أبا يحيى زكريا بن أحمد اللحياني قفل من المشرق وأنه لما انتهى من طرابلس دعا لنفسه لما وجد بإفريقية من الاضطراب ، فبويع وتوافت إليه العرب من كل جهة ، فرأى السلطان من مذاهب الحزم أن يبعث إليه بالحاجب ابن أبي عبد الرحمن بن عمر ليشيد من سلطانه ويشتغل أهل الحضرة عنه ، فورى بالفرار عن السلطان وتواطأ معه على المكر بابن مخلوف في ذلك ، ولحق ابن عمر باللحياني واستحثه لملك تونس وهوّن عليه الأمر .

[٦ : ٣٢٥] وكان أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد بن اللحياني ابن أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص قد بويع بطرابلس لما قفل من المشرق ورأى اضطراب الأحوال ، ووفد عليه هنالك الحاجب أبو عبد الرحمن ابن عمر بهدية من السلطان أبي بكر وأنّه يمدّه ويظاهره على شأنه ، فأحكم ذلك من عقدته وشدّ من أمره وتوافت إليه رجالات الكعوب وأولاد أبي الليل ، ومعهم شيخ دولته أبو عبد الله محمد بن محمد المزدوري ، فأغذوا السير إلى الحضرة ، وبعث السلطان إلى مولاه ظافر بمكانه من باجة مستجيشاً به ، فاعترضوه قبل وصوله وأوقعوا به واعتقلوا ظافراً وصبحوا تونس ثامن جمادى سنة إحدى عشرة ووقفوا بساحتها ، فكانت هيعة بالبلد قتل فيها شيخ الدولة أبو زكريا الحفصي وغدا القاضي أبو إسحق ابن عبد الرفيع على السلطان ، وكان متبوعاً صارماً قوي الشكيمة ، فأغراه بمدافعة العدو فخام عن لقائه واعتذر بالمرض وأشهد بالانخلاع عن الأمر وحلّ البيعة ، ودخل أبو عبد الله المزدوري القصر فاستمكن من اعتقاله ، ثم جاء السلطان أبو يحيى اللحياني على أثره بلا تأخر فبويع البيعة العامة بظاهرها ودخل إلى البلد واستولى عليه .

[٦ : ٣٣٠] كان السلطان أبو عيسى ابن اللحياني لما بلغه الخبر بنهوض السلطان إلى تونس حركته الثانية سنة سبع عشرة ؛ وما كان من بيعة الموحدين والعرب لابنه أبي ضربة ، وارتحل من مقامه بقابس إلى نواحي طرابلس ، ثم بلغه رجوع السلطان إلى قسنطينة ، فأوطن طرابلس أبا عبد الله ابن يعقوب قريب حاجبه ومعه هجرس بن مرغم كبير الجواري من دباب ، فدوّخ البلاد وفتح المعاقل وجبى الأموال ؛ وانتهى إلى برقة واستخدم آل سالم وآل سليمان من حزب دباب ، ورجع إلى سلطانه بطرابلس ووافاه الخبر بانهزام أبي ضربة ابنه ، فبعث حاجبه أبا زكريا ابن يعقوب ووزيره أبا عبد

الله ابن ياسمين بالأموال لاحتشاد العرب ففرقوها في علان ودباب ، وزحف أبو ضربة إلى القيروان ، وبلغ خبره إلى السلطان أبي بكر فخرج من تونس آخر شعبان من سنة ثماني عشرة ، فأجفلوا عن القيروان ثم تذامروا وعقلوا رواحلهم مستميتين بزعمهم ، حتى أطلت عليهم العساكر بمكان فج النعام فانفضت جموعهم وشردت رواحلهم وارتحلوا منهزمين والقتل والنهب يأخذ منهم مأخذه ، ولجأ أبو ضربة في فله إلى المهدية ، وكانوا مقيمين على دعوة أبيه ، فامتنع منها إلى أن كان من شأنه ما نذكره . وبلغ خبره إلى أبيه بمكانه من طرابلس فاضطرب معسكره وبعث إلى النصارى في أسطول يحمله إلى الإسكندرية فوافته ستة أساطيل ، فاحتمل أهله وولده وركب البحر ، ومعه حاجبه أبو زكريا ابن يعقوب ، إلى الإسكندرية ، واستخلف على طرابلس أبا عبد الله ابن أبي عمران من ذوي قرابته وصهره ، فلم يزل بها إلى أن استدعاه الكعوب ونصبوه للأمر وأجلبوا به على السلطان مراراً ، كما نذكره بعد . وركب السلطان أبو يحيى ابن اللحياني البحر إلى الإسكندرية فنزل بها على السلطان محمد بن قلاون من ملوك الترك بمصر والشام ، واستقدمه إلى مصر ، فعظم من مقدمه واهتز للقائه ونوه من مجلسه وأسنى من جرايته وإقطاعه إلى أن هلك سنة ثمان وعشرين . ورجع السلطان أبو بكر إلى تونس بعد الواقعة على أبي ضربة وقومه بفج النعام فدخلها في شوال من سنته ، واستقامت إفريقية على طاعته وانتظمت أمصارها وثغورها في دعوته إلى المهدية وطرابلس ، كما ذكرناه ، إلى أن كان ما يأتي ذكره ، إن شاء الله تعالى .

الخبر عن ظهور ابن أبي عمران وفرار ابن قالون إليه على عينه

[٦ : ٣٣٣] كان محمد بن أبي عمران هذا من أعقاب أبي عمران موسى ابن إبراهيم ابن الشيخ أبي حفص ، وهو الذي ولي إفريقية نائباً عن أبي محمد عبد الله ابن عمّه الشيخ أبي محمد عبد الواحد ، كتب له بها من مراكش لأول ولايته ، فأقام والياً عليها ثمانية أشهر إلى أن قدم آخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وأقام أبو عمران هذا في جملتهم إلى أن هلك ، ونشأ بنوه في ظل دولتهم إلى أن كان من عقبه أبو بكر والد محمد هذا ، فكان له صيت وذكر ، وكان السلطان أبو يحيى زكريا بن اللحياني قد رعى له ذمة قرابته ووصله بصهر عقده لابنه محمد على ابنته ، واستخلفه على تونس عند خروجه عنها ، ثم استخلفه على طرابلس عند ركوبه السفينة إلى الإسكندرية . وكان أبو ضربة بعد انهزامه وافتراق جموعه اعتصم بالمهدية ونازله بها السلطان أبو بكر فامتنعت عليه ، وأقلع عنها على سلم عقده لأبي ضربة . وأقام حمزة ابن عمر في سبيل خلافه على السلطان يتقلب في نواحي إفريقية حتى عظم زبونه على السلطان ونزع إليه الكثير من الأعراب وكثرت جموعه ، فاستقدم محمد بن أبي عمران من مكان ولايته لثغر طرابلس ، وزحف إلى تونس مفاوضاً إلى السلطان في كمال تعبيته ، فخرج السلطان أبو بكر عن تونس في رمضان من سنة إحدى وعشرين ولحق بقسنطينة .

[٦ : ٣٣٤] لما انهزم حمزة بن عمر عن تونس مرّة بعد أخرى ، ورأى محمد بن أبي عمران غير مغن عنه ، صرفه إلى مكان عمله بطرابلس وبعث إلى أبي ضربة ابن السلطان اللحياني بمكانه من المهدية ، فداخله في الصريخ بزناتة والوفود على سلطان بني عبد الواد ، فرحل معه أبو ضربة

ووفدوا على أبي تاشفين ، صاحب تلمسان ، ورغبوه في الظفر ببجاية ، وأن يشغل صاحب تونس عن مددها بترديد البعوث وتجهيز العساكر إليه .

[٦ : ٣٥٧] ونزع إليهم أيضاً أهل القاصية من إفريقية بطاعتهم ، فجاءوا في وفد واحد مع ابن مكي ، صاحب قابس ، وابن غلول ، صاحب توزر ، وابن العابد ، صاحب قفصة ، ومولاهم ابن أبي عنان ، صاحب الحامة ، وابن الخلف ، صاحب نفطة ، فلقوه بوهران وآتوه بيعتهم رغبةً ورهبةً وأدوا بيعة ابن ثابت ، صاحب طرابلس ، ولم يتخلف عنهم إلاّ من بعد داره .

الخبر عن حادثة طرابلس واستيلاء النصارى عليها ثم رجوعها إلى ابن مكي

[٦ : ٣٦٨] كانت طرابلس هذه ثغراً منذ الدول القديمة ، وكانت لهم عناية بحمايتها لما كان وضعها في البسيط ، وكانت ضواحيها قفراً من القبائل ، فكان النصارى أهل صقلية كثيراً ما يحدثون أنفسهم بملكها . وكان ميخائيل الأنطاكي صاحب أسطول رجار قد تملكها من أيدي بني خزرون من مغراوة آخر دولتهم ودولة صنهاجة ، كما ذكرنا ، ثم رجعها ابن مطروح ودخلت في دعوة الموحدين . ومرّت عليها الأيام إلى أن استبد بها ابن ثابت ووليها من بعده ابنه في أعوام خمسين وسبعمائة منقطعاً عن الحضرة ومقيماً رسم الدعوة . وكان تجار الجنويين يترددون إليها فاطلعوا على عوراتها وائتمروا في غزوها واتعدوا لمرساها ، فوافوه سنة خمس وخمسين وانتشروا بالبلد في حاجاتهم ، ثم بيتوها ذات ليلة فصعدوا أسوارها وملكوها عليهم ، وهتف هاتفهم بالحرب ، وقد لبسوا السلاح ، فارتاعوا وهبوا من مضاجعهم . فلمّا رأوهم بالأسوار لم يكن همهم إلا النجاة بأنفسهم ، ونجا ثابت بن محمد

مقدمهم إلى حلّة أعراب في الجوار وظنها من دباب إحدى بطون بني سليم فقتل لدم كان أصابه منهم ، ولحق أخواه بالإسكندرية واستباحها النصارى واحتملوا في سفنهم ما وجدوا بها من الحرثي والمتاع والعقائل والأسرى ، وأقاموا بها ، وداخلهم أبو العباس ابن مكي ، صاحب قابس ، في فدائها ، فاشترطوا عليه خمسين ألفاً من الذهب العين ، فبعث فيهم لملك المغرب السلطان أبي عنان يطرفه بمثوبتها ، ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده واستوهب ما بقي من أهل قابس والحامة وبلاد الجريد فجمعوها له حسبة ورغبة في الخير . وأمكنه النصارى من طرابلس فملكها واستولى عليها وأزال ما دنسها من وضر الكفر . وبعث السلطان أبو عنان بالمال إليه ، وأن يرد على الناس ما أعطوه وينفرد بمثوبتها وذكرها ، فامتنعوا إلا قليلاً منهم ، ووضع المال عند ابن مكي لذلك . ولم يزل ابن مكي أميراً عليها إلى أن هلك ، كما نذكره في أخبارهم إن شاء الله تعالى .

[٦ : ٣٧٤] واستضافها ابن مكي ، صاحب قابس ، إلى عمله فأضافها إليه وعقد له عليها ، فصارت من عمله سائر أيام السلطان ومن بعده ، واتصلت الفتنة بين أبي بن تافراكين وبين ابن مكي ، وبعث الحاجب أبو محمد ابن تافراكين عن أبيه أبي عبد الله ، وكان في جملة السلطان ببجاية ، كما قلناه ، ولما وصل إليه سرّحه في العساكر لحصار جربة ، وكان أهلها قد نقموا على ابن مكي سيرته فيهم ، ودسوا إلى أبي محمد ابن تافراكين بذلك فسرح إليه ابنه في العساكر سنة ثلاث وستين ، وكان أحمد بن مكي غائباً بطرابلس قد نزلها منذ ملكها من أيدي النصارى وجعلها داراً لإمارته . فنهض العسكر من الحضرة لنظر أبي عبد الله ابن الحاجب أبي محمد ونزلوا في الأسطول ، فطلعوا بالجزيرة وضايقوا القشتيل بالحصار إلى أن غلبوا عليه وملكوه وأقاموا به .

[٦ : ٣٩٢] وكان أبو بكر ابن ثابت ، صاحب طرابلس ، قد بعث إلى السلطان بالطاعة والانحياش ، ووافته رسله دون قابس . فلمّا استكمل فتحها بعث إليه من حاشيته لاقتضاء ذلك ، فرجعهم بالطاعة . وأقام عبد الملك ابن مكي بعد خروجه من قابس بين أحياء العرب ليالي قلائل ، ثم بغته الموت فهلك ولحق ابنه وحافده بطرابلس فمنعهم ابن ثابت الدخول إليه : فنزلوا بزنزور من قراها في كفالة الجواري من بطون دباب ، ولما استكمل السلطان الفتح وشؤونه انكفأ راجعاً إلى الحضرة فدخلها فاتح ثنتين وثمانين ، ولحق إليه رسوله من طرابلس بهدية ابن ثابت من الرقيق والمتاع ، بما فيه الوفاء بمغارمه بزعمه ، ووفد عليه بعد استقراره بالحضرة رسل أولاد أبي الليل متطارحين في العفو عنهم والقبول عليهم ، فأجابهم إلى ذلك ، ووفد صولة ابن خالد شيخهم وقبله أبو صعنونة ، شيخ حكيم ، ورهنوا أبناءهم على الوفاء واستقاموا على الطاعة ، واتصل النجح والظهور والأمر على ذلك لهذا العهد ، وهو فاتح ثلاث وثمانين وسبعمائة .

ولاية عمر ابن السلطان على سفاقس واستيلاؤه على قابس وجزيرة جربة

[٦ : ٤٩٢] هذا الأمير عمر ابن السلطان هو شقيق إبراهيم الذي كان أميراً بقسنطينة وكان في كفالة أخيه إبراهيم ، فلمّا توفّي ، كما مرّ ، لحق بالسلطان ابنه وأقام عنده . ولمّا كان من وفاة أبي بكر ابن ثابت شيخ طرابلس ما قدمناه ، واضطرب قومه من بعده ، نزع قائدهم ورئيسهم ابن خلف إلى السلطان ، فبعث معه ابنه عمر هذا سنة ثنتين وتسعين لحصار طرابلس ، وأقام عليها حولاً كريتاً يحاصرها ويمنع الأقوات عنها ، حتى ضجروا

وضجر من طول المقامة ، فدافعوه بالضريبة ، وانكفأ راجعاً إلى أبيه سنة خمس وتسعين .

[٦ : ٤٢٣] وهلك أحمد بن مكي سنة ست وستين على تفيئة مهلك الحاجب بن تافراكين بالحضرة ، فكأنهما ضربا موعداً للمهلكة توافياه . وتخلف ابنه عبد الرحمن بطرابلس في كفالة مولاه ظافر العلج . وهلك ظافر إثر مهلكه فاستبد عبد الرحمن بطرابلس وساءت سيرته فيها ، إلى أن نازله أبو بكر ابن محمد بن ثابت في أسطوله ، كما نذكر سنة ثنتين وسبعين ، وأجلب عليه بالبرابرة والعرب من أهل الوطن ، فاستنقض عليه أهل البلد وثاروا به ، وبادر أبو بكر ابن ثابت لاقتحامها عليه ، وأسلموه إلى أمير من أمراء دباب ، فأجاره إلى أن أبلغه مأمنه من محلة قومه وإيالة عمّه عبد الملك بقابس إلى أن هلك سنة تسع وسبعين . ولم يزل عبد الملك لهذا العهد ، وهو سنة إحدى وثمانين ، والياً على عمله بقابس وابنه يحيى مستبد بوزارته وحافده عبد الوهاب لابنه مكي رديف له ، وقد تراجعت أحوالهم عمّا كانت وخرجت من أيديهم الأعمال التي كانت في عمالتهم لعهد أخيه أحمد مثل طرابلس وجزيرة جربة وصفاقس وما إلى ذلك من العمالات ، حتى كأن التخت إنّما كان لأخيه واليمن إنّما استقر لجنابه ، وسيرتهما جميعاً من العدالة وتحري مذاهب الخير والسمت والاتسام بسمات أهل الدين حملة الفقه معروفة ، حتى كان كل واحد منهم إنّما يدعى بالفقيه علماً بين أهل عصره حرصاً على الانغماس في مذاهب الخير وطرقه . وكان لأحمد حظ من الأدب ، وكان يقرض من الشعر فيجيد عفا الله عنه . وله في الترسيل حظ ووساع بلاغة ، وينحو في كتابه منحى أهل المشرق في أوضاع حروفهم وأشكال رسومهم . ولأخيه عبد الملك حظ من ذلك شارك به جهابذة أهل عصره .

[٦ : ٤٢٤] وهلك عبد الملك لأيام قلائل بين أجيال العرب ، وهلك

ابنه عبد الرحمن وابن أخيه أحمد ، الذي كان صاحب طرابلس بعد أبيه ، ولحق ابنه يحيى وحفيده عبد الوهاب بطرابلس فمنعهم ابن ثابت من النزول ببلده لما كان متمسكاً بطاعة السلطان ، فنزلوا بزنزور من بلاد دباب التي بضواحيها ، وأقاموا هنالك واستقامت النواحي الشرقية على طاعة السلطان وانتظمت في دعوته ، والله مالك الملك . ثم ذهب يحيى بن عبد الملك إلى المشرق لقضاء فرضه ، وأقام عبد الوهاب بين أحياء البرانس بالجبال هنالك ، وكان الوالي الذي تركه السلطان بقابس قد ساء أثره في أهلها فدس شيعتهم إلى عبد الوهاب بذلك ، وجاء إلى البلد فبيتها ، وثاروا بالوالي فقتلوه سنة ثلاث وثمانين . وملك عبد الوهاب قابس وجاء أخوه يحيى من المشرق بعد قضاء فرضه فأجلب عليه مراراً يروم ملكها ، وأوثقه كتافاً وبعث به إليه واعتقله بقصر العدو سنين ، فمكث في السجن أعواماً ، ثم فرّ من محبسه ولحق بالحامة على مرحلة من قابس مستنجداً ابن وشاح صاحبها ، فأنجده وما زال يجلب على نواحي قابس إلى أن ملكها . وتقبض على عبد الوهاب ابن أخيه مكي فقتله أعوام تسعين وسبعمائة ، ولم يزل مستبداً ببلده إلى سنة ست وتسعين . وكان عمر ابن السلطان أبي العباس قد بعثه أبوه لحصار طرابلس ، فخربها هؤلاء ، كما نذكره ، حتى استقام أهلها على الطاعة وأعطوا الضريبة ، فأفرج عنها ورجع إلى أبيه فولاّه على صفاقس وأعمالها فاستقل بها .

الخبر عن ملوك طرابلس من بني خزرون بن فلفول من الطبقة الأولى وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

[٧ : ٣٩] كان مغراوة وبنو خزر ملوكهم قد تحيزوا إلى المغرب الأقصى أمام بلكين ثم اتبعهم سنة تسع وستين في زحفه المشهور وأحجرهم بساحل

سبتة حتى بعثوا صريخهم إلى المنصور وجاءهم إلى الجزيرة مشارفاً لأحوالهم وأمدّهم بجعفر بن يحيى ومن كان معه من ملوك البربر وزناتة فامتنعوا على بلكين ورجع عنهم فتقرأ أعمال المغرب وهلك في منصرفه سنة ثنتين وسبعين، ورجع أحياء مغراوة وبنو يفرن إلى مكانهم منه وبعث المنصور الوزير حسن ابن عبد الودود عاملاً على المغرب وقدم سنة ست وسبعين واختص مقاتلاً وزيري ابني عطية بن عبد الله بن خزر بمزيد التكرمة ولحق نظراءهما من أهل بيتهما الغيرة من ذلك، فنزع سعيد بن خزر بن فلفول بن خزر إلى صنهاجة سنة سبع وسبعين منحرفاً عن طاعة الأموية ووافى المنصور بن بلكين بأشير منصرفه من إحدى غزواته فتلقاه بالقبول والمساهمة وبالغ في تكرمته (. . . .) وعقد له على عمل طبنة سنة إحدى وثمانين وخرج للقائه واحتفل في تكرمته ونزله وأدركه الموت بالقيروان فهلك لسنته، ووفد ابنه فلفول من مكان عمله فعقد له على عمل أبيه وخلع عليه وزف إليه بنته وسوغه ثلاثين حملاً من المال وثلاثين تختاً من الثياب وقرب إليه مراكب بسروج مثقلة وأعطاه عشرة من البنود مذهبة وانصرف إلى عمله؛ وهلك المنصور بن بلكين سنة خمس وثمانين وولي ابنه باديس فعقد لفلفول على عمله بطبنة ولما انتقض زيري بن عطية على المنصور بن أبي عامر وسرح إليه ابنه المظفر كما قلناه فغلبه على أعمال المغرب ولحق زيري بالقفر ثم عاج على المغرب الأوسط ونازل ثغور صنهاجة وحاصر تاهرت وبها يطوفت بن بلكين وزحف إليه حماد بن بلكين من أشير في العساكر من تلكاتة ومحمد بن أبي العرب قائد باديس بعثه في عساكر صنهاجة من القيروان مدداً ليطوفت وأوعز إلى فلفول وهو بأشير أن يكون معهم، ولقيهم زيري بن عطية ففض جموعهم واستولى على معسكرهم واضطربت إفريقية فتنة وتنكرت صنهاجة لمن كان بجهاتها من قبائل زناتة وخرج باديس ابن المنصور من رقادة في العساكر إلى المغرب، ولما مرّ بطبنة استقدم فلفول بن

سعيد بن خزرون ليستظهر به على حربه فاسترابوا واعتذر عن الوصول وسأل تجديد العهد إلى مقدم السلطان فأسعف ثم اشتدت استرابته ومن كان معه من مغراوة فارتحلوا عن طبنة وتركوها ، ولما أبعد باديس رجع فلفول إلى طبنة فعاث في نواحيها ثم فعل في تيجن كذلك ثم حاصر باغاية ، وانتهى باديس إلى أشير وفرّ زيري بن عطية إلى صحراء المغرب ورجع على باديس بعد أن ولّى على تاهرت وأشير عمّه يطوفت بن بلكين وانتهى إلى المسيلة فبلغه خروج عمومته ماكسن وزاوي وغرم ومقنين فخاف أبو البهار (. . .) زيري ولحق بهم من معسكره ، وبعث باديس في أثرهم عمّه حماد بن بلكين ورحل هو إلى فلفول بن سعيد بعد أن كان سرح عساكره إليه وهو محاصر باغاية فهزمهم وقتل قائدهم أبا رعبل ، ثم بلغه وصول باديس فأفرج عنها واتبعه باديس إلى مرماجنة فتزاحفوا ، وقد اجتمع لفلفول من قبائل زناتة والبربر أمم فلم يثبتوا للقاء وانكشفوا عنه وانهزم إلى جبل الخناش ونزل القيطون بما فيه ، وكتب باديس بالفتح إلى القيروان وقد كان الإرجاف أخذ منهم المأخذ وفرّ كثير منهم إلى المهدية وشرعوا في عمل الدروب بما كانوا يتوقعون من فلفول ابن سعيد حين قتل أبا رعبل وهزم جيوش صنهاجة ؛ وكانت الواقعة آخر سنة تسع وثمانين وانصرف باديس إلى القيروان ، ثم بلغه أن أولاد زيري اجتمعوا مع فلفول بن سعيد وعاقدوه ونزلوا جميعاً فحصروا تبسة ، فخرج باديس من القيروان إليهم فافترقوا ولحق العمومة بزيري بن عطية ما خلا ماكساً وابنه حسناً ، فإنهما أقاما مع فلفول ورجع باديس في أثره سنة إحدى وتسعين وانتهى إلى بسكرة ففرّ فلفول إلى الرمال . وكان زيري بن عطية محاصراً لأشير أثناء هذه الفتنة ؛ فأفرج عنها ورجع عنها أبو البهار إلى باديس ، وقفل معه إلى القيروان ؛ وتقدم فلفول بن سعيد إلى نواحي قابس وطرابلس ؛ فاجتمع إليه من هنالك من زناتة وملك طرابلس ؛ على ما نذكره . (وذلك) أنّ

طرابلس كانت من أعمال مصر ، وكان العامل عليها بعد رحيل معد إلى القاهرة عبد الله بن يخلف الكتامي . ولما هلك معد رغب بلكين من نزار العزيز إضافتها إلى عمله ، فأسعفه بها وولى عليها تمصولة بن بكار من خواص مواليه ، نقله إليها من ولاية بونة ؛ فلم يزل عليها إلى أن أرسل إلى الحاكم بمصر يرغب في الكون في حضرته وأن يتسلّم منه عمل طرابلس . وكان برجوان الصقلي يستبد على الدولة ، وكان يغص بمكان يانس الصقلي منها ، فأبعده عن الحضرة لولاية برقة ؛ ثم لمّا تتابعت رغبة تمصولة ، صاحب طرابلس ، أشار برجوان أن يبعث يانس إليها ، فعقد له الحاكم عليها وأمره بالنهوض إلى عملها فوصلها سنة تسعين ، ولحق تمصولة بمصر ، وبلغ الخبر إلى باديس فسرّح القائد جعفر بن حبيب في العساكر ليصدّه عنها ، وزحف إليه يانس فكانت عليه الهزيمة وقتل ، ولحق فتوح بن علي من قواده بطرابلس ، فامتنع بها ونازله جعفر بن حبيب وأقام عليها مدّة ، وبينما هو محاصر له إذ وصله كتاب يوسف بن عامر ، عامل قابس ، يذكر أن فلفول بن سعيد نزل على قابس وأنّه قاصد إلى طرابلس ، فرحل جعفر عن البلد إلى ناحية الجبل ، وجاء فلفول بن سعيد فنزل بمكانه ، وضاقت الحال بجعفر وأصحابه فارتحلوا مصممين على المناجزة وقاصدين قابس ، فتخلى فلفول عن طريقهم وانصرفوا إلى قابس ، وقدم فلفول مدينة طرابلس فتلقاه أهلها ونزل له فتوح ابن علي عن إمارتها ، فملكها وأوطنها من يومئذ ، وذلك سنة إحدى وتسعين ؛ وبعث بطاعته إلى الحاكم ، فسرّح الحاكم يحيى بن علي بن حمدون وعقد له على أعمال طرابلس وقابس ، فوصل إلى طرابلس وارتحل معه فلفول وفتوح بن علي بن غفيانان في عساكر زناتة إلى حصار قابس ، فحاصروها مدّة ورجعوا إلى طرابلس ، ثم رجع يحيى بن علي إلى مصر واستبد فلفول بعمل طرابلس ، وطالت الفتنة بينه وبين باديس ويئس من صريخ مصر ،

فبعث بطاعته إلى المهدي محمد بن عبد الجبار بقرطبة وأوفد إليه رسله في الصريخ والمدد ، وهلك فلفول قبل رجوعهم إليه سنة أربعمائة ، واجتمعت زناتة إلى أخيه وروا بن سعيد . وزحف باديس إلى طرابلس ، وأجفل وروا ومن معه من زناتة عنها ، ولحق باديس من كان بها من الجند فلقوه في طريقه ، وتمادى إلى طرابلس فدخلها ونزل قصر فلفول ، وبعث إليه وروا بن سعيد يسأل الأمان له ولقومه ، فبعث إليه محمد بن حسن من صنائعه فاستقدم وفدهم بأمانه فوصلهم ، وولى وروا على نفزاوة والنعيم بن كنون على قسنطينة ، وشرط عليهم أن يرحلوا بقومهم على أعمال طرابلس فرجعوا إلى أصحابهم ، وارتحل باديس إلى القيروان وولى على طرابلس محمد بن الحسن، ونزل وروا بنفزاوة والنعيم بقسنطينة ، (ثم انتقض) وروا سنة إحدى وأربعمائة ولحق بجبال ايدمر . فتعاقدوا على الخلاف واستضاف النعيم بن كنون نفزاوة إلى عمله ، ورجع خزرون بن سعيد عن أخيه وروا إلى السلطان باديس وقدم عليه بالقيروان سنة ثنتين وأربعمائة ، فتقبله ووصله وولاه عمل أخيه نفزاوة ، وولى بني محلية من قومه على قفصة وصارت مدن (. . .) لزناتة ، وزحف وروا بن سعيد فيمن معه من زناتة إلى طرابلس ، وبرز إليه عاملها محمد بن حسن فتواقعوا ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها وروا وهلك الكثير من قومه ، ثم راجع حصارها وضيق على أهلها فبعث باديس إلى خزرون وأخيه وإلى النعيم بن كنون وأمراء الجريد من زناتة بأن يخرجوا لحرب صاحبهم، فخرجوا إليه وتواقعوا بصبرة ما بين قابس وطرابلس، ثم اتفقوا ولحق أصحاب خزرون بأخيه وروا ورجع خزرون إلى عمله ، واتهمه السلطان بالمداهنة في شأن أخيه وروا ، فاستقدمه من نفزاوة فاستراب وأظهر الخلاف ، وسرّح السلطان إليه فتوح بن أحمد في العساكر ، فأجفل عن عمله واتبعه النعيم وسائر زناتة ، ولحقوا جميعاً بوروا بن سعيد سنة أربع ،

وتظاهروا على الخلاف ونصبوا الحرب على مدينة طرابلس ، واشتد فساد زناتة فقتل السلطان من كان عنده من رهن زناتة . واتفق وصول مقاتل بن سعيد نازعاً عن أخيه ورروا في طائفة من أبنائه وأخواله فقتلوا معهم جميعاً ، وشغل السلطان بحرب عمّه حماد ، ولما غلبه بشلب ستته وانصرف إلى القيروان بعث إليه ورروا بطاعته ، ثم كان مهلك ورروا سنة خمس وأربعمائة ، وانقسم قومه على ابنه خليفة وأخيه خزرون بن سعيد ، واختلفت كلمتهم ودس حسن ابن محمد عامل طرابلس في التصريف بينهم ، ثم صار أكثر زناتة إلى خليفة وناجز عمّه خزرون الحرب فغلبه على القيطون ، وضبط زناتة وقام فيهم بأمر أبيه ، وبعث بطاعته إلى السلطان باديس بمكانه من حصار القلعة فتقبلها . ثم هلك باديس وولي ابنه المعز سنة ست ، وانتقض خليفة بن ورروا عليه ، وكان أخوه حماد بن ورروا يضرب على أعمال طرابلس وقابس ويواصل عليها الغارة والنهب إلى سنة ثلاث عشرة ، فانتقض عبد الله بن حسن صاحب طرابلس على السلطان وأمكنه من طرابلس ، وكان سبب ذلك أنّ المعز بن باديس لأوّل ولايته استقدم محمد بن حسن من عمله واستخلف عليه أخاه عبد الله ابن حسن ، وقدم على المعز وفوّض إليه أمر مملكته ، وأقام على ذلك سبعاً وتمكنت حاله عند السلطان وكثُرت السعاية به ، فنكب وقتله ، وبلغ الخبر إلى أخيه فانتقض ، كما قلنا ، وأمكن خليفة بن ورروا وقومه من مدينة طرابلس ، فقتلوا الصنهاجيين واستولوا عليها . ونزل خليفة بقصر عبد الله وأخرجه عنه واستصفى أمواله وحرمه ، واتصل ملك خليفة بن ورروا وقومه بني خزرون بطرابلس وخاطب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحكم سنة سبع عشرة بالطاعة وضمان السابلة وتشييع الرّفاق ويحفظ عهده على طرابلس ، فأجابه إلى ذلك ، وانتظم في عمله وأوفد في هذه السنة أخاه حماداً على المعز بهديته فتقبلها وكافأه عليها .

(هذا آخر ما حدّث به) ابن الرقيق من أخبارهم ، ونقل ابن حماد وغيره أنّ المعز زحف أعوام ثلاثين وأربعمائة إلى زناتة بجهات طرابلس ، فبرزوا إليه وهزموه وقتلوا عبد الله بن حماد وسبوا أخته أم العلو بنت باديس ومنوا عليها بعد حين وأطلقوها إلى أخيها . ثم زحف إليهم ثانية فهزموه ، ثم أتيحت له الكرّة عليهم فغلبهم وأذعنوا لسلطانه واتقوه بالمهادنة ، فاستقام أمرهم على ذلك . وكان خزرون بن سعيد ، لمّا غلبه خليفة بن وروا على إمارة زناتة ، لحق بمصر فأقام فيها بدار الخلافة ونشأ بنوه بها ، وكان منهم المنتصر ابن خزرون وأخوه سعيد ، ولما وقعت الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر وغلبهم الترك وأجلوهم عنها لحق المنتصر وسعيد بطرابلس وأقاما في نواحيها ، ثم ولي سعيد أمر طرابلس ولم يزل والياً عليها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين .

(وقال أبو محمد) التجاني في رحلته عند ذكر طرابلس : ولمّا قتلت زغبة سعيد بن خزرون سنة تسع وعشرين قدم خليفة بن خزرون من القيطون إلى ولايتها فأمكنه منها رئيس الشورى ، وبها يومئذ من الفقهاء أبو الحسن ابن المنتصر المشتهر بعلم الفرائض ، وبايع له ، وقام بها خزرون إلى سنة ثلاثين بعدها . فقام المنتصر بن خزرون في ربيع الأوّل منها ومعه عساكر زناتة ، ففرّ خزرون بن خليفة من طرابلس مختفياً وملكها المنتصر بن خزرون وأوقع بابن المنتصر ونفاه واتصلت بها إمارته . انتهى ما نقله التجاني . (وهذا الخبر) مشكل من جهة أنّ زغبة من العرب الهلاليين ، وإنّما جاءوا إلى إفريقية من مصر بعد الأربعين من تلك المائة ، فلا يكون وجودهم بطرابلس سنة تسع وعشرين إلا إن كان تقدم بعض أحيائهم إلى إفريقية من قبل ذلك ، فقد كان بنو مرّة ببرقة بعثهم الحاكم مع يحيى بن علي بن حمدون إلاّ أنّ ذلك لم ينقله أحد . ولم تزل طرابلس بأيدي بني خزرون الزناتيين ، ولما وصل العرب الهلاليون وغلبوا المعز بن باديس على أعمال إفريقية واقتسموها كانت قابس

وطرابلس في قسمة زغبة والبلد لبني خزرون ، ثم استولى بنو سليم على الضاحية ، وغلبوا عليها زغبة ورحلوهم عن تلك المواطن ، ولم يزل البلد لبني خزرون وزحف المنتصر بن خزرون مع بني عدي من قبائل هلال مجلباً على بني حماد حتى نزل المسيلة ونزل أشير ثم خرج إليهم الناصر ، ففرّ أمامه إلى الصحراء ورجع إلى القلعة فرجعوا إلى الأحلاف على أعماله ، فراسله الناصر على الصلح وأقطعه ضواحي الزاب وريغة وأوعز إلى عروس بن سندي رئيس بسكرة لعهده أن يمكر به ، فلمّا وصل المنتصر إلى بسكرة أنزله عروس ثم قتله غيلة أعوام ستين وأربعمائة ، وولي طرابلس آخر من بني خزرون لم يحضرني اسمه ، واختل ملك صنهاجة واتصل فيهم ملك تلك الأعمال إلى سنة أربعين وخمسمائة . ثم نزل بطرابلس ونواحيها في هذا العام مجاعة وأصابهم منها شدّة هلك فيها الناس وفرّوا عنها ، وظهر اختلال أحوالها وفناء حاميتها ، فوجه إليها لجار طاغية صقلية أسطولاً لحصارها بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولايته فيهما . ووقع بين أهل طرابلس الخلاف فغلب عليهم جرجي بن ميخائيل قائد الأسطول وملكها ، وأخرج منها بني خزرون وولى على البلد شيخهم أبا يحيى ابن مطروح التميمي ، فانقرض أمر بني خزرون منها وبقي منهم من بقي بالضاحية إلى أن افتتح الموحدون إفريقية آخر الدولة الصنهاجية ، والملك لله وحده يؤتيه من يشاء من عباده سبحانه لا إله غيره[1] .

---

١ إن نص ابن خلدون المطبوع شديد التصحيف ، وقد صوبنا بعض أخطائه ، وبقي فيه أخطاء كثيرة ، وخاصة في أسماء الأعلام والأماكن .

نهاية الأرب للنويري

[٤] حكى الزهري عن ربيعة بن عباد الديلي قال : لمّا وصلنا قدم عبد الله [ابن أبي سرح] الطلائع والمقدمات أمامه ، وكنت أنا أكثر ما أكون في الطلائع ، فوالله إنّا لبطرابلس وقد أصبنا من بها من الروم قد تحصّنوا منّا ، فحاصرناهم ، ثم كره عبد الله أن يشتغل بذلك عمّا قصد إليه ، فأمر الناس بالرحيل ، فنحن على ذلك إذا مراكب قد أرست إلى الساحل ، فشددنا عليها فترامى من بها إلى الماء ، فأقاموا ساعة ثم استأسروا فكتفناهم وكانوا مائة ، حتى لحق بنا عبد الله فضرب أعناقهم ، وأخذنا ما في السفن فكانت هذه أول غنيمة أصبناها ، ومضى حتى نزل مدينة قابس ... قال : وكان ملكهم يدعى جرجير وسلطانه من طرابلس إلى طنجة وولايته من قبل هرقل . . .

[١٧] ولما أشير على عبد الملك بإرسال الجيش إلى إفريقية قال : لا يصلح للطلب بثأر عقبة بن نافع من المشركين إلا من هو مثله في دين الله عز وجل ، فاتفق رأيهم على زهير بن قيس البلوي وقالوا : هو صاحب عقبة وأعرف الناس بسيرته ، وأولاهم بطلب ثأره ؛ وكان زهير ببرقة مرابطاً منذ قفل من إفريقية ، فكتب إليه عبد الملك بالخروج على أعنّة الخيل إلى إفريقية ، فكتب إليه زهير يستمده بالرجال والأموال ، فوجه إليه بالأموال ووجوه أهل الشام ، فلمّا وصل ذلك إليه أقبل إلى إفريقية في عسكر عظيم وذلك في سنة تسع وستين ؛ فبلغ خبره كسيلة ، فجمع البربر وتحول عن القيروان إلى ممس ، وجاء زهير فأقام بظاهر القيروان ثلاثة أيام حتى استراح وأراح ، ثم رحل إلى كسيلة والتقيا واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين ،

فأجلت الحرب عن قتل كسيلة وجماعة من أصحابه وانهزم من بقي منهم فتبعهم الجيش فقتلوا من أدركوا منهم ، فذهب رجال البربر والروم وأشرافهم وملوكهم في هذه الوقعة وعاد زهير إلى القيروان ، فرأى ملك إفريقية ملكاً عظيماً فقال : إنّما أحببت الجهاد وأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك ، وكان عابداً زاهداً ، فترك بالقيروان عسكراً ورحل في جمع كبير يريد المشرق ، وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسيره من برقة إلى إفريقية وحلّوها . فخرجوا إليها في مراكب كثيرة من جزيرة صقلية ، فأغاروا على برقة وقتلوا ونهبوا . ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية ، فقاتلهم بمن معه أشد قتال ، وترجل هو ومن معه وقاتلوا ، فعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتل زهير وأصحابه ولم ينج منهم أحد .

[٢٠] وفارق [حسان] إفريقية وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمره [مع الكاهنة] فأمره بالمقام إلى أن يأتيه أمره ، فأقام بعمل برقة خمس سنين ، فسمي ذلك المكان قصور حسان ، وملكت الكاهنة إفريقية كلّها . . .

[٤٤] ولما حكمت ورفجومة على القيروان قتلوا من بها من قريش وساموهم سوء العذاب ، وربطوا دوابهم في المسجد الجامع ، وندم الذين أعانوهم أشد ندامة ؛ قال : ثم دخل رجل من الإباضية القيروان فرأى ناساً من الورفجوميين قد أخذوا امرأة وأرادوها عن نفسها ، والناس ينظرون ، فترك حاجته التي أتى فيها وخرج إلى أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري فأعلمه بالذي رأى ، فخرج وهو يقول : لبيك اللهم لبيك ، فاجتمع إليه أصحابه من كل مكان وتوجّهوا نحو طرابلس فأخرجوا منها عمر بن عثمان القرشي واستولى أبو الخطاب عليها ؛ ثم سار إلى القيروان ، فخرج إليه عبد الملك بن أبي جعدة بجماعة ورفجومة ، والتقوا فقتل عبد الملك وأصحابه وذلك في صفر سنة إحدى وأربعين . فكان تغلب ورفجومة على

القيروان سنة وشهرين ، وتبع أبو الخطاب من انهزم منهم فقتلهم ، ثم انصرف إلى القيروان فولى عليها عبد الرحمن بن رستم القاضي ومضى إلى طرابلس فصارت طرابلس وما يليها وإفريقية كلّها في يده إلى أن وجه أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث في سنة أربع وأربعين .

[٤٥] وبلغ أبا الخطاب خروج محمد بن الأشعث إليه فجمع أصحابه من كل ناحية ومضى في عدد عظيم فوصل إلى سرت واستقدم عبد الرحمن ابن رستم من القيروان ، فقدم بمن معه ، فضاق ابن الأشعث ذرعاً بلقاء أبي الخطاب لما بلغه من كثرة جموعه . فاتفق تنازع زناتة وهوارة فيما بينهم ، فقتلت هوارة رجلاً من زناتة ، فاتهمت زناتة أبا الخطاب في ميله مع هوارة ، ففارقه جماعة منهم ، فبلغ ذلك ابن الأشعث فسر به وضبط أفواه السكك حتى انقطع خبره عن أبي الخطاب ، فرجع إلى طرابلس ، ووصل ابن الأشعث إلى سرت ، فخرج إليه أبو الخطاب حتى صار بوردامة ، فلمّا قرب منه ذكر ابن الأشعث لأصحابه أن خبراً أتاه من المنصور بالرجوع إلى المشرق ، وأظهر لهم المسيرة بالرجوع ، فشاع ذلك في الناس ، وسار منصرفاً ميلاً ثم نزل ، فانتهى ذلك إلى أبي الخطاب وسمع به من معه ، فتفرق كثير منهم ، ثم أصبح ابن الأشعث فسار أميالاً متثاقلاً في سيره ، وفعل ذلك في اليوم الثالث ، ثم اختار أهل الجلد والقوّة من جيشه وسار بهم ليله كلّه فصبح أبا الخطاب وقد اختل عسكره ، فلمّا التقوا ترجل جماعة من أصحاب ابن الأشعث وقاتلوا فانهزم البربر وقتل أبو الخطاب وعامة من معه وذلك في شهر ربيع الأول من سنة أربع وأربعين ومائة فكانت عدة من قتل من البربر أربعين ألفاً ، ولمّا انتهى الخبر إلى عبد الرحمن بن رستم هرب إلى تاهرت واختطها . . .

ووصل ابن الأشعث إلى طرابلس فاستعمل عليها المخارق بن غفار الطائي ووجه إسماعيل بن عكرمة الخزاعي إلى زويلة وما والاها ففتح تلك النواحي

وقتل من بها من الخوارج وتوجه محمد إلى القيروان .

[٤٨] ..... واجتمع البربر بطرابلس وولوا أبا حاتم يعقوب بن حبيب مولى كندة وهو الذي يسمى [أبا] قادم ، وكان عامل عمر [بن حفص هزارمرد] على طرابلس الجنيد بن سيار الأزدي ، فبعث إليهم الجنيد خيلاً عليهم حازم بن سليمان فالتقوا واقتتلوا ، فانهزم حازم وأصحابه ولحقوا بالجنيد بطرابلس ، فكتب الجنيد إلى عمر يستمده ، فبعث إليه خالد ابن يزيد المهلبي في أربعمائة فارس ، فاجتمع هو والجنيد والتقيا مع البربر ، فانهزم خالد والجنيد إلى قابس ، فبعث عمر بن حفص سليمان بن عباد المهلبي في جماعة من الجند فلقي أبا قادم بقابس فقاتله ، فانهزم سليمان إلى القيروان ، فسار إليها وحصرها وعمر مقيم بطبنة ، وقد صارت إفريقية وأعمالها ناراً تتقد ، وأتى البربر من كل مكان ومضوا إلى طبنة فأحاطوا بها وهم في اثني عشر عسكراً : أبو قرة الصفري في أربعين ألف فارس وعبد الرحمن بن رستم الإباضي في خمسة عشر ألف فارس وأبو حاتم في عدد كثير وكان إباضيّاً وعاصم السدراتي الإباضي في ستة آلاف والمسور الزناتي الإباضي في عشرة آلاف فارس وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري في ألفي فارس وجماعة غير هؤلاء ، ولم يبق مع عمر إلاّ خمسة آلاف وخمسمائة ، فلمّا رأى ما حل به جمع قواده فاستشارهم في مناجزتهم فأشاروا عليه أن لا يخرج من المدينة ، فأعمل الحيلة في صرف الصفرية ، ووجه إليهم رجلاً من أهل مكناسة يقال له إسماعيل بن يعقوب ودفع إليه أربعين ألف درهم وكسىً كثيرة وأمره بدفع ذلك إلى أبي قرّة على أن ينصرف عنهم ، فقدم عليه وعرض المال والكساء فقال له : أبَعد أربعين سنة تسلم علي بالإمامة ، أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا لا حاجة لي به ، فانصرف إلى ابنه وقيل إلى أخيه ودفع إليه أربعة آلاف درهم وأثواباً على أن يعمل في صرف أبيه ورد

الصفرية إلى بلادهم ، فعمل ذلك من ليلته ولم يشعر أبو قرة حتى ارتحل العسكر منصرفين إلى بلادهم فلم يجد بدّاً من اتباعهم .

فلما انصرفت الصفرية وجه عمر معمر بن عيسى السعدي في ألف وخمسمائة إلى ابن رستم وهو بتهودا في خمسة عشر ألف فارس فالتقوا ، فانهزم ابن رستم ووصل إلى تاهرت . ثم أقبل عمر بن حفص يريد القيروان ، واستخلف على طبنة المهنا بن المخارق بن غفار الطائي ، فلمّا بلغ أبا قرة مسيره أقبل بجموعه وحصر المهنا بطبنة ، فخرج إليه وقاتله ، فانهزم أبو قرة واستباحوا عسكره .

[٥٠] وكان أبو حاتم لما حاصر القيروان أقام عليها ثمانية أشهر وليس في بيت مالها درهم واحد ولا في أهرائها شيء من الطعام . وكان الجند في تلك المدة يقاتلون البربر طرفي النهار حتى جهدهم الجوع وأكلوا دوابهم وكلابهم ، فجعل الناس يخرجون فيلحقون بالبربر ، فبلغ ذلك عمر فأقبل يريد القيروان في نحو سبع مائة من الجند حتى نزل مدينة الأربس ، فبلغ البربر إقباله فرجعوا إليه بأجمعهم ورحلوا عن القيروان ، فلمّا بلغه إقبالهم توجه إلى ناحية تونس وأغذّ السير ، ومضى البربر حتى صاروا بناحية سمنجة ، وسار عمر من تونس ، وخرج جميل بن صخر من القيروان فالتقوا في بير السلامة ، ثم أقبل حتى دخل القيروان فبث خيوله حول القيروان وجعل يُدخل إليها ما يصلحه من الطعام والحطب وغير ذلك . واستعد للحصار وخندق خندقاً على باب أبي الربيع فعسكر فيه الجند ، ثم قدم أبو حاتم في جنوده وقد بلغوا مائة ألف وثلاثين ألفاً ، فقاتله عمر بمن معه أشد قتال فانكشف حتى صار إلى الفسطاط ، ثم اقتتلوا بالفسطاط واشتد قتالهم وكاثروه حتى انحازوا إلى الخندق بباب أبي الربيع . وكان عمر يخرج إليهم في كل يوم ويقاتلهم ، فما زالوا على ذلك حتى فنيت أقواتهم وأكلوا دوابهم والكلاب والسنانير ، فاضطرب

على عمر أمره وضجر أصحابه وساءت آراؤهم ، فقال لمن معه من الجند : قد كان أصابكم من الجهد أمر عظيم حتى قدمت عليكم ففرج الله عنكم بعض ما كنتم فيه ، وقد ترون ما أنتم الآن فيه فإن شئتم خرجت أنا على ذراريهم وبلادهم وجعلت عليكم أيّ الرجلين شئتم جميلاً أو المخارق وأخرج في ناس من الجند فأغير على نواحيهم وآتيكم بالميرة . فقالوا : قد رضينا . وكان قد اجتمع حول القيروان من الإباضية مع أبي حاتم ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً ، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً . فلمّا همّ بالخروج اختلفوا عليه وقالوا : تحب أن تخرج ونبقى نحن في الحصار ! لا تخرج وأقم معنا . قال : نعم أقيم معكم وأخرج جميلاً والمخارق ومن أحببتم . قالوا : نعم . فلمّا جاءوا إلى باب المدينة قالوا : تقيم أنت في الراحة ونخرج نحن ! لا والله لا نفعل . فغضب عمر وقال : والله لأوردنكم حياض الموت . وجاءه وهو محصور كتاب خليدة بنت المعارك امرأته تخبره فيه أن أمير المؤمنين قد استبطأك فبعث يزيد بن حاتم إلى إفريقية وهو قادم في ستين ألفاً ولا خير في الحياة بعد هذا . قال ضراس بن عجلان : فأرسل إليّ فجئته ، وقد ثار عرق بين عينيه ، وكان علامة غضبه ، فأقرأني الكتاب فدمعت عيناي ، فقال : ما لك ؟ فقلت : وما عليك ان تقدم رجل من أهله فنخرج من هذا الحصار . فقال : إنّما هي رقدة حتى تبعث إلى الحساب ، فافحص وصبّي . قال ضراس : فأوصى بما أحب وخرج كالبعير الهائج ، فلم يزل يطعن ويضرب حتى قُتل وذلك في يوم السبت للنصف من ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة . فلمّا قتل بايع الناس جميل بن صخر وهو أخو عمر لأمّه ، فلمّا طال عليه الحصار دعاه ذلك إلى موادعة أبي حاتم فصالحه على أن جميلاً وأصحابه لا يخلعون طاعة سلطانهم ولا ينزعون سوادهم ، وعلى أن كل دم أصابه الجند من البربر فهو هدر ، وعلى أن لا يكرهوا أحداً من الجند على

بيع سلاحهم ودوابهم . فأجابهم إلى ذلك أبو حاتم ففتح جميل أبواب المدينة ، وخرج أكثر الجند إلى طبنة ، وأحرق أبو حاتم أبواب المدينة وأثر في سورها ، وبلغه قدوم يزيد بن حاتم فتوجه إلى طرابلس واستخلف على القيروان عبد العزيز بن السمح المعافري ، ثم بعث إليه أبو حاتم يأمره بأخذ سلاح الجند وأن لا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد ، وأن يوجه إليه بهم واحداً بعد واحد، فاجتمعوا واستوثق بعضهم من بعض بالأيمان المؤكدة أن لا يرضوا بهذا ، وقويت قلوبهم بيزيد بن حاتم ، فلقوا عمر بن عثمان الفهري واتفقوا معه وولّوه أمرهم فقبله ، وقام على أصحاب أبي حاتم فقتلهم . واتصل ذلك بأبي حاتم فزحف من طرابلس فلقي عمر بن عثمان ومن معه فاقتتلوا فقتل من البربر خلق كثير ، ومضى عمر بن عثمان وأصحابه نحو تونس ، ومضى جميل بن صخر والجنيد بن سيار هاربين نحو المشرق . وخرج أبو حاتم في طلب عمر بن عثمان ، ووجه قائداً من قواده يقال له جرير بن مسعود المديوني على مقدمته ، فأدركه بجيجل من ناحية كتامة فقاتلوه فقتل جرير ابن مسعود وأصحابه ، وانصرف عمر والمخارق فدخلا تونس ، ومضى أبو حاتم إلى طرابلس حين بلغه قدوم يزيد بن حاتم ، ولحق جميل بن صخر بيزيد وهو بسرت فأقام إلى أن لقي أبا حاتم ، فيقال إنّه كان بينه وبين الجند والبربر من لدن قتالهم عمر بن حفص إلى انقضاء أمرهم ثلاثمائة وخمس وسبعون وقعة .

ذكر ولاية يزيد بن حاتم بن قبَيصة بن المهلب ابن أبي صفرة

قال : ولما اتّصل بأبي جعفر المنصور حال عمر بن حفص وحصْره ثم بلغه أنّه قتل غمّه ذلك وساءه . توجّه يزيد بن حاتم في ثلاثين ألفاً من أهل

خراسان وستين ألفاً من أهل البصرة والكوفة والشام ، فأقبل حتى صار إلى سرت ، فاجتمع بجميل بن صخر وبمن معه من الجند القادمين عليه من القيروان ، وسار نحو طرابلس فسار أبو حاتم إلى جبال نفوسة وجعل يزيد على مقدمته سالم بن سوادة التميمي ، فالتقى سالم هو وأبو حاتم واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم سالم وأصحابه ورجعوا إلى عسكرهم . وهال أبا حاتم أمر يزيد فطلب أوعر المنازل وأمنعها فعسكر فيها وخندق على عسكره ، فأتاه يزيد من ناحية الخندق والتقوا واقتتلوا فقتل أبو حاتم وأهل البصائر من أصحابه وانهزم الباقون ، وطلبهم يزيد فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وبعث خيله في طلبهم بكل ناحية ، فكان عدة من قتل منهم ثلاثين ألفاً ، ويقال إنه لم يقتل من الجند إلا ثلاثة ، وذلك في يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين ومائة . وأقام يزيد بمكانه ذلك نحواً من شهر وبث خيله في طلب الخوارج فقتلهم في كل سهل وجبل ، ثم رحل حتى نزل قابس فدخلها لعشر بقين من جمادى الآخرة ، واستقامت له الأمور بعد أن قتل البربر بكل ناحية . وبنى يزيد المسجد الأعظم بالقيروان وجدده في سنة سبع وخمسين ، ورتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة في مكانها حتى لو قيل إنه الذي مصّرها لم يبعد من الحق . ولم تزل البلاد مستقيمة والأمور ساكنة مدة حياته إلى أن توفي في شهر رمضان سنة سبعين ومائة في خلافة الرشيد .

ذكر أخبار عبد الله بن الجارود

قال : ولما قتل الفضل واستولى عبد الله على القيروان سمع شمدون القائد ما صنع بالفضل ، فقام غضباً له واجتمع في الأربس هو وفلاح بن عبد الرحمن الكلاعي القائد والمغيرة وغيرهم ، وأقبل عليهم أبو عبد الله مالك بن المنذر

الكلبي من ميلة ، وكان والياً عليها ، في عدد كثير فقدموه على أنفسهم ، واجتمع إليهم الناس ، والتقوا بابن الجارود واقتتلوا ، فقتل مالك بن المنذر وانهزم أصحابه حتى صاروا إلى الأربس . فكتب شمدون إلى العلاء بن سعيد وهو بالزاب أن اقدم عليه ، فأقبل إلى الأربس واجتمع بالمغيرة وشمدون وفلاح وغيرهم ، وأقبل العلاء يريد القيروان فصادف ابن الجارود وقد خرج منها يريد يحيى بن موسى ، خليفة هرثمة بن أعين . وذلك أن الرشيد لمّا اتصل به وثوب ابن الجارود على الفضل وإفساده إفريقية وجّه يقطين بن موسى ، لمحلّه من دعوتهم ومكانه من دولتهم وكبر سنّه وحاله عند أهل خراسان ، وأمره بالتلطف بابن الجارود وإخراجه من البلد ، ووجّه معه المهلّب بن رافع ، ثم وجّه منصور بن زياد وهرثمة بن أعين أميراً على المغرب ، فأقام ببرقة وقدم يقطين القيروان ، فجرى بينه وبين الجارود كلام كثير ودفع إليه كتاب الرشيد فقال ليقطين : قد قرأت كتاب أمير المؤمنين وأنا على السمع والطاعة ، وفي كتاب أمير المؤمنين أنّه ولّى هرثمة بن أعين وهو ببرقة ، يصل بعدكم ومع العلاء البربر فإن تركت الثغر وثب البربر فأخذوه وقتلوا العلاء ، ولا يدخله والٍ لأمير المؤمنين أبداً فأكون أشأم الخلق على هذا الثغر ، ولكن أخرج إلى العلاء فإن ظفر بي فشأنكم بالثغر وإن ظفرت انتظرت قدوم هرثمة ، ثم أخرج إلى أمير المؤمنين . فاجتمع يقطين مع محمد بن يزيد الفارسي ، وهو صاحب ابن الجارود ، ووعده بالتقدم وقيادة ألف فارس وصلة وقطيعة في أي المواضع شاء على أن يفسد حال عبد الله بن الجارود . ففعل ذلك وسعى في إفساد الخواطر على ابن الجارود ، ورغّب الناس في الطاعة ، فمالوا إليه وانضموا له ، وخرج على ابن الجارود فخرج عبد الله لقتاله . فلمّا تواقفا للقتال ناداه ابن الجارود أن اخرج إلي حتى لا يسمع كلامي وكلامك غيرنا ، فخرج إليه فحدثه وشاغله بالكلام ، وكان قد وضع

على قتله رجلاً من أصحابه يقال له أبو طالب ، فخرج إليه وهو مشغول بحديث عبد الله ؛ فما شعر حتى حمل عليه وضربه فدقّ صلبه ، فانهزم أصحابه . وقدم يحيى بن موسى خليفة هرثمة إلى طرابلس فصلى عيد الأضحى بالناس وخطبهم ، وقدم عليه جماعة من القواد ، واستفحل أمره ، وأقبل العلاء بن سعيد يريد القيروان ، فعلم ابن الجارود أنّه لا طاقة له بالعلاء فكتب إلى يحيى أن اقدم إلى القيروان فإنّي مسلم إليك سلطانها ، وأجاب إلى الطاعة ؛ فخرج يحيى بن موسى بمن معه من طرابلس في المحرم سنة تسع وسبعين ومائة ؛ فلمّا بلغ قابس تلقّاه بها عامّة الجند الذين بالقيروان ؛ وخرج ابن الجارود من القيروان في مستهل صفر ، واستخلف عليها عبد الملك بن عباس . وكانت أيام ابن الجارود سبعة أشهر . وأقبل العلاء بن سعيد ويحيى بن موسى متسابقين إلى القيروان ، فسبقه العلاء إليها فقتل بها جماعة من أصحاب ابن الجارود ، فبعث إليه يحيى : إن كنت على الطاعة ففرق جموعك ، فأمر من معه بالانصراف إلى مواضعهم ، وسار في نحو ثلاثمائة من خاصته إلى طرابلس . وكان ابن الجارود قد وصل إليها قبل وصوله ، وخرج مع يقطين بن موسى نحو المشرق حتى وصل إلى هارون الرشيد . قال : وكتب العلاء إلى منصور وهرثمة أنّه الذي أخرج ابن الجارود من إفريقية ، فكتب إليه هرثمة بالقدوم عليه وأجازه بإجازة سنية ، فبلغ خبره هارون فكتب إليه بمائة ألف درهم صلة سوى الكساء ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى توفّي بمصر .

ذكر ولاية هرثمة بن أعين

قال : وقدم هرثمة القيروان في مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين ومائة ؛ فأمّن الناس وسكّنهم وأحسن إليهم ، وهو الذي بنى القصر الكبير

بالمنستير في سنة ثمانين ومائة ، وبنى أيضاً سور مدينة طرابلس ممّا يلي البحر ، وواتر الكتب إلى الرشيد أن يعفيه من إفريقية لما رأى من الاختلاف بها وسوء طاعة أهلها ، فكتب إليه بالقدوم إلى المشرق ، فرجع في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة .

ذكر ولاية محمد بن مقاتل بن الحكم العكي

قال : ولمّا كتب هرثمة إلى هارون يسأله الإعفاء وجّه محمد بن مقاتل أميراً للغرب ، وكان رضيع هارون ، فقدم القيروان في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة . ولم يكن بالمحمود السيرة فاضطربت عليه أحواله واختلفت جنده ، وكان سبب الاضطراب عليه أنّه اقتطع من أرزاق الجند وأساء السيرة فيهم وفي الرعية ، فقام فلاح القائد ومشى في أهل الشام وخراسان حتّى اجتمع رأيهم على تقديم مرّة بن مخلد الأزدي ، وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي ، وكان عامله عليها ، فبايعه جماعة من القواد وأهل الشام وأهل خراسان ، فخرج في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة إلى القيروان ، وخرج إليه ابن العكي فيمن معه فقاتله قتالاً شديداً في منية الخيل ، فانهزم ابن العكي ودخل القيروان وتحصن في دار كان قد بناها وجلا عن دار الإمارة ، وأقبل تمام ودخل القيروان في يوم الأربعاء لخمس بقين من شهر رمضان ، فآمنه تمام على دمه وماله على أنّه يخرج عنه فخرج تلك الليلة حتّى وصل إلى طرابلس ، فكاتبه بعض أهل خراسان فنهض إبراهيم بن الأغلب من الزاب على تمام غضباً للعكي .

ذكر ولاية أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب

قال : فلمّا مات إبراهيم بن الأغلب صار الأمر بعده إلى ابنه أبي العباس عبد الله ، وكان إذ ذاك بطرابلس ، فقام إليه أخوه زيادة الله بالأمر وأخذ له البيعة على نفسه وأهل بيته وجميع رجاله . وقدم عبد الله من طرابلس في صفر سنة سبع وتسعين ومائة فتلقاه زيادة الله وسلّم إليه الأمر .

[٦٨] ولمّا ولي زيادة الله أغلظ على الجند وأمعن في سفك دمائهم واستخف بهم ، وحمله على ذلك سوء ظنّه بهم لتوثبهم على الأمراء قبله وخلافهم على أبيه مع عمران بن مجالد . وكان أبوه أغضى عن كثير من زلاتهم وصفح عن إساءاتهم فسلك زيادة الله فيهم غير سبيل أبيه ؛ وكان أكثر سفكه وسوء فعله إذا هو شرب وسكر ، فخرجوا عليه . وكان الذي هاجهم على الخروج عليه أنّه ولّى عمرو بن معاوية القيسي ؛ وكان من شجعان الجند ورؤسائهم وأهل الشرف منهم ، على القصرين وما يليهما ، فتغلب على تلك الناحية وأظهر الخلاف عليه . وكان له ولدان يقال لأحدهما حباب والآخر سكاب ، فوجه إليه زيادة الله موسى مولى إبراهيم المعروف بأبي هارون ، وكان قد ولاّه القيروان ، فخرج إليه وحاصره أياماً ، فلمّا ضاق به الأمر ألقى بيده ونزل معه وسار إلى زيادة الله هو وولداه ، فلمّا قدموا عليه حبسهم عند غلبون ابن عمّه ثم نقلهم إلى حبسه من يومه وقتلهم . فلمّا بلغ منصور بن نصر الطنبذي ، وهو من ولد دريد بن الصمة ، ذلك ساءه ، وكان على طرابلس ، فقال : يا بني تميم لو أن لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد . فكتب صاحب الخبر بكلامه إلى زيادة الله فعزله واستقدمه ، فقدم ، وكان غلبون معتنياً به فأصلح أمره عند الأمير زيادة الله ، فتخلى عنه ؛ فأقام أياماً يتردد إلى زيادة الله حتى ذهب ما بقلبه عليه ، ثم استأذنه في الوصول إلى منزله ، فأذن له ، فخرج إلى

تونس . وكان له بإقليم المحمدية قصر يقال له طنبذة وبه لقب الطنبذي فنزل به وجعل يراسل الجند ويذكر لهم ما يلقون من زيادة الله .

ذكر ولاية أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب ابن إبراهيم بن الأغلب

قال : ولمّا مات محمد ولي بعده ابنه أحمد ، وكانت أيامه كلها ساكنة لم يحدث فيها إلاّ ما كان بناحية طرابلس ، وذلك أن قبائل البربر تجمعت ، فكان بينهم وبين عاملها عبد الله بن محمد بن الأغلب حروب كثيرة ، فكتب إلى أبي إبراهيم بذلك ، فأرسل إليهم العساكر ، فكانت بينهم وبين البربر حروب شديدة ثم انهزم البربر وقُتلوا قتلاً ذريعاً .

[٨٣] وفي سنة خمس وستين ومائتين تجهز العباس بن أحمد بن طولون من مصر عند خروجه على أبيه يريد برقة واجتمع إليه الناس ، على ما نذكره في أخبار الدولة الطولونية ، فأخرج إليه إبراهيم حاجبه محمد بن قرهب فلقيه بوادي ورداسة فاقتتلوا ، فانهزم ابن قرهب ، وقدم ابن طولون إلى لبدة فأخذها ، ثم نهض منها يريد طرابلس فحصرها أياماً ، فعزم إبراهيم على الخروج بنفسه ، فلمّا صار إلى قابس لقيه ابن قرهب بالفتح وهزيمة العباس وأخذ من أمواله شيئاً كثيراً .

[١٠١] فتوجه المعز إلى الديار المصرية ، وكان رحيله من المنصورية ووصوله إلى سردانية في يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، وسلّم إفريقية وبلاد المغرب كلّها ليوسف بن زيري بن مناد في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجّة من السنة ، وأمر سائر الناس بالسمع والطاعة . ثم رحل المعز لدين الله من سردانية لخمس خلون من صفر سنة

اثنتين وستين وثلاثمائة ، ثم سار منها إلى طرابلس وأقام بها أياماً ، ورحل منها يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر منها . ووصل ثغر الإسكندرية لست خلون من شعبان منها .

ذكر ولاية أبي الفتوح يوسف بلكين بلاد المغرب

[١١٠] وهو أول ملوك بني زيري ، وذلك أن المعز لدين الله أبا تميم معد بن المنصور بنصر الله بن القائم بأمر الله بن المهدي لما توجّه من المنصورية إلى ديار مصر في سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، بعد أن فتحها القائد جوهر له ، توجه بجميع من كان في قصره وأهل بيته ، ورحل معه يوسف إلى سردانية ، فسلم إليه إفريقية وأعمالها وسائر أعمال المغرب وذلك في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، وأمر سائر الناس بالسمع والطاعة له وفوّض إليه جميع الأعمال إلاّ جزيرة صقلية ، فإنها كانت بيد أبي القاسم علي بن حسن بن علي بن أبي الحسين ، وكذلك طرابلس فإن المعز جعل عليها حين وصوله إليها عبد الله بن يخلف الكتامي ، فلم تزل بيده إلى أن توفّي المعز ، ثم سلّمها ابنه نزار إلى يوسف هي وسرت وما والاهما في سنة سبع وستين وثلاثمائة بسؤال يوسف لذلك .

[١١٤] وأتاه الخبر بوفاة المعز لدين الله وولاية ابنه نزار بن معد ، فكتب إليه يوسف في سنة سبع وستين يسأله في طرابلس وسرت وأجدابية فأجابه ودفع ذلك إليه .

[١٢٦] ثم وصل الخبر أن فلفل بن سعيد وأولاد زيري بن مناد عمومة والد باديس تصالحوا وتعاقدوا على قتال باديس ، فلمّا تحقق ذلك خرج إلى رقادة سنة تسعين وثلاثمائة ورحل حتى انتهى إلى قصر الإفريقي ، فبلغه أن

أولاد زيري رجعوا إلى المغرب خوفاً منه وأنّه ما بقي مع فلفل منهم سوى ماكسن وولده محسن ، فرجع باديس إلى المنصورية . وفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة دخل باديس إلى المغرب في طلب فلفل بن سعيد فهرب منه إلى الرمل وافترق جمعه ، فرجع باديس إلى إفريقية ومعه أبو البهار ابن زيري ، عمّ أبيه ، وكان قبل ذلك قد أتاه معتذراً بأنّه لم يدخل في شيء ممّا دخل فيه إخوته ، فقبل عذره وطيّب قلبه . وأمّا فلفل بن سعيد فإنّه سار إلى طرابلس ، فقبله أهلها أحسن قبول ، فدخلها واستوطن بها .

[١٢٧] وفي سنة أربعمائة مات فلفل بن سعيد الزناتي من علة أصابته وولي أخوه وروا ، فطاعته زناتة . ثم سار باديس في عساكر عظيمة لقتال زناتة ، فلقيه في بعض الطريق عبد الله وشوشى ولدا يتل التركي وأصحابهما ، فعرفوا أنهم لما علموا بخروجه أغلقوا أبواب طرابلس ومنعوا الزناتيين منها ، فسر بذلك ووصلهم وأحسن إليهم . وسار إلى طرابلس فتلقاه أهلها فدخلها ، ثم جاءت رسل وروا بن سعيد ومن معه من الزناتيين يرغبون في الأمان ويسألون أن يجعلوا عمالاً كسائر عمال الدولة ، ووصل جماعة منهم فأحسن إليهم وأعطاهم نفزاوة على أنهم يرحلون عن أعمال طرابلس ، وأعطى النعيم قسطيلية ورجع إلى المنصورية . ثم تغيّر وروا ومن معه وخلعوا الطاعة في سنة إحدى وأربعمائة ورحلوا عن نفزاوة ، ولم يتغير النعيم فأضاف باديس نفزاوة إلى النعيم ، وفي سنة خمس وأربعمائة وصلت رسل الحاكم بأمر الله إلى المنصورية ، وهما عبد العزيز بن أبي كدية وأبو القاسم ابن حسين ومعهما خلع سنية وسيف مكلل وسجل من الحاكم إلى المنصور بن باديس بولاية ما يتولاه أبوه في حياته وبعد وفاته ، ولقّبه عزيز الدولة . فقرىء السجل على الناس بالمنصورية والقيروان ، وسرّ باديس به ، وتقرّب وجوه الدولة إلى المنصور بالهدية الجليلة والأموال .

ذكر مقتل القائد محمد بن حسن

[١٣٨] كان مقتله لسبع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، وذلك أنّه كان قد استقل بالأمور وجبى الأموال منذ فوضت إليه أمور الدولة ، فلم يذخر درهماً واحداً في سبع سنين مع ما ورد من الهدايا الجليلة والتقادم النفيسة . وانتهت حاله إلى أن أخذ مالاً من الذخيرة فلم يرد عوضه ، وضاقت الدولة واتسعت أحواله وكثرت أبنيته التي لا تصلح إلا للملوك ، وهادى الأكابر بمصر ، حتى وصل إليه سجل من الحضرة ، فضاق منه المعز قدسّ له بعض خواصه وأشار عليه أن يقتصر على الخدمة وله ما حصله من الأموال والأبنية ، فأبى إلاّ تمادياً واستمراراً ، فقتله المعز في التاريخ الذي ذكرناه ، وكتب بالحوطة على أمواله ونعمه ورجاله ، وقلد القاسم بن محمد بن أبي العرب سيفه ، وأخرج بين يديه الطبول والبنود ، وصرف إليه النظر في سائر إفريقية . قال : ولما قتل محمد بن حسن صار أخوه عبد الله بن حسن عامل طرابلس وغضب لذلك وبعث إلى زناتة فعاهدهم وأدخلهم طرابلس ، فقتلوا من كان بها من صنهاجة والعسكرين ، وأخذوا المدينة . فلمّا انتهى ذلك إلى المعز أمر بالقبض على جميع بني محمد وحبسهم ، ثم ظفر محمد بن وليمة بعبد الله فأنفذه إلى المعز فاعتقله ، ثم أمر بقتل الجميع ، وذلك لما استغاثت نساء الصنهاجيين وأولادهم الذين قتلوا آباهم بطرابلس .

ذكر خبر شاه ملك التركي ودخوله إلى إفريقية وغدره بيحيى بن تميم

[١٥٦] كان شاه ملك هذا من أولاد بعض أمراء الأتراك ببلاد المشرق ، فناله في بلده أمر أخرجه عنه ، فخرج وسار إلى مصر في مائة فارس ، فأكرمه

الأفضل أمير الجيوش ووصله وأعطاه إقطاعاً ومالاً ، ثم بلغه عنه أشياء أوجبت حبسه هو وأصحابه . وجرى بمصر أمر فخرج شاه ملك هو وأصحابه هاربين ، واحتالوا على خيل وعدة ، وتوجهوا إلى المغرب فوصلوا إلى طرابلس الغرب ، وأهل البلد كارهون لواليها ، فأدخلوهم البلد وأخرجوا الوالي . فصار شاه ملك أمير البلد ، فبلغ تميماً الخبر ، فأرسل العساكر فحصروها وفتحوها وأخذوا شاه ملك ومن معه إلى المهدية فسرّ بهم تميم وقال : قد ولد لي مائة ولد أنتفع بهم .

ذكر ملك الفرنج مدينة طرابلس

[١٦٧] وعلى أيامه مَلَكَ الفرنج مدينة طرابلس الغرب وذلك في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . وسبب ذلك أن رجار صاحب صقلية جهز أسطولاً كثيراً وسيّره إليها ، فأحاطوا بها برّاً وبحراً في ثالث المحرم من السنة ، فقاتلهم أهلها ودامت الحرب بينهم ثلاثة أيام . فلمّا كان في اليوم الثالث سمع الفرنج صيحة عظيمة في البلد وخلت الأسوار من المقاتلة . وكان سبب ذلك أن أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيام يسيرة قد اختلفوا وأخرجت بنو مطروح طائفة وقدموا على أنفسهم رجلاً من الملثمين . كان قد قدم يريد الحج ومعه جماعة ، فولوه أمرهم ، فلمّا نازلهم الفرنج أغارت تلك الطائفة على بني مطروح فوقعت الحرب بين الطائفتين وخلت الأسوار ، فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلاليم وصعدوا على السور وملكوا المدينة فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم ونهبوا أموالهم ، وهرب من قدر على الهرب والتجأوا إلى البربر والعرب . ثم نودي بالأمان للناس كافةً ، فرجع كل من فرّ منها ، وأقام الفرنج ستة أشهر حتى حصنوا أسوارها وحفروا خندقها ، وعند رجوعهم أخذوا رهائن أهلها والملثم وبني مطروح ، ثم أعادوا رهائنهم واستقام أمر المدينة وعمرت سريعاً .

تاريخ ابن الفرات

حوادث سنة ٦٧٢ : ذكر كسر بلبوش أحد عربان برقة وأسره وخلاصه ووفاته : اعلمْ ، أرشدنا الله وإياك ، أن برقة بلاد عظيمة بها عدة مدن ، وكان لها عساكر ، وكانت تسمى أنطابلس ، وفيها مدن على البحر ، ولكل مدينة ميناء تدخلها المراكب بالبضائع وخيولها البرقية معروفة ، وتجلب منها الجمال الجيدة والأغنام الكثيرة ، والعسل والشمع والقطران والقرب وغير ذلك وبها الأخشاب العظيمة ، وأشجارها عظيمة ، ومسافة بلادها التي بها الأشجار حول عشرة أيام ، وكان عسكرها قريب الثلاثة آلاف فارس ، وأكبر مدنها « المرج » وهي ذات مياه ومروج وزراعات ، وهي بعيدة عن البحر أقل من مسيرة يوم ، وهي أكثر هذه البلاد أمناً . ومن المدن هناك طلميثة . أكثر أهلها كانوا يهوداً ، وهناك مدينة طبرق لها ميناء ومرسى ، وهناك مرسى بني غازي .

وكنّا قدمنا ذكر اهتمام الملك الظاهر بأمور برقة واستمالة من بها من العربان للطاعة واستخراج الزكاة منهم ، إلا ما كان من بلبوش أحد أمراء برقة ، فإنّه أبى إلاّ جماحاً فؤاده ، ونفوراً قياده ، وقدحاً زناده، فاجتمع أمر العربان وهم عطاء الله ومقدم بن عزاز وغيرهما من العربان ببرقة ، وتوجهوا إليه وكان معه رجال مقدار خمسة آلاف راجل ، خارجاً عن الخيالة ، فكسره العرب الذين في طاعة الملك الظاهر . . . واستمر القتال إلى آخر النهار وأسر بلبوش وأحضر إلى القاهرة المحروسة ، ولما حصل الاستيلاء عليه أحدث في بلاده أبراج تسميها العربان بالحصون تكون متين

أو سبعين حصناً ، ولهذا بلبوش ثلاثون جد ا مُلاّك برقة ما أطاعوا أحداً قط .
ولما عاد السلطان من الشام أحسن إلى الأمير بلبوش واستخلفه ، وكتب له بالإمرة وتقدم بعوده إلى بلاده فصادفته المنية فانتقل إلى رحمة الله تعالى .

٦٧٤ = ١٢٧٥

[٧ : ٤٣] ذكر استيلاء الملك الظاهر على طلميثة من أعمال برقة : كان الملك الظاهر قد بعث . . . وبني عمّه مع صارم الدين أزبك وجماعة من الأجناد والعرب والمماليك إلى برقة لعداد الأغنام ، فعاد ومعه منصور صاحب مدينة طلميثة ومفاتيحها معه في سابع عشري جمادى الآخرة .

[٤٥] وغزاها [أي النوبة] أبو منصور تكين التركي هي وبرقة في عام واحد ولم يفتح النوبة .

٦٧٦ = ١٢٧٧

[٧ : ٨٣] وملك [أي الظاهر] من القلاع قلعة العميدين بأرض برقة وقلعة الجزيرة بالروضة . . . إلخ .

٦٩٤ = ١٢٩٥

[٨ : ١٩٩] وفي هذه السنة أيضاً قصر النيل بالديار المصرية . . . واشتد البلاء بالديار المصرية ، وأجدبت برقة وأعمالها وبلاد المغرب ونواحيها . . .
وقال بعض أهل التاريخ : كان كسر الخليج في هذه السنة عن نقص كثير بغير تخليق بعد النوروز في شوال من هذه السنة ، وأجدبت البلاد الغربية إلى برقة وأعمالها فلم يصبها شيء من الوبل . . .

٧٩٢ = ١٣٩٠

[٩ : ٢٣٣] (الثلاثاء ٢ شوال) وفيه حضر مملوك نائب ثغر الإسكندرية وأخبر بأنّه وردت الأخبار من المغرب بأن الافرنج الذين كانوا حضروا إلى طرابلس وغرق كثيرهم ، توجهوا منها إلى إفريقية فحاصروا المهدية . . . إلخ .

كتاب السلوك للمقريزي

[١ قسم ١ — ٣] ص ٦٠ [سنة إحدى وسبعين وخمسمائة] : وفيها سار شرف الدين قراقوش — أحد أصحاب تقي الدين عمر — إلى بلاد المغرب في حادي عشر محرم في جيش ، فأخذ من صاحب أوجلة عشرين ألف دينار فرقها في أصحابه ، وعشرة آلاف دينار لنفسه ، وسار منها إلى غيرها ؛ ثم بلغه موت صاحب أوجلة ، فعاد إليها وحاصر أهلها ، وقد امتنعوا عليه حتى أخذها عنوة ، وقتل من أهلها سبعمائة رجل ، وغنم منها غنيمة عظيمة ، وعاد إلى مصر .

[٦٥] (سنة ٥٧٣) : وفيها أطلق شرف الدين قراقوش التقوي ، وسار إلى أوجلة وغيرها من بلاد المغرب .

وفيها سار الأمير ناصر الدين إبراهيم ، سلاح دار تقي الدين [عمر] ، في عسكر إلى بلاد المغرب ، فوصل إلى قراقوش التقوي ، وسارا إلى مدينة الروحان ، فنازلاها أربعين يوماً ، حتى فتحت وقتل حاكمها ، وقرّرا عليها أربعة عشر ألف دينار ، وملكا مدينة غدامس بغير قتال ، وتقرّر على أهلها اثنا عشر ألف دينار ، وسار إبراهيم إلى [جبال] نفوسة ، فملك عدة قلاع ، وصار إليه مال كثير ورجال ، وسار البعث من عند قراقوش إلى بلاد السودان ، فغنموا غنيمة عظيمة .

[٥٢٠] (سنة ٦٦٢) : ورسم بتقديم سيف الدين عطا الله بن عزاز على عرب برقة ، وألزمه بجباية زكاة المواشي وأخذ عشر الزروع والثمار بفريضة الله ، فالتزم بذلك . وأنعم عليه بسنجق ونقارات ، وتوجّه لحفظ البلاد

واستخراج الزكاة والعشور من العربان ببرقة .

[٥٩٠] (المحرم ٦٦٩) : وفيه ورد الخبر بمسير الفرنسيس وملوك الفرنج إلى تونس ومحاربة أهلها ، فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة له على الفرنج ، وكتب إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته ، وأمرهم بحفر الآبار في الطرقات برسم العساكر ، وشرع في تجريد العساكر . فورد الخبر بموت الفرنسيس وابنه وجماعة من عسكره ، ووصول نجدات العربان إلى تونس وحفر الآبار ، وأن الفرنج رحلوا عن تونس في خامس صفر .

[٦٠٨] (سنة ٦٧١) : وفيها استولى السلطان على عامة مدن برقة وحصونها .

[٨١٠] (سنة ٦٩٤) : وفيها قصر مد النيل وبلغ ستة عشر ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً ، ثم هبط من ليلته ولم يعد ، فتزايد الغلاء واشتد البلاء . وأجدبت بلاد برقة أيضاً ، وعم الغلاء والقحط ممالك المشرق والمغرب والحجاز ، وبلغ سعر إردبّ القمح بمصر مائة وخمسين درهماً فضّة .

المواعظ والاعتبار للمقريزي

[١ : ٢٤] قال القضاعي : الذي يقع عليه اسم مصر من العريش إلى آخر لوبية ومراقية ، وفي آخر أرض مراقية تلقى أرض أنطابلس وهي برقة . . . . فهذا المحدود من أرض مصر ، وما كان بعد هذا من الحدّ الغربي فمن فتوح أهل مصر وثغورهم من برقة إلى الأندلس .

[١ : ٢٠٧] من مدن مصر : مدينة لوبية ومراقية ، وليس بعد لوبية ومراقية إلاّ أرض أنطابلس وهي برية .

[٢ : ٨٠-٨١] ثم سار [عمرو] إلى الإسكندرية سنة عشرين في ربيع الأول منها فحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة ، وهو الفتح الأول ، ويقال بل فتحها مستهل سنة إحدى وعشرين ثم سار عنها إلى برقة فافتتحها عنوة في سنة اثنتين وعشرين ، وقيل في سنة ثلاث وعشرين .

[٢ : ٨٢] فثار شيعة عثمان بمصر وعقدوا لمعاوية بن حديج وبايعوه على الطلب بدم عثمان وساروا إلى الصعيد فبعث إليهم ابن أبي حذيفة خيلاً فهزمت ، ومضى ابن حديج إلى برقة ثم رجع إلى الإسكندرية . . .

[٢ : ٨٣] وعقد عمرو لشريك بن سمي على غزو لواتة من البربر فغزاهم في سنة أربعين وصالحهم ، ثم انتقضوا ، فبعث إليهم عقبة بن نافع في سنة إحدى وأربعين فغزاهم حتى هزمهم ، وعقد لعقبة أيضاً على غزو هوارة ، وعقد لشريك بن سمي على غزو لبدة فغزواهما في سنة ثلاث وأربعين فقفلا ، وعمرو شديد الدنف في مرض موته .

[٢ : ١٠٠] ثم قدم الأفشين حيدر بن كاوس الصغدي إلى مصر لثلاث

خلون من ذي الحجة [٢١٥ هـ] ومعه علي بن عبد العزيز الجروي لأخذ ماله ، فلم يدفع إليه شيئاً ، فقتله وصرف عبدويه [بن جبلة صاحب الصلات] وخرج إلى برقة . . . . وانتقضت أسفل الأرض عربها وقبطها في جمادى الأولى وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة ، فقدم الأفشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة .

[٢ : ١١٤] فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف عليه فأزعجه ذلك ، وسار ، فخاف العباس وقيد الواسطي وخرج بطائفته إلى الجيزة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين ، فعسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن أحمد وأظهر أنّه يريد الإسكندرية وسار إلى برقة ، فقدم أحمد ابن طولون من الشام لأربع خلون من رمضان فأنفذ القاضي بكار بن قتيبة في نفر بكتابه إلى العباس ، فساروا إليه ببرقة فأبى أن يرجع ، وعاد بكار في أول ذي الحجة ، ومضى العباس يريد إفريقية في جمادى الأولى سنة ست وستين ، فنهب لبدة وقتل من أهلها عدة وضجت نساؤهم ، فاجتمع عليه جيش ابن الأغلب والإباضية فقاتلهم بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ ، وقال :

لله درّيَ إذْ أعدو على فرسي ... إلى الهياجِ ونارُ الحربِ تستعرُ
وفي يدي صارمٌ أفري الرؤوس به ... في حدّه الموتُ لا يبقي ولا يذر
إن كنتِ سائلةً عني وعن خبري ... فها أنا الليثُ والصمصامةُ الذكر
من آل طولون أصلي إن سألتِ فما ... فوقي لمفتخر بالجود مفتخَر
لو كنتِ شاهدةً كرّي بلبدةَ إذْ ... بالسيفِ أضربُ والهاماتُ تبتدر
إذاً لعاينت منّي ما تبادره ... عني الأحاديثُ والأنباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه ونهبت أمواله وفر إلى برقة في ضر ، وعقد أحمد بن طولون على جيش وبعث به إلى برقة في رمضان

سنة سبع وستين ، ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال إنّه بلغ مائة ألف لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثمان وستين ، فأقام بالإسكندرية ، وفرّ إليه أحمد بن محمد الواسطي من عند العباس ، فصغر عنده أمر العباس ، فعقد على جيش سيره إلى برقة ، فواقعوا أصحاب العباس وهزموهم وقتلوا منهم كثيراً . وأدركوا العباس لأربع خلون من رجب .

[١١٦] ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وبويع المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفّق ، فبعث إليه خمارويه بالهدايا ، وقدم من الشام لست خلون من ربيع الأول سنة ثمانين فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من الفرات إلى برقة ، وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الأعمال ، على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عمّا مضى وثلاثمائة ألف للمستقبل .

[١٢٥] ثم ولي تكين الخزري أبو منصور (بعد موت النوشري سنة ٢٩٧ وولاية ابنه أبي الفتح) من قبل المقتدر على الصلات ، فدعي له بها يوم الجمعة لإحدى عشرة خلت من شوال ، وقدم خليفته لسبع بقين منه ، ثم قدم تكين لليلتين خلتا من ذي الحجّة ، وتقدّم إليه بالجد في أمر المغرب والاحتراس منه ، فبعث جيشاً إلى برقة عليه أبو اليمن فحاربه حباسة بن يوسف بعساكر المهدي عبيد الله الفاطمي ، صاحب إفريقية ، واستولى على برقة وسار إلى الإسكندرية في زيادة على مائة ألف ، فدخلها في المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة .

[١٦٢] وتتبع (أي المهدي) بني الأغلب فقتل منهم جماعة ، وجهز في سنة إحدى وثلاثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر إلى مصر فأخذ برقة والإسكندرية والفيوم .

[٤ : ٦٩] وقلد [أي الحاكم بأمر الله] إمارة برقة صندل الأسود في

المحرم سنة أربع وتسعين [وثلاثمائة] .

[٧٠] وفي سنة ست وتسعين [وثلاثمائة] خرج أبو ركوة يدعو إلى نفسه وادعى أنّه من بني أميّة ، فقام بأمره بنو قرّة لكثرة ما أوقع بهم الحاكم وبايعوه ، واستجاب له لواتة ومزاتة وزنادة ، وأخذ برقة وهزم جيوش الحاكم غير مرّة وغنم ما معهم . فخرج لقتاله القائد فضل بن صالح في ربيع الأول وواقعه فانهزم منه فضل . واشتد الاضطراب بمصر وتزايدت الأسعار واشتد الاستعداد لمحاربة أبي ركوة ونزلت العساكر بالجيزة ؛ وسار أبو ركوة ، فواقعه القائد فضل وقتل عدة ممّن معه ، فعظم الأمر واشتد الخوف وخرج الناس فباتوا بالشوارع خوفاً من هجوم عساكر أبي ركوة . واستمرت الحروب فانهزم أبو ركوة في ثالث ذي الحجّة إلى الفيوم ؛ وتبعه القائد فضل ، بعد أن بعث إلى القاهرة بستة آلاف رأس ومائة أسير ، إلى أن قبض عليه ببلاد النوبة ، وأحضر إلى القاهرة فقتل بها ، وخلع على القائد فضل وسيرت البشائر بقتله إلى الأعمال .

تاريخ الدولتين للزركشي

[٨] ووفد عليه أيضاً ابن مطروح شيخ طرابلس بعد أن قام على النصارى الذين بها ، فأحسن إليهما عبد المؤمن وأكرم مثواهما .

[١٢] وولّى الناصر المهدية لمحمد بن نعمون من الموحدين ، ورحل إلى تونس فأقام بها حولاً إلى منتصف سنة ثلاث وستمائة ، وسرح أثناء ذلك أخاه السيد أبا إسحاق ليتتبع المفسدين ، فسار إلى أن دوخ ما وراء طرابلس وشارف أرض سرت وبرقة وانتهى إلى سويقة ابن مذكود ، وفرّ ابن غانية إلى صحراء برقة وانقطع خبره وانكفأ السيد أبو إسحاق راجعاً إلى تونس .

[١٣] ثم إن ابن غانية جمع العرب من الزواودة وغيرهم فجاء بهم لقتال الموحدين بتونس ، فخرج إليه الشيخ أبو محمد عبد الواحد مع بني عوف من سليم ، فالتقوا بنواحي سبتة سنة أربع وستمائة فانهزم ابن غانية ولجأ إلى جهة طرابلس .

[٢٦] وفي سنة سبع وخمسين عزل السلطان القاضي عبد الرحمن عن قضاء تونس ، وقدم الفقيه أبا القاسم ابن علي بن البرا المهدوي ، ثم أخره عن القضاء وقدم أبا موسى عمران بن معمر الطرابلسي ، وكان فقيهاً صالحاً حسن الأخلاق وطيء الجانب حافظاً للمذهب عارفاً بالمسائل بصيراً بالأحكام ، ولي قضاء بلده طرابلس والخطبة والصلاة بجامعها ثم نقل عنها إلى حضرة تونس ، قدم سنة ثمان وخمسين فلم يزل قاضياً إلى أن توفي .

[٢٩] وفي عاشر ربيع الآخر من سنة ستين توفّي قاضي الجماعة بتونس أبو موسى عمران بن معمر الطرابلسي ، وتولى بعده أبو عبد الله محمد بن

علي بن إبراهيم المهدوي المعروف بابن الخباز .

[٣٥] وفي الرابع من المحرم مفتتح عام واحد وثمانين وستمائة ظهر عند دباب رجل ادعى أنّه الفضل بن يحيى الواثق بن المستنصر وأنّه انفلت من السجن ، وصدقه الفتى نصير المعروف بمولى مولى الواثق ، فصح عند دباب أنّه الفضل . وكان الفضل قتل بتونس حسبما تقدم . وكان الفتى نصير لما رأى هذا الدعي تبين له فيه شبه الفضل مولاه فطفق يبكي ويقبّل قدميه ، فقال له الدعي : ما شأنك ؟ فقص عليه الخبر ، فقال له : صدقني في هذه الدعوى وأنا آخذ بثأرك ممّن قتلهم . فأقبل نصير على أمراء العرب منادياً بالسرور بابن مولاه حتى خيّل عليهم ، وكان الدعي قد أخبر بمحاورات وقعت بين العرب وبين الواثق فقصّها عليهم نصير ، فصدقوا واطمأنّوا وبايعوه ، وألقيت محبته في قلب أبي علي مغرم بن صابر بن عسكر شيخ دباب ، فعضده وجمع عليه العرب ونازل معه طرابلس ، وصاحبها حينئذ من قبل السلطان أبي إسحاق محمد بن عيسى الهتاتي المعروف بالمكان بعنق الفضّة ، فأغلقها ووقع القتال مدة ثم رحل عنها ، وجبى تلك النواحي ، ثم رحل إلى قابس وقد ظهر أمره .

[٣٧] ثم أخرج جيشاً وأمّر عليه شيخ الموحدين الشيخ أبا محمد عبد الحق بن تافراجين ، وأمره بقتل من ظفر به من العرب ورفع عن الناس الأنزال ، وكانوا يلقون منه أمراً عظيماً . ومات يوم دخوله لتونس في زحام باب المنارة ثلاثة عشر رجلاً ، منهم الفقيه القاضي أبو علي حسن بن معمر الهواري الطرابلسي .

[٤٤] وفي الخامس عشر لشهر رمضان بعد صلاة الجمعة من سنة خمس وسبعمائة قتل العامة بتونس هداج بن عبيد الكعبي بجامع الزيتونة بسبب دخوله للجامع بخفّيه ، فزجره بعض الناس عن ذلك فقال : دخلت والله بهما على

السلطان ، فاستعظم ذلك العامة منه وقاموا عليه وقتلوه وجروه في طرق تونس . وسببه أنّه كان من رؤساء الكعوب ، وكان الكعوب قد أضروا بالسبل وعتوا في الأرض ، فحقد العامة عليهم وفعلوا به ذلك . ولمّا بلغ خبره لقومه ازدادوا طغياناً ، واستقدم أحمد بن أبي الليل شيخ الكعوب حينئذ عثمان بن أبي دبوس من نواحي طرابلس وبايعه وأجلب به على الحضرة ونازلها ، وخرج إليهم الوزير أبو عبد الله محمد بن يرزكين في العساكر ، فهزمهم ، وسار بالعسكر لتمهيد الجهات ، فوفد عليه أحمد بن أبي الليل ومعه سليمان بن جامع من رجال هوارة ، بعد أن راجع الطاعة . وصرف ابن أبي دبوس إلى مكانه من نواحي طرابلس ، فقبض عليهما وبعث بهما إلى الحضرة ، فلم يزالا مثقفين إلى أن هلك أحمد بمحبسه سنة ثمان ، وقام بأمر الكعوب محمد بن أبي الليل ومعه حمزة ومولاهم ابنا أخيه عمر رديفين له .

[٤٩] وفي يوم الخميس التاسع لجمادى الأولى من السنة المذكورة وصل الشيخ أبو عبد الله المزدوري صحبة العرب إلى تونس نائباً عن الأمير أبي يحيى زكرياء بن أحمد بن محمد اللحياني ، وكان وصل من الحجاز إلى إفريقية فوجد الأحوال قد اضطربت بها ووجد العرب غلبت على إفريقية ، فعزم على الولاية ، فبويع بطرابلس . وكان صاحب قسنطينة المولى أبو بكر قد بايع لنفسه بقسنطينة لما سمع باختلال أحوال إفريقية ، كما يُذكر بعد ، ولما سمع السلطان خالد بذلك جهز عسكراً وعقد عليه لظافر مولاه المعروف بالكبير وسرحه إلى قسنطينة ، فانتهى إلى باجة ، فأراح بها . ثم لمّا سمع المولى أبو بكر صاحب قسنطينة بقدوم الأمير أبي يحيى زكرياء بن اللحياني ومبايعته بطرابلس أوفد عليه هنالك حاجبه أبا عبد الرحمن بن عمر بهدية ووعد بأنّه ممده ومظاهره على شأنه ، فأحكم ذلك عقدة الأمير أبي يحيى بن اللحياني وشدّ في أمره ، وتواثب إليه رجال الكعوب أولاد أبي الليل وغيرهم فبايعوه واستحثوه

للحضرة ، فارتحل إليها ، وبعث في مقدمته أولاد أبي الليل ، ومعهم شيخ دولته الشيخ أبو عبد الله محمد المزدوري ، فوصلوا إلى تونس ، فكانت بتونس معركة قتل فيها شيخ الدولة أبو زكرياء الحفصي ؛ وتسارع الناس للمزدوري ومكّنوه من تونس .

[٧١] وأقام السلطان أبو الحسن بتونس ، ووفد عليه أحمد بن مكي ، فعقد لعبد الواحد اللحياني على الثغور الشرقية طرابلس وقابس وصفاقس وجربة ، وسرحه مع ابن مكي ، فهلك عبد الواحد عند وصوله في الطاعون الجارف . وعقد لابن عبو على قسطيلة وسرحه إليها .

[٨٠] وفي عاشر ربيع الآخر من العام المذكور [٧٥٥] أخذ النصارى مدينة طرابلس غدراً ، أظهروا أنهم تجار فصدقهم صاحبها ابن ثابت ، فلمّا كان عند الصباح نصبوا السلالم وصعدوا الأسوار واستولوا عليها ، وفر صاحبها فحصل بأيدي العرب فقتلوه وأخاه لدم كان أصابهم منهما . وأسر النصارى جميع البلاد ومكثوا فيها نحواً من أربعة أشهر ، وكان خروجهم منها ثاني عشر شعبان من العام المذكور بعد أن نقلوا جميع ما فيها لبلدهم جنوة وتركوها خالية خاوية ، والعرب في أثناء ذلك يردون من أراد قتالهم من المسلمين إلى أن داخلهم ابن مكي ، صاحب قابس ، في فدائها فاشترطوا عليه خمسين ألفاً من الذهب العين ؛ فبعث فيها لملك المغرب السلطان أبي عنان يطرفه بمثوبتها ، ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده واستوهب ما بقي من أهل قابس والحامة وبلاد الجريد فوهبوها له رغبة في الخير ، ومكّنه النصارى من طرابلس فملكها .

[٩٦] وكان أبو بكر ابن ثابت ، صاحب طرابلس ، قد بعث طاعته ووافت رسله السلطان قرب قابس ، فلمّا استكمل فتحها بعث إليه من حاشيته لاقتضاء ذلك ، فرجعهم بالطاعة . وأقام ابن مكي بعد خروجه من قابس بين أحياء العرب ليالي قلائل ثم توفّي بغتة ، ولحق ابنه وحفيده بطرابلس ،

للحضرة ، فارتحل إليها ، وبعث في مقدمته أولاد أبي الليل ، ومعهم شيخ دولته الشيخ أبو عبد الله محمد المزدوري ، فوصلوا إلى تونس ، فكانت بتونس معركة قتل فيها شيخ الدولة أبو زكرياء الحفصي ، وتسارع الناس للمزدوري ومكّنوه من تونس .

[٧١] وأقام السلطان أبو الحسن بتونس ، ووفد عليه أحمد بن مكي ، فعقد لعبد الواحد اللحياني على الثغور الشرقية طرابلس وقابس وصفاقس وجربة ، وسرحه مع ابن مكي ، فهلك عبد الواحد عند وصوله في الطاعون الجارف . وعقد لابن عبو على قسطيلة وسرحه إليها .

[٨٠] وفي عاشر ربيع الآخر من العام المذكور [٧٥٥] أخذ النصارى مدينة طرابلس غدراً ، أظهروا أنهم تجار فصدقهم صاحبها ابن ثابت ، فلمّا كان عند الصباح نصبوا السلالم وصعدوا الأسوار واستولوا عليها ، وفر صاحبها فحصل بأيدي العرب فقتلوه وأخاه لدم كان أصابهم منهما . وأسر النصارى جميع البلاد ومكثوا فيها نحواً من أربعة أشهر ، وكان خروجهم منها ثاني عشر شعبان من العام المذكور بعد أن نقلوا جميع ما فيها لبلدهم جنوة وتركوها خالية خاوية ، والعرب في أثناء ذلك يردون من أراد قتالهم من المسلمين إلى أن داخلهم ابن مكي ، صاحب قابس ، في فدائها فاشترطوا عليه خمسين ألفاً من الذهب العين ، فبعث فيها لملك المغرب السلطان أبي عنان يطرفه بمثوبتها ، ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده واستوهب ما بقي من أهل قابس والحامة وبلاد الجريد فوهبوها له رغبة في الخير ، ومكّنه النصارى من طرابلس فملكها .

[٩٦] وكان أبو بكر ابن ثابت ، صاحب طرابلس ، قد بعث طاعته ووافت رسله السلطان قرب قابس ، فلمّا استكمل فتحها بعث إليه من حاشيته لاقتضاء ذلك ، فرجعهم بالطاعة . وأقام ابن مكي بعد خروجه من قابس بين أحياء العرب ليالي قلائل ثم توفّي بغتة ، ولحق ابنه وحفيده بطرابلس ،

فمنعهما ابن ثابت الدخول إليها ، فنزلا بزنزور من قراها في كفالة الجواري من بطون دباب . ولمّا استكمل المولى السلطان الفتح انكفأ راجعاً إلى حضرته ، فدخلها فاتح سنة ثنتين وثمانين ، ولحقه رسله بهدية من ابن ثابت صاحب طرابلس ، ووفد عليه في الحضرة أولاد أبي الليل طالبين العفو عنهم فأجابهم إلى ذلك .

[٩٩] وفي عام خمسة وتسعين وسبعمائة نافق أهل قفصة فتحرك المولى السلطان حتى نزلها ، فحاصرها وقطع كثيراً من نخلها وشجرها وارتحل عنها بعد مدة تملّلاً من العرب ، ورجع إلى تونس . وكان المولى السلطان لما استقر بتونس استخلص جميع البلاد إلا طرابلس وبسكرة فكانتا تحت طاعته بنظر شيخهما.

فتولى تونس وبلادها بعده ولده مولانا أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز ابن المولى السلطان أبي العباس أحمد ابن المولى الأمير أبي عبد الله محمد ابن المولى السلطان أبي يحيى أبي بكر ابن الأمير المولى أبي يحيى زكرياء ابن المولى السلطان أبي إسحاق إبراهيم ابن المولى الأمير أبي زكرياء ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص ، أمه أم ولد اسمها جوهرة من الحرات المحاميد عرب طرابلس ، ولها حكاية يطول ذكرها هاهنا .

[١١٢] وفي العام المذكور [٨٣٣] قتل صاحب طرابلس نبيل بن أبي قطاية شيخ حكيم المرابط بن أبي صعنونة بصحراء طرابلس وبعث برأسه ، وفي عشية يوم الأحد الثاني والعشرين من رجب العام المذكور مات المولى الأجل ولي عهد الخلافة أبو عبد الله محمد المنصور ابن المولى أبي فارس بوطن طرابلس ، وحمل إلى تونس ودفن بالتربة المجاورة لتربة سيدي محرز بن خلف . وفي آخر شوال من السنة المذكورة توفي الشيخ العالم الفقيه أحمد الشماع ، قاضي المحلة والخطيب بجامع القصبة ، وتولى بعده الخطابة والقضاء الفقيه الورع الأفضل أبو عبد الله محمد المسراتي .

[١٢٨] وفي يوم الاثنين سادس شوال من عام خمسة وخمسين رحل السلطان من تونس مشرقاً لبلد طرابلس ، يهدن أوطانها ويطلب جبايتها ، وانصرف راجعاً للحضرة .

[١٣٥] وفي ثاني عشر ذي الحجة من العام المذكور [٨٦٢] خرج السلطان في محلته وانتهى إلى تاورغة وقفل راجعاً ، وعقد في رجوعه على طرابلس للقائد أبي النصر ابن جاء الخير وصرفه إليها فدخلها في ربيع الثاني من عام ثلاثة وستين .

بدائع الزهور لابن اياس

[١ : ٣] قال أبو الصلت أميّة الأندلسي : إن حد أرض مصر في الطول من مدينة برقة إلى عقبة أيلة . . . وقيل : من برقة إلى منتهى الواحات السبع .

[١ : ١١١] وأمّا ما افتتحه [الملك الظاهر بيبرس] من بلاد السودان فهي النوبة وأعمالها ، وافتتح قلعة العميدين من أعمال برقة .

[١ : ١٢٠] وأمّا ما افتتحه الملك المنصور قلاوون في أيامه من الفتوحات فهو المرقب وجبلة من بلاد الافرنج ، وفتح طرابلس الغرب .

[١ : ١٦٠] ثم دخلت سنة ثماني عشرة وسبعمائة ، فيها جرد السلطان العسكر إلى نحو برقة بسبب فساد العربان لأنهم قد منعوا غنم الزكاة وأظهروا العصيان ، فجرد إليهم السلطان وأخذ أغنامهم وجمالهم وقتل منهم جماعة ، وهرب الباقون إلى نحو بلاد الغرب .

[٢ : ٩٩] وفيه [ذي الحجة ٨٧٢] جاءت الأخبار بوفاة صاحب طرابلس الغرب .

[٢ : ٢٧٢] وفيه [ذي الحجة ٨٩٦] قتل شاسي بن أبي النصر بن رجاء الخير ، قائد طرابلس ، وكان من خيار أعيان بلاد الغرب .

[٤ : ١٩٠] [جمادى الأولى ٩١٦] وفيه جاءت الأخبار من بلاد الغرب بأن الفرنج قد ملكوا مدينة طرابلس الغرب ، وهذه المدينة من أجَلّ مداين الغرب ، وهي مدينة عاصية ، ولولا أن الفرنج تحايلوا على أخذها لما قدروا على ذلك ، وقد أحاطوا بها برّاً وبحراً فوقع بين الفريقين واقعة عظيمة

وقتل من المسلمين نحو من أربعين ألف إنسان . وكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث المهولة ، وقد جاءها الفرنج من البحر في مائة مركب ، ومن المراكب طلعوا إلى البر ووقع بينهما القتال حتى ملكوها ، فلمّا بلغ السلطان ذلك تنكد إلى الغاية ، وكذلك الناس قاطبة .

[١٩١] [جمادى الأولى ٩١٦] وفيه جاءت الأخبار بأن صاحب تلمسان من بلاد الغرب قد انتصر على الفرنج الذين كانوا قد أخذوا مدينة طرابلس الغرب وطردوهم عنها ، وكانت النصرة للمسلمين عليهم ، فسر السلطان والناس قاطبة لهذا الخبر .

المؤنس لابن أبي دينار

[١٦] وحدّ إفريقية بالطول من برقة إلى طنجة وعرضها من البحر الشامي إلى الرمال التي أول بلاد السودان ، قاله غير واحد ، قلت : في زماننا هذا لا يعبر بإفريقية إلاّ من واد الطين إلى بلد باجة .

[١٧] وحكى بعض المؤرخين عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنّه قال : كانت إفريقية من طنجة إلى طرابلس ظلاً واحداً وقرى متصلة عامرة فأخربت جميع ذلك الكاهنة ، وذلك لما هزمت حسان بن النعمان الغساني ، بعدما فتح قرطاجنة وتونس وهزم البربر هزيمة شنيعة ، وفروا أمامه إلى برقة ورجع إلى القيروان فسأل : هل بقي أحد ممّن له شوكة قوية من البربر ؟ فقيل له : امرأة ساحرة يقال لها الكاهنة ، وهي بجبل أوراس في عدد عظيم . فسار إليها والتقى معها فاقتتلوا أشد قتال ، فقتل من العرب خلق كثير وانهزم حسان ، واتبعته الكاهنة حتّى خرج من عمل قابس ، وأسرت من أصحابه ثمانين رجلاً ، وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان . وكتب حسان إلى عبد الملك يخبره بما لقي المسلمون فوافاه الجواب يأمره بالمقام حيث أدركه كتاب أمير المؤمنين ، فأدركه وهو في عمل برقة ، فأقام هنالك خمسة أعوام بموضع يقال له قصور حسان ، وبعده سمي إلى الآن .

[١٨] ومن مدن إفريقية : برقة – وطرابلس – وغدامس – وفزان – وأوجلة – وودان – وكوار – وقفصة – وقسطيلية – وقابس – وجربة – وتيهرت – وباجة – والأربس – وشقبنارية – وصبرة – وسبيطلة – وباغاية – ولميس – وأذنة – ودرعة – ومجانة – وسوسة – وبنزرت –

وزغوان – وجلولا – وقرطاجنة – وتونس . وكل هذه وقع عليها الفتح . وإنّما كانت دار الملك .

[٢٢] اعلم أن الخلفاء الراشدين ، رضي الله تعالى عنهم ، فتحَ في أيامهم جلّ بلاد المشرق ، ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والإسكندرية بعث عقبة بن نافع إلى برقة وزويلة وما جاورهما من البلاد فصارت تحت ذمّة الإسلام . وسار عمرو بن العاص فغزا مدينة طرابلس وفتحها وافتتح جبال نفوسة ، وكانوا على دين النصرانية ، كل هذا في زمَن عمر بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه ، في سنة ثلاث وعشرين . وفي إقامة عمرو بن العاص على طرابلس بعث بسر بن أرطاة ففتح ودان وجبال نفوسة ، ولم يتجاوز عمرو ابن العاص إلى إقليم إفريقية ورجع إلى مصر قافلاً ، رضي الله تعالى عنه .

[٢٦] وقيل إن رويفع بن ثابت كان عاملاً لمعاوية بن حديج على طرابلس سنة ست وأربعين فغزا إفريقية من طرابلس سنة سبع وأربعين وفتح جربة ، والله أعلم .

[٢٧] وفتحت في أيام عقبة غدامس أيضاً ، ولكن في ولايته الأولى سنة اثنتين وأربعين ، فقتل وسبى وبلغ في غزوته إلى بلد السودان وعامة بلاد البربر ، وفتح فزان ، وفتح ودان وقفصة وقسطيلية فتحاً ثانياً لأنها فتحت قبله وارتدوا فأعادهم بغزوته هذه حتى أذعنوا له . وكذلك نفطة ونفيوس وقابس والحامة . ولمّا غزا فزان خرج إليه ملكهم فصالحه على ثلاثمائة عبد وستين عبداً . وغزا قصور كوار وفرض على أهلها ثلاثمائة عبد وستين عبداً ، وهنالك أدركه هو وأصحابه العطش فصلى ركعتين وسأل الله سبحانه وتعالى الماء ، فجعل فرسه يبحث برجليه حتى طلع الماء ، وهو الذي يقال له عين الفرس إلى زماننا هذا . وضايق على أهل كوار ورحل عنهم وأخذهم بغتة بعدما رحل عنهم واطمأنوا ، فأباح ما في مدينتهم وسبى نساءهم وذراريهم

فالتقى الجمعان واقتتلوا قتالاً شديداً ففرّ حسان منهزماً وقتل من العرب خلق كثير ، وأسرت من أصحاب حسان ثمانين رجلاً ، واتبعت حساناً حتى خرج من عمل قابس ونزل في برقة بمكان يعرف به إلى اليوم يقال له قصور حسان ، وقد سبق في أول الكتاب بما فيه كفاية ، ومكث هنالك خمسة أعوام إلى أن جاءه كتاب عبد الملك بن مروان . وأمده عبد الملك بالمال والرجال ، وكرّ راجعاً إلى إفريقية . فلمّا سمعت به الكاهنة بعثت إلى عمال إفريقية كلّها وقطعت أشجارها وخربت بساتينها ، علماً بأن العرب لا يطلبون إلاّ المدن ، وإذا أخلت المدن لم يكن لهم أرب في إفريقية . واسم الكاهنة دامية بنت ينفاق ، وهي من عظماء البربر الذين ملكوا إفريقية . وكما سبق في أول الكتاب انّها كانت ظلاً واحداً من طرابلس إلى طنجة .

[٤٦] ومنهم الأمير هرثمة بن أعين الهاشمي ولاّه أمير المؤمنين هارون الرشيد إفريقية سنة تسع وسبعين ، وقدم إلى إفريقية يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر من السنة المذكورة ، وأقام بها إلى سنة ثمانين . وفيها بنى بلد المنستير ، قاله ابن خلكان . ونقل ابن الشباط أنّه بنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين على يد زكرياء بن قادم . وبنى سور مدينة طرابلس وأمن الناس في أيامه .

[٥٣] واستقام الأمر للمهدي وعهد إلى ولده أبي القاسم محمد ، ونفذت الكتب عنه بولي عهد المسلمين وعصت عليه صقلية ، فبعث إليها أسطولاً وفتحها وبعث إليها عاملاً من قبله . وخالفت عليه طرابلس فبعث إليها جيشاً ففتحها وأغرم أهلها ثلاثمائة ألف دار بعين ألف دينار .

[٦٠] وكان المعز [الصنهاجي] عالماً فاضلاً جواداً سمحاً شجاعاً جارياً على منهاج أبيه من حسن السيرة وإنصاف الرعية ، وفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة رحل المعز إلى المغرب وصعد إلى جبل أوراس وجالت فيه خيوله وقاتل من

به من العصاة حتى أطاعوا له ، وعقد إلى مولاه قيصر بولاية المغرب كله ، وعلى أشير زيري بن مناد الصنهاجي ، وعلى المسيلة وأعمالها جعفر بن علي ابن حمدون المعروف بابن الأندلسي ، وعلى باغاية وأعمالها نصير الصقلي ، وعلى فاس أحمد بن بكر ، وعلى سجلماسة محمد بن واسول ، وقد عصى فيما بعد وتلقّب بالشاكر لله ، وعلى قابس ابن عطاء الله الكتامي ، وعلى مدينة سرت باسيل الصقلي ، وعلى أجدابية ابن كافي الكتامي ، وعلى برقة وأعمالها أفلح الناسب ، وعلى خراج إفريقية صولة الكتامي ، واستوفت له أمور البلاد كلّها وهاداه ملك الروم .

[٦٢] وفي شوال سنة إحدى وستين عزم [المعز] على المسير إلى مصر ، ورحل من المنصورة وأقام بسردانية ، ولحقه عماله وأهل بيته ، وجمع ما كان له في قصوره ، وكان مقامه بسردانية أربعة أشهر ، وسردانية قريبة من القيروان ، وكانت قصورهم وبساتينهم بها . وفي أول صفر رحل منها وأطلق النار في زربها ، ولما حاذى صبرة قال : سلام عليكم من مودع لا يرد أبداً . وخلف على إفريقية بلكين بن زيري الصنهاجي وكتب له بولاية المغرب كلّه ، وسيأتي خبره بعد إن شاء الله تعالى . وكان بلكين فارقه من عمل قابس ، ورحل المعز من قابس يوم الأربعاء عاشر ربيع الأول من السنة المذكورة ، ودخل طرابلس يوم الأربعاء الرابع والعشرين من الشهر ، ورحل عنها يوم السبت لثلاث عشرة بقين من ربيع الثاني ، فوصل إلى سرت في الرابع من جمادى الأولى ورحل عنها ونزل بقصره الذي بني له بأجدابية ، ورحل من أجدابية فنزل بقصره المعروف بالمعزية في برقة ، وتم في سيره منها إلى أن وصل الإسكندرية ، فنزل تحت منارها وأتاه أهلها فسلموا عليه .

[٧٤] هو يوسف بن زيري الصنهاجي أبو الفتوح بلكين ، فوض له الأمر بإفريقية والمغرب كافة ما عدا طرابلس وصقلية لم تدخلا في عمله ، وذلك يوم

الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجّة سنة إحدى وستين وثلاثمائة عند رحيل المعز لدين الله إلى المشرق ، وكتب له سجلاً وأمر الناس بالسمع له والطاعة ، وسار معه إلى قابس وكل يوم يوصيه ويوكد عليه .

وبعث [بلكين] هدية إلى مصر سنة خمس وستين وثلاثمائة فبلغه خبر موت المعز وولاية ولده العزيز ، فرد الهدية من طرابلس واستأنف هدية أخرى وسيرها باسم العزيز ، فكانت أول هدية قدمت عليه .

[٧٥] فكتب العزيز تجديداً بولايته على المغرب وبعث له سجلاً ودراهم من السكة التي ضربت باسمه ، أي باسم العزيز بالله صاحب مصر . وبعث بلكين إلى العزيز بالله يطلب منه سرت – وأجدابية – وطرابلس وأن يضيفها إلى عمله ، فأنعم عليه بها وبعث بلكين إليها عماله .

[٧٧] وفي شهر ربيع الأول سنة ٣٨١ ختن [المنصور بن بلكين] ولده باديس ، وأهدت له العمال على قدر مراتبهم ، وأتته هدية من عند ابن الخطاب عامله على زويلة فيها زرافة وطرف من أثاث السودان وشيء مستكثر . وقدم إليه عامل طرابلس بهدية جليلة فيها مائة حمل من المال سوى الخيل ولطائف المشرق .

[٧٩] وخرج عنه [أي باديس] بعض الثوار بطرابلس ، فخرج بنفسه إليه واستنقذ طرابلس وولى عليها من قبله . وكانت أيامه كثيرة الحروب، والثوار عليه من أعمامه ومن الزناتيين ، وكان منصوراً عليهم في أيامه . وفي سنة ثلاث وأربعمائة جاءته هدية من الحاكم ، صاحب مصر ، وسجلات له ولولده المعز ، فخرج باديس إلى لقائها وخرج ولده المعز ، ولم يكن خرج قبل ذلك ، ومعه القضاة وأكابر الدولة ، وترجّل لها وقرئت على الناس ، وفيها إضافة برقة إلى ما بيده من الأعمال ، فأرسل عامله إلى برقة .

[٨٢] وفي أيامه [باديس] اشتدت شوكة زناتة من ناحية طرابلس ،

وكانت له معهم حروب وله فيهم فتكات . قلت : والزناتيون هم الذين يثني عليهم عدد من العمال ويذكرون كثيراً من جملة أخبارهم عندما يذكرون سيرة بني هلال وما جرى لهم مع خليفة الزناتي ، ولأهل طرابلس اهتمام بسيرتهم حتى لا يذكر بينهم حديث إلاّ بها ، وكذلك عند عوام أهل مصر لها صيت لاستماعها . والمعز كان أكرم أهل بيته بالمال ، وكان ديّناً يجتنب سفك الدماء إلاّ في حق ، وكان رقيق القلب حديد الذهن عارفاً بعدد صنائع من الألحان والتوقيعات وعلم الأحجار ، وله شعر جيد ، وهداه ملك الروم بهدية جليلة وفتح جزيرة جربة . وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أظهر الدعوة لبني العباس وورد عليه عهد من الإمام القائم بأمر الله العباسي ، وفي سنة أربعين وأربعمائة قطع خطبة بني عبيد وقطع بنودهم وأحرقها بالنار ، وفي أيام المعز خرج غالب البلاد عن طاعته ، وكثُر عليه المخالفون ، وخالفت سوسة وقفصة وصفاقس وباجة ، وخرج جل البلاد الغربية ، وفي أيامه كان ظهور لمتونة ببلاد المغرب واستولوا على جميعها ، وسيأتي بعض خبرهم إن شاء الله تعالى . وفي أيامه جاءت العرب من المشرق وسكنوا بإفريقية ، وسبب دخول العرب إلى إفريقية أن المعز بن باديس لما قطع خطبة صاحب مصر وهو المستنصر بالله كان يسب بني عبيد سرّاً ، إلى أن صرح به على المنابر ، وكان يكاتب وزير المستنصر ويستميله ويعرض له بالتحريف عليهم وإنّما يكتب له تلويحاً لا تصريحاً ، وكتب إليه قطعة بخط يده وتمثل فيها ببيت من الشعر ، وهو :

وفيك صاحبت قوماً لا خلاقَ لهم لولاك ما كنت أدري أنّهم خُلقوا

فقال الوزير لبعض أصحابه : ألا تعجبون من صبي بربري مغربي يحب أن يخدع شيخاً عربيّاً عراقيّاً ، وإنّما أراد المعز أن يوقع بين الوزير وخليفته

ثم انصرف إلى زويلة ثم رجع إلى معسكره فأقام فيه عدّة أشهر ، وسار بعد ذلك إلى قفصة وقسطيلية .

[٣٠] ولما قدم زهير إلى إفريقية وسمع به كسيلة رحل عن القيروان ونزل على لميس ، وقيل ممس . ولمّا بلغ زهيراً خبره لم يدخل إلى القيروان وأقام على بابها ثلاثاً وارتحل رابع يوم حتى أشرف على كسيلة ، فنزل الناس وباتوا على مصافهم . ولمّا أصبح صلى بالناس ثم زحف بهم والتحم الحرب ، فقتل من البربر خلق كثير وفرّ كسيلة وقفل إلى ممس ، ومضى المسلمون في طلب البربر يقتلونهم كيف شاءوا . ورجع زهير إلى القيروان فخافه جميع مَن بإفريقية وتحصنوا بمعاقلهم ولم تقم لهم شوكة بعد ذلك . وفتح تونس على أحد أقوال بعض المؤرخين كما سبق . وقيل إن حسان بن النعمان افتتحها ، وقد مر في أول الكتاب . وقيل إن زهيراً كانت ولايته من قبل عبد العزيز ابن مروان وعبد العزيز على مصر من قبل عبد الملك أخيه ، ثم إن زهيراً رأى بإفريقية ملكاً عظيماً ، فكره الإقامة بها لرفاهية عيشها وقال : إنّما جئت للجهاد وأخاف أن تميل بي الدنيا ، وكان من الزاهدين العابدين ، فكرّ قافلاً إلى المشرق . فلمّا انتهى إلى برقة أمر العسكر بالمسير على الطريق ، وأخذ هو في عصابة قليلة على طريق البحر ، فوجد أقواماً من النصارى أخذوا جملة من المسلمين أسارى ، فاستغاث به المسلمون فوقع فيهم بمَن معه فاستشهد رحمة الله عليه ومَن معه .

[٣١] ثم إن حساناً بلغه أن النصارى تجمعوا له وساعدتهم البرابرة ، فسار إليهم وهزمهم إلى برقة ورجع إلى القيروان فاستراح بها .

[٣٢] وسأل هل بقي أحد إذا قتل خافت البربر والنصارى ؟ فقيل له : امرأة يقال لها الكاهنة ، وهي بجبل أوراس تخافها النصارى والبربر . فتوجه إلى لقائها . وعلمت الكاهنة بأمره فقدمت إليه في عسكر عظيم من البربر والروم .

الشر . ولما خلع طاعة بني عبيد وجاءته الخلع من بغداد أشار الوزير على المستنصر العبيدي بإرسال العرب فأرسل المستنصر إلى عرب الصعيد الذين بمصر ، وأرسلهم إلى المغرب وأباح لهم من برقة إلى ما بعدها وأعانهم على ذلك بمال ، وهم رياح وزغبة وعدي بطون من بني عامر بن صعصعة ، فلمّا وصلوا إلى إفريقية عاثوا فيها كيف شاءوا وملئت أيديهم من النهب . فتسامعت بنو عمهم بذلك فطلبوا من الخليفة اللحاق بمَن تقدمهم ، فمنعهم من ذلك إلاّ أن يعطوه شيئاً من أموالهم ، فأخذ منهم أضعاف ما أعطاه لبني عمّهم وسرحهم . ولمّا وصلوا إلى المغرب كانت لهم وقعات مع زناتة بإقليم طرابلس ، وكثر ضررهم وأفسدوا البلاد .

[٨٧] فانتصر ابن الثمنة بالافرنج من مالطة وهون عليهم أمر المسلمين ، وكان أمير النصارى اسمه رجار ، فساروا مع ابن الثمنة إلى البلاد [الصقلية] التي بأيدي المسلمين فحاصروها واستولوا على مواضع كثيرة من الجزيرة . فحينئذ فارق الجزيرة جماعة من العلماء وأتوا إلى المعز يستنجدونه ، فبعث أسطولاً للجزيرة فلم يغن شيئاً وذلك لاضطراب الجزيرة ، فلم يزل العدو يأخذ الجزيرة شيئاً فشيئاً ، ولم يثبت غير قصريانة وجرثنة ، فحاصرها الافرنج أشد حصار حتى أكلوا الميتة ، فسلم أهل جرثنة ، وبقيت يانة ثلاث سنين ، ثم أذعنوا . واستغلب رجار على سائر الجزيرة في سنة أربع وثمانين ، ومات بعلّة الخوانيق وعمره ثمانون سنة . وتولى بعده ولده فأربى عليه في الخزي ، وسلك طريقة ملوك المسلمين من الجناب والحجاب ، وأسكن الافرنج في الجزيرة مع المسلمين ، وأكرم المسلمين وقربهم ومنع من التعدي عليهم ، وكانت أساطيله مشحونة بالمسلمين والافرنج ، وأخذ كثيراً من بلاد الإسلام . وهو الذي أخذ المهدية وسوسة وجربة وطرابلس ، وامتدت يده في البلاد ، وملك عدة جزائر في البحر ، وبلغت بعوثه إلى المشرق ، وملك أنطاكية .

أمر الدعيّ وملك قابس واحتوى على أكثر البلاد ، فأخرج الخليفة إليه جيشاً من تونس أمّر عليه ولده أبا زكرياء ، فنزل القيروان ، ونزل الدعي قمودة فانسل غالب العسكر إلى الدعي ، ولم يبق مع المولى أبي زكرياء إلاّ قليل . فرجع إلى تونس وأخبر أباه ، فخرج أبوه الخليفة بنفسه في شوال من السنة المذكورة بجيش عظيم ، وأخرج من الدروع والسيوف ما حُمل على تسعين بغلاً ، ونزل بالمحمدية ، فلم يغن شيء من ذلك ، وفر عنه أكثر عسكره إلى الدعي ، ونهب جميع ما كان معه هنالك . فرجع إلى تونس وأخرج نساءه وأولاده ورحل إلى المغرب . ولمّا وصل بجاية لقيه ولده أبو فارس ، وكان عاملاً بها ، فخلع الخليفة نفسه لولده أبي فارس ، وتلقب بالمعتمد ، وتجهز للقاء الدعي ، وترك والده ببجاية ، والتقى المعتمد والدعي بوطاة قلعة سنان فخانت أنصار المعتمد فأخذ وقتل ونهب أمواله . ولمّا سمع أبوه الخبر خرج هارباً فأدركه أهل بجاية فأخذوه وأتوا به إلى الدعي فقتله في تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، فكانت مدته ثلاثة أعوام وستة أشهر وستة وعشرين يوماً . ولجأ ولده المولى أبو زكرياء إلى بلاد المغرب . والدعي هذا هو أحمد ابن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي ، مولده بها ، ونشأ ببجاية ، وكان محترفاً بحرفة الخياطة ، خامل الذكر إلاّ أنّه كان يتطور وخالط السحرة ، ويزعم أنّه يحيل المعادن إلى الذهب بالصناعة ، وتغلب في البلاد إلى أن وصل إلى طرابلس ، وصحب نصيراً مولى الواثق بن المستنصر ، فلمّا رآه تبين له في شبه من مولاه ، فأخذ نصير يبكي ويقبل قدميه ، فقال له الدعي : ما خبرك ؟ فقص عليه خبر مولاه ، فقال له : صدقني وأنا آخذ بثأر مولاك . فأقبل نصير على أمراء العرب وأخبرهم بأنّه ابن مولاه ، فصدقوه وأتوه ببيعتهم ، وزعم أنّه الفضل بن الواثق بن المستنصر . فكان من أمره أن خطب له على منابر إفريقية . وكان سفاكاً للدماء خسيساً فاجراً كذاباً ، ولم تكن له منقبة

غير أنّه رفع النزول عن أهل تونس وبنى جامعاً خارج باب البحر للخطبة . ولما تمادى في جوره وكذبه مقته الناس ومقته جنده ، وظهر المولى أبو حفص ابن المولى أبي زكريا ، وكان مختفياً في البادية ، والتف عليه الناس فجاء لتونس وحاصر الدعي وانكشف سرّه ، فأيقن بالهلاك وفرّ بنفسه إلى دار فرّان أندلسي قرب حمام زرقون ، فدلت عليه امرأة ، فأحيط به وضرب أسواطاً فاعترف بتدليسه وبنسبه وشهد عليه الناس بمحضر القاضي ، ثم طيف به على حمار ، ثم قُطع رأسه ، فكانت مدته بتونس سنة ونصفاً غير ثلاثة أيام ، وذلك أواخر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين المولى أبي البقاء خالد

[١٣٣] هو ابن المولى أبي زكرياء يحيى ابن المولى أبي إسحاق إبراهيم ابن المولى أبي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله ابن المولى أبي زكرياء يحيى ابن المولى عبد الواحد بن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص عمر . كان عاملاً في بلد العناب وقسمطينة بعد وفاة والده أبي زكرياء ، وكان يضع تاج الملك على رأسه ويركب بغلة عالية . ولما حل بتونس انعكف على لذاته ولهوه وترك سياسة الملك . فقام عليه أبو يحيى زكرياء بن اللحياني وقفل من المشرق . ولمّا حل بطرابلس ورأى اضطراب إفريقية طلب الملك ، فبويع بطرابلس وانضم إليه أولاد أبي الليل فبعثهم في مقدمته مع شيخ دولته محمد المزدوري ، فوصل لتونس أول جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

[١٤٠ – ١٤١] وفي سنة ست وخمسين [وسبعمائة] أخذت النصارى طرابلس ، وحملوا ما فيها وسكنوها خمسة أشهر .

الخبر عن خلافة الأمير المولى أبي عبد الله محمد

[١٥٠] هو ابن المولى أبي محمد الحسن ، ابن الأمير أبي عبد الله محمد المسعود ، ابن أمير المؤمنين أبي عمرو عثمان ، بويع يوم وفاة ابن عمّه أبي زكرياء يحيى ، وجلس بالقبة ، وبايعه الخاص والعام ، وكان فطناً ذكيّاً فصيحاً محبّاً للخير وأهله ، معتقداً في الصالحين .

[١٥١] وقال : أخذت طرابلس من يد محمد سنة أربع عشرة وتسعمائة ، قام بها ابن قراب وملكها للنصارى ، وبعث لهم جيشاً مقدمه القائد محمد أبو حداد ، وكان من أكبر قواده ، فبارزه قبطان النصارى ، فأخذه أبو حداد بالحملة ، وساقه أسيراً . وأبو حداد هذا كان قائد توزر . والسلطان محمد هذا كان ختام بني أبي حفص ، ومن بعده اسم لا رسم . وتوفّي ، رحمه الله ، يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ، وتولى بعده ولده الحسن .

[١٨٠] وأظن أن الشيخ عبد الصمد ممّن حضر الخطرة [معركة حلق الوادي بتونس] ، كما أن جدّ أحمد بن نوير المحمودي حضرها هو وجملة من العرب الذين بأرض طرابلس ، جاءوا صحبة المحلة التي بها مصطفى باشا [والي طرابلس] . . . . وناهيك بمكان اجتمعت على أخذه أربع محال وأربعة باشوات : حيدر باشا ومصطفى باشا صاحب طرابلس وأحمد باشا صاحب الجزائر ، وكان منفصلاً عنها في التاريخ ، ورمضان باشا كان متولياً عليها .

[٢٠٢] وكانت أيام الحاج مصطفى لاز أيام هناء وراحة . . . وفي أيامه كانت الوليمة العظمى التي اجتمع فيها ثلاثة باشوات وهي وليمة أحمد باي بابنة عثمان باشا صاحب طرابلس ، واحتفل فيها المرحوم محمد باشا غاية الاحتفال ، وكانت سنة تسع وستين [وألف] .

[٢٢٩] وخرج [محمد باي] في السنة المذكورة [١٠٨٣] كعادته إلى بلد الجريد لجباية الخراج ، فجاءته الأخبار أن أهل طرابلس وعسكرها عصوا عن باشاهم ، وحاصروه في قلعتها إلى أن مات بها ، وأنّه أوصى بأولاده إلى الباي المذكور ، فسار إلى طرابلس ليكشف الخبر ، فخرج إليه عسكر من طرابلس ، فأعذر إليهم وحذرهم وأنذرهم فأبوا إلا قتاله ، فقاتلهم وقتل أكثرهم وأسر باقيهم فعفا عنهم ، وجاءته مشايخ البلاد والمرابطين وطلبوا منه أن يرجع عنهم ولا يتعرض لأحد بمكروه ، فقبل منهم ورجع إلى بلاده .

إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف

ذكر دولة مراد باي بن حمودة باشا بن مراد

[٢ : ٤٢]   تقدم للولاية بتقديم أبيه كما أسلفنا . وكان شجاعاً مضطلعاً بالسياسة ضابطاً للأمور ، متفقداً لأحوال الرعية بنفسه ، ضارباً على أيدي العمال ، فعَلاَ كعبه وطار صيته ونَفَذَت أوامره وساعده القدر ، وقَصُرتْ أيدي الدايات في أيامه .

ونهض للجريد ، فبلغه في الطريق أن عثمان باشا ، صاحب طرابلس ، ثار عليه جنده وحاصروه بالقلعة إلى أن مات بها ، وأوصى بأولاده إلى مراد باي ؛ فخرج من الجريد إلى طرابلس يستكشف الخبر ؛ ولما بلغ أهلَ طرابلس خبرُه خرجوا بمحلة لقتاله ، فكانت الدائرة عليهم ، والتحم السيف أكثر محلتهم ، وأسرَ الباقين ، فمَنّ عليهم بالتسريح ، وخرج إليه العلماء والأعيان من طرابلس يطلبون منه الكف عن دخول البلاد ، والعيثِ فيها ، فأجاب رغبتهم .

[٢ : ٤٩]   ثم خرج بمحلته أوائل ذي القعدة من السنة ١٠٨٦ (١٦٧٦ م) . وفيها وقع طاعون مات به حسن باي بن حمودة باشا ، فأقبل علي باي من بستانه لشهود جنازة عمّه حسن ، ولمّا أقبر ألزمه عبد الملك القفّال كاهية محمد باي أن يرجع إلى بستانه في الحين ، ومنعه المبيت بالحاضرة ، فخرج .

ثم إن علي باي داخل خاله أحمد بن يوسف داي في الفرار ، فركب البحر إلى بونة ، وسار منها إلى صاحب قسنطينة ، فسُرّ بقدوم علي باي وتخلى له عن وطنه بما فيه ، وسكن خيمة ؛ وأحمد بن يوسف داي توجه إلى الجزائر ،

فمات فيها بالطاعون . وبقي علي باي يتقلب بنواحي قسنطينة ؛ وداخل شيخ الحنانشة سلطان بن منصر وتزوج بنته ، وأولدها ابنه مراداً ، وجمع له جموعاً من الحنانشة وغيرهم ؛ أعدهم لقتال أخيه .

وبينما الحال في اضطراب ، إذْ ورد الخبر على محمد باي بأن عمّه الحفصي أولاه السلطان محمد خان العثماني منصب الباشا بتونس ، وجهز معه عسكراً في سفن . وسبب وصوله إلى الحضرة السلطانية ، أنه لمّا خرج من المملكة وصل إلى طرابلس ، فأكرمه صاحبها ، وأحسن قِراه ، وكاتب محمد باي في غرض الشفاعة ، فأبى قبولها ، جرياً على شدته ، فاغتاظ صاحب طرابلس وحمله معه إلى القسطنطينية ، فتطارح على الصدر الأعظم أحمد باشا ابن الوزير محمد باشا الكبرلي إلى أن تمم له مراده من الولاية وأرسل العسكر معه .

ولمّا ورد هذا الخبر عقد محمد باي ديواناً بجامع الزيتونة ، شهده الداي مامي جمل ، والعلماء وأكابر العسكر وأعيان البلاد ، ولم يتخلف أحد ممّن يشار إليه ، وذكّرهم عهودهم ، فاتفق الرأي على طرد الحفصي ، وكاتبوا القلاع والمدن التي على سواحل البحر بمنعه من النزول إلى البرّ .

ولمّا ورد عليهم منعوه وآذنوه بحرب ، فرجع لدار السلطنة .

[٢ : ٦٣] لما تنكر محمد باي لكاهيته محمد بن شكر ، لأمور نقمها عليه ، خافه على نفسه واختفى أياماً ، ثم طلب التسريح لأداء فريضة الحج ، واستشفع بالشريف العالم أبي عبد الله محمد الحجَيّج الأندلسي ، فأذن له ؛ فعدل عن الحج إلى الجزائر ، وأخذ في مشاغبة محمد باي ، وإيقاد فتنة بينه وبين صاحب الجزائر ، حسين ، ويعرف ميزُو مورتو ونُجح قصده عنده ؛ فعزم على قَصْدِ محمد باي ليُمَلِّكَ ابن شكر مكانه ، فأنكر الجند ذلك وثاروا عليه وخلعوه ؛ فركب البحر ناجياً بنفسه ؛ وقدموا للولاية غيرَه .

ولمّا بلغ ذلك محمد باي ، وجّه مركباً حربيّاً للتعرض له ، ومن سعادته أن المركب صادفته ، وأتت به إلى محمد باي فقابل إساءته بالإحسان ، وأكرم نزله وهاداه ، وأركبه البحر إلى إسلامبول . واتصل بخدمة الدولة العَليّة العثمانية ، وترقى إلى أن صار قبطاناً باشا .

ولَم يَزَل محمد بن شكر مقيماً بالجزائر ، يتطارح على أبواب أعيانها ، ويحرض على تونس ، إلى أن أجابه إلى ذلك شعبان خوجة صاحب الجزائر ، على مال اشترطه عليه ، فجهّز حملة خرج فيها بنفسه ومعه ابن شكر ، وكاتبا صاحب طرابلس واستمالاه ، وأظهرا له أن محمد باي يريد الاستيلاء على الجزائر وطرابلس . فأجابهما ، ووجه لهما أسطولاً في البحر مشحوناً بالعسكر ، ونزلوا ببونة ، وانضموا لعسكر الجزائر ، وقصدوا محمد باي ، فنهض لدفاعهم ، وكانت الهزيمة عليه في خبر لا داعي لتفصيله ، وذلك في أوائل ذي القعدة من سنة ١١٠٥ ، خمس ومائة وألف (أواخر جوان ١٦٩٤ م) ، وأوّل مَن انهزم من جنده فرحات ابن القائد حسن ، وكان على العرب ، واتهم بمظاهرته لمحمد بن شكر ، وحالُ هزيمته تنادي عليه بذلك .

[٢ : ٧٥] وقد كان [مراد بن علي باي بن حمودة باشا] وَجّه رسُلاً إلى الجزائر بهدية لصاحبها ، فردها عليه وأظهر له العداوة . فاستشاط غضباً ، وعزم على غزوهم . فعقد ديواناً تكلّم فيه على غزو الجزائر ، وجمع خيله ورَجْله ، وكتب إلى خليل باي ، صاحب طرابلس ، يطلب منه المعاضدة ، وخرج بمحلة يَجر خمسة وعشرين مدفعاً . ولمّا شارف قسنطينة خرج إليه صاحبها علي خوجة ، ولمّا التقى الجمعان انهزم بمن معه ، وأثخن فيهم مراد بالقتل والأسر ، وبعث برؤوس القتلى إلى تونس وأمر ببنائها في سور القصبة ، واستولى على محلة قسنطينة . ولما وصلها امتنعت عليه ، فأمّن أهلها ، فلم يثقوا بأمانه ، ولا وثوق بأمان هؤلاء ، فأخذ بمخانقها ، وملك القلعة التي

بظاهرها عَنْوَةً ، وحكم السيف في جميع من بها ، وأرسل مدافعها إلى تونس تجرها الأسرى من الجند على ظهورهم ، ثم استأصلها بالهدم .

ووافاه خليل باي صاحب طرابلس — وهو على قسنطينة — فأكرمه واعتضد به في حصارها خمسة أشهر . فأتاه صاحب الجزائر بمحلته ، ولمّا التقى الجمعان كانت الهزيمة على مراد باي ومَن معه ، في محل يُعرف بجوامع العلماء ، وذلك في السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثنتي عشرة ومائة وألف ١١١٢ (الجمعة ١ أكتوبر ١٧٠٠ م) وقُتل أكثر عسكره ، ونجا إلى الكاف مفلولاً . فأمر أهلها ومَن حولها بالرحيل إلى الحاضرة ، لظنه أن صاحب الجزائر في أثره .

ودخل الحاضرة وأخذ في الاستعداد ، لمعاودة الكرّة على الجزيريين ، فأتاه الخبر برجوعهم لبلادهم . ولما ثبت عنده ذلك كافأ خليل باي صاحب طرابلس بأن أباح له القيروان ، وأطلق يده في نهبها ، فتوجّه لها بعسكره ، ودخلها ونهبها ، وسبى النسوة والذراري ، وارتحل لبلاده .

[٢ : ٨٢] ثم خرج [إبراهيم الشريف] لقتال طرابلس . وسببه أن صاحبها خليل باي ، بينه وبين مراد باي مودّة محكمة ، وآسفه ما وقع به من فتكة إبراهيم الشريف ، فغضب لذلك وناصب العداوة له . واتفق أن جاءت هدية من بعض البابات بمصر لإبراهيم الشريف ، فانتزعها خليل باي من يد حاملها غصباً . كما اتفق أن الريح ألجأت سفينة تونسية إلى مرسى طرابلس ، فأخذ منها خليل ما أراد . كل ذلك ليثير غضب إبراهيم ، ليكون هو المبتدىء للحرب . فاشتد غضبه ، وعقد ديواناً بأعيان الجند ، وأعلمهم بعزمه على غزو طرابلس ، وقتال خليل باي ، فوافقوه . وصاحب الجزائر في خلال ذلك ، يغري كُلاً بصاحبه ، ويعده النصر .

فخرج إبراهيم الشريف بمحلته ، ومعه كاهيته الأمير حسين بن علي ،

في جمادى الثانية سنة ست عشرة ومائة وألف (١١١٦ هـ ـ أكتوبر ١٧٠٤ م) . ولمّا شارف طرابلس خرج له صاحبها خليل باي والتقى الجمعان في شعبان السنة ١١١٦ هـ (ديسمبر ١٧٠٤ م) ، فكان النصر لإبراهيم الشريف وانهزم خليل ، وقُتل كثير من جنده ، وانتُهبت محلتُه ، وأُخذت مدافعُه . ونجا بنفسه إلى طرابلس ، ودخلها متنكراً .

فارتحل إبراهيم الشريف وحاصرها وضيّق على أهلها ، فأرسلوا إليه يطلبون الصلح على مال جعلوه له ، وكان ذلك بواسطة كاهيته حسين بن علي ، فامتنع وأغلظ ، فحذّره كاهيتُه غائلة مَنْ دُعيَ إلى الصلح ولم يُجِبْ ، وقال له : « إنّ صاحبك الذي أغضبك فرّ بين يديك هارباً ، وقتلْتَ جُندَه وأعوانه ، وأخذتَ محلته بما فيها ، فأي ذَنْبٍ لأهل البلاد وفيهم المشايخ والصبيان والنسوة ؟ » فصمم على قساوته ، فدافع الله عنهم بوقوع الطاعون في عسكره ، ومات به عدد كثير من جنده ، وكان سبباً في فرار مَنْ معه من الأعراب ، فارتحل عنها أواسط رمضان السنة ١١١٦ (أواسط جانفي ١٧٠٥ م) ، ودخل تونس أواسط شوال (أواسط فيفري) . فوقع بها الطاعون ، واستمر إلى أن بلغ عدد الأموات في اليوم سبعمائة .

[٣ : ٢١] وفي ذي الحجّة من سنة ١٢٠٧ سبع ومائتين وألف (جويليه ـ أوت ١٧٩٣) ، قدم لتونس أبو الحسن علي باشا ابن محمد باشا ابن أحمد باشا قرمانلي ، باني بيت ملكهم بطرابلس ، لمّا استولى علي برغل على مدينة طرابلس .

[٣ : ٢٢] وذلك أن علي باشا هذا ساءت حاله ، وانحلّت عُرى مملكته ، لحروب بينه وبين ابنه بالمِنْشِيّة ، انحجز بسببها في المدينة ، وطالت مدّة الحصار ، والحربُ قائمةٌ على ساقها ، وجرت عادة الله أن الاختلاف إذا وقع في آل بيت واحد لعدم تسليم الرئاسة لصاحبها ، يؤدي إلى خروجها من البيت .

ولمّا تحقّق علي برغل ضعف المملكة باختلاف وُلاتها ، وخروج الكثير من أهلها فراراً من الفتن وغوائلها ، توثّب على المملكة ، وكان ذا رتبة بالجزائر ، وخرج منها بذخائره وأمواله في البحر ، فأتى القسطنطينية على عهد السلطان سليم خان ، فوجد أخاه كاهية لقبطان باشا ، فتوسّل به ، وأخبر الدولة بحال طرابلس ، من خروج أهلها واختلاف وُلاتها ، والفتن المُفْضية إلى سفك الدماء وخراب ذلك الصّقع ، وطلب من السلطان أن يكتب عهداً بولايتها ، ويتوجّه لاستنقاذها ، ولا يكلّف الدولة مالاً ولا عسكراً .

ولمّا حصل على عهد الولاية ، جمعَ عسكراً من متطوّعة الترك ، أكثرهم أرنؤوط ، واكترى مراكب لحملهم ، وجهّزهم بما لزمهم من الأقوات والسلاح ، وأتى بهم مدينة طرابلس على حين غفلة ، فنزل البرّ ، وأخبر الناس ، وهم في خَنْق الحصار ، أن بيده فرماناً سلطانياً بالولاية ، والمدد العثماني وراءه ، فأفرجوا له ، وأروه من الفرج بعد الشدة ، فتمكّن من حصون المدينة وقلاعها ، وأنزل آلته وذخائره ، فخرج علي باشا فاراً بنفسه ، وبقي ابناه أحمد باي ويوسف باي بالمنشية ، يحاربان علي برغل ، إلى أن ضعف أمرهما ، فالتحقا بأبيهما إلى تونس .

وقد كان حمّودة باشا لمّا بلغه وصول علي باشا قرمانلي : أركب أعياناً من رجال دولته لتَلَقّيه ، ولما وصل عظّم مقدمه وأكرم نُزُلَه ، وأسكنه قصر العبْدليّة الكبرى بالمرسى ، وأجرى له ما يناسب مقامه ، وبالغ في إكرامه وإكرام بنيه وأتباعهم ، بما ينبغي لعزيز قومٍ .

وقد كان الوزير مصطفى خوجة أشار على الباي ، لمّا ظهر دُخان الفتنة بين آل قرمانلي ، أن يرسل جنداً لإطفائها قبل تَطايُر شررها إلى أطراف المملكة التونسية ، فلم يفعل ، لأن همّه إذ ذاك الجزائرُ .

[٣ : ٢٣] ولمّا استولى علي برغل على طرابلس ، وصفا له جوُّها من

أولاد قرمانلي ، تحدث مع رجاله في الاستيلاء على مملكة تونس ، ووزّع أعمالها بينهم ، ومنهم قاره محمد التركي ، وعده بولاية جربة ، فقال له : « البِدارَ البِدارَ للفرصة ، هذه جربة قريبة منّا وعسكرنا حاضر مستعدّ للقتال » ، فوجّهه بألف مقاتل من جند الترك في سبعة مراكب ، فوصلها خامس ربيع الأول سنة تسع ومائتين وألف ، ١٢٠٩ (الثلاثاء ٣٠ سبتمبر ١٧٩٤ م) ، فأرست المراكب بها قرب برج أغيرٌ من مرسى الرملة ، ونزلوا للبرّ ليلاً فتلقّاهم من وَاطأهُم من أهلها ، ومنهم خليفةُ العامل ، وكانت ليلةً مظلمة ، وهجموا على الجزيرة صباحاً ، ففرّ عاملها أبو العباس حميدة بن قاسم بن عيّاد ، بعد أن وضع حرَمَه في زاوية الشيخ أبي زيد ، وأتوا منزل القائد ، فنهبوا سائر ما فيه ، وقتلوا بعض خُدّامه ، وظهرت له الخيانة في وجوه أتباعه الراكبين معه ، فأمرهم بنهب حارة اليهود ليشغلهم بها عن نفسه ، ونجا للبرج وما كاد ينجو ، ونادى قاره محمد في الناس بالأمان ، وفتح مكتوباً زعم أنّه من السلطان ، والله أعلم بما فيه . ثم إن العامل حميدة ابن عيّاد خرج من البرج إلى ساحل البحر في حيرة ، فأتاح له القدر شَقَفاً من شُقُوفه خرج للغزو ، فنجا إليه في زورق ، وأتى صفاقس ، فتلقاه عاملها أبو الثناء محمود بن بكّار الجلّولي ، وطيّر الخبر للباي ، فأتاه به الوزير مصطفى خوجة وقال له : « كيف ترى إضاعة الحزم ؟ إن جربة أخذها علي برغل ، وعامله قاره محمد فيها الآن ، وعاملك نجا بنفسه إلى صفاقس » ، فجمع رجال دولته بمسجد الباشا ، وأخبرهم الخبر ، ولم يقع اتفاق على رأي . ومن الغد جمعهم بالمسجد صباحاً ، فقال له الوزير صاحب الطابع : « إنّا أضعنا الحزم في أول الأمر فلا نُضيّعْه الآن ، وقد كان توقّفُنا في إنجاد علي باشا قرمانلي ، لمّا أتى لتونس ، إنّما هو للأدب مع السلطنة العلية ، على أن ما يدّعيه علي برغل من الفرمان غير محقق عندنا ، لأنّنا لم نره ،

ولا سمعنا بخبره ممّن يوثق به ، ويحتمل أنّه ثائر ، ولمّا تعدّى واستولى على قطعة من بلادنا ، وجبت علينا المبادرة بإرسال محلة لطرابلس ، وإرسال عسكر في البحر لافتكاك جربة من يد قاره محمد » . واتفق الرأي على ذلك ، واستشار الباي في هذا الأمر شيخَ الإسلام أبا عبد الله محمد بن حسين بيرم ، فأشار عليه بأن « هذا أمر سياسي ، أنفع الأشياء فيه استعانتُك بأهل الرأي ورؤوس الجند وأكابر الدولة ، وأما العلماء فلا تجدُ عندهم فائدةً لك ، ولا تُؤمّلْ منهم فتوى تعتمدها في الحرب بين المسلمين ، وبيعةُ السلطان منعقدةٌ بأعناقنا ، وإذا توقّفَ العلماء في الفتوى وشاع ذلك ، ربّما يكون سبباً في وَهْنٍ » ، فاستحسن رأيه ، ولما خرج قال للوزير : « إنّه نصحني » ، ولمّا عزم ، بعد الاستشارة ، أمر بإحضار المحلة وتعمير المراكب ، وعزم على السفر بنفسه ، وأسرَّه لعَبَيْبَةٍ سرّه يوسف صاحب الطابع ، فعارضه بأن « الجيش معرّضٌ للنصر وضدّه ، فإذا انهزم الجيش وأنت أميرُه ، انهزمت المملكة ، بخلاف ما إذا انهزم أمير من أمرائك وأنت في قاعدة ملكك » ، فقال له : « من يقوم مقامي والحالة هذه ؟ » فقال له : « هذا الأعرج القادم » ، وكان الوزير مصطفى خوجة قادماً متوكّئاً على عصا لنِقْرِس كان به ، ولمّا وصل قال له : « يا أبي ، إن يوسف أشار علي بسفرك في المحلّة لطرابلس ، على ما بك من المرض » ، فقال : « إنّي بإعانة الله حاضر لكل ما تريد ولو أكون على مِحَفّة ، والموت بالأجل ، وإن حضر فلا أشرف عندي من الموت في خدمتك » . ثم جمع رجال دولته واستشارهم في سفره بنفسه ، فأجابوه على لسان واحد : « بأن خروجك من الوطن لا سبيل إليه » ، فقال لهم : « من يكفيني هذا المهمّ ؟ » فقالوا له : « الوزير مصطفى خوجة ، وإن عاقه المرض فكاهية المحالّ » ، فقال لهم الوزير : « إن ما هو قائم بي من المرض المعاشر لا يمنعني » ، فوقع الاتفاق

على سفره ، وأن يخرج بشارات باي مطلق التصرف ، وهو من الحزم في الحروب ، لأن توقّفَه على المشورة ربّما تفوت به الفرصة .

وفي الثاني والعشرين من ربيع الأول من السنة ١٢٠٩ (الجمعة ١٧ أكتوبر ١٧٩٤ م) ، خرجت محلة زواوة ومعها بعض عروش ، وأميرها أبو الحسن علي اللوح باش حانبه ، مقدمةً لمحلّة الوزير ، وفيها أبو المحاسن يوسف باي بن علي باشا قرمانلي ، ثم خرجت محلّة الوزير مصطفى خوجة يوم الأحد الثامن من ربيع الثاني من السنة ١٢٠٩ (الأحد ٢ نوفمبر) بصناجق الباي والنّوبة وشاوش السلام ، وبها عسكر الترك والمدافع والمخازنية وسائر الزارقية والفرسان من عروش الأعراض ، بعد أن زاد الباي في مرتب الجند ، وأفاض العطاء في الناس ، وعيّن عشرة آلاف بعير ، تحمل الأقوات والعلفة والآلات ، غاديةً رائحةً بين تونس وطرابلس ، دون ما بعثه من الذخائر في البحر لصفاقس وقابس .

وسار الوزير بالمحلّة ، ومعه أبو العباس أحمد باي بن علي باشا قرمانلي ، وأراح الجند في المنازل الطيبة ، بحيث لم يلحقهم ضجر ولا ملل .

[٣ : ٢٥] ووصل طرابلس يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الثانية (١٦ جانفي ١٧٩٥ م) . ولم تزل أعيان القبائل من طرابلس ، يتعرّضون بهداياهم لأبناء قرمانلي ، وكلّما أتى وفد منهم أكرمه الوزير مصطفى خوجة ، وكساه وشكره على حسن الوفاء ، إلاّ قبيلةً تسمى الجراجرة طلب يوسف باي من الوزير الإغارةَ عليهم لفسادِهم وتَلَكّئِهم في الطاعة ، فجرّد لهم الوزير أربعة آلاف فارس ، أمّر عليهم الكاهية أحمد بالضياف ، فهزمهم واتبع أثرهم وخضد شوكتهم ، وقُتل الكاهية في حربهم .

ولمّا وصلت المحلّة إلى طرابلس يوم الجمعة كما تقدم ، انتظر الوزير قدومَ أهل المنشية ، لظنّه أنهم من حزب أحمد باي قرمانلي ، فلم يقدم

منهم أحد ، فعبّأ لهم جيشاً من جند الترك والمخازنية . ووجّه الكاف وقبيلة المثاليث ، وأصحبهم المدافع ، فهجموا عليها ، وصابروا القتال ، فأخذوها يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الثانية (١٩ جانفي) ، وتملكوا حصونها وأتراسها ونهبوها ، ووجّه بقية العسكر في اليوم لقتال المدينة ، فدافع أهلُها بما في قلاعها من المدافع ، ومات كثير من عسكر تونس ، وفي يوم الاثنين عبّأ الجند لقتالها أيضاً ، فوجدوا أبوابها مغلقة ، وأهلها على الأسوار مستأمنين ، وأخبروا بفرار علي برغل ، وقد بلغ الوزيرَ في الليل خبرُ هروبه في البحر ، وأبَوْا من فتح الأبواب إلاّ إذا أتاهم الوزير بنفسه وكلّموه . فأتاهم فطلبوا منه الأمانَ فأمّنهم ، وطلبوا منع العسكر من دخول المدينة للنهب ، فأجابهم لذلك ، ووعدهم الجميلَ ووفّى ، ولانَ لهم في الخطاب . ففتحوا الأبواب ، ودخل الوزير بالأخوين أحمد ويوسف ، ونزل بقصر الإمارة ، فأتاه النذيرُ بأن علي برغل وضع فتيلاً طويلاً يتصل بخزنة البارود ، ولم تزل النار سارية فيه ، فأمر بإزالته في الحين ، وشكر الله على لطفه بعباده ، ثم أحضر العلماء وأعيانَ الجند ووُجوهَ البلاد فبايعوا الباي أحمد قرمانلي ، وأحضر يوسف وعقد له على العربان ، والخروج بالمحالّ ، وأعلنت المدافع بالسرور ، ورجع الوزير إلى محلّته ، وصار العسكر التونسي حارساً للبلاد وأهلها ، لا يدخلها أحد إلا للصلاة أو قضاء وَطَرٍ بغير سلاح . وطيّر بخبر النصر إلى الباي ، فوصله يوم الأربعاء سابع رجب السنة ١٢٠٩ (٢٨ جانفي ١٧٩٥ م) .

[٣ : ٢٦] وأمّا علي برغل فإنّه نجا لأرض الحجاز ومات بها .

ولما رأى أهل طرابلس انكفاف أيدي العسكر التونسي عن النهب ، أهدَوْا لهم مائة ألف محبوب من الذهب ، تحمّلَ بها أغنياؤهم طوعاً ، ولما وصلت الوزيرَ وزّعها في العسكر على أيدي كبرائهم ، وأعطاهم الوزيرُ

إحساناً أربعين ألف محبوب من عنده ، رأيتها مقيّدةً ومفصّلة في دفتر مصروفه ببيت خزنه دار .

ولمّا تمهّد الوطن لأولاد قرمانلي ، واستقام أهلها على جادّة الطاعة ، وانسدل سِتر العافية والأمان ، لَوَى الوزير عنانَ الأوبة إلى تونس ، وشيّعه يوم رحيله أولادُ قرمانلي وأعيانُ طرابلس ، وكان وصوله إلى الحضرة يوم الخميس الحادي والعشرين من شعبان السنة ١٢٠٩ (١٢ مارس) ، في موكب حافل ويوم مشهود ، وتلقّته الأعيان ورجال الدولة ، وقبّله الباي في ديوان المحكمة ، ولما قبّل يدَه وقف في موقف وزارته ، وأقبلت وفود التهنئة .

وبعد ذلك طلب علي باشا قرمانلي الرجوعَ لوطنه وأولاده ، فجهّزه الباي حمودة باشا وهاداه ، وأركبه البحر في مركب حربي بيقية بنيه وآله ، وأركب الأعيانَ من رجال الدولة لمشايعته ، ووصل بلاده آمناً مسروراً . هذا خبر محلّة طرابلس .

وأما خبر جربة فلمّا تمّ تجهيز الأسطول التونسي ، خرج من حلق الوادي بأربعين مركباً ، ما بين حربية وحمولة للعسكر والآلات والذخائر ، وأميره الحاج علي الجزيري ، في أربعة آلاف مقاتل ، انتخبهم الباي من أبطال الجند ، وكان سفرهم في الرابع عشر من ربيع الثاني من السنة ١٢٠٩ (السبت ٨ نوفمبر ١٧٩٤ م) ، ووصل جربة في الخامس والعشرين من الشهر .

واتفق أن وصل لجربة مركبان ، أحدهما بالحجّاج ، والآخر بالسلع لتونس ، ولا علم لهما بأن جربة في تصرف قاره محمد ، عامل علي برغل ، فجعل عليهما عسّة لأخذ ما فيهما ، فخلصهما الأسطول التونسي ، وأرسلهما لصفاقس قبل ابتداء الحرب .

ونزل الحاج علي بعسكره إلى البر ، وبنى الأتراسَ للمدافع والبونبة ، وتترّسَ قاره محمد أيضاً ، ونشبت الحرب بينهما نهاراً واحداً ، زال زواله

بزوال عسكر قاره محمد ، فانهزم وفرّ هارباً إلى الساحل القبلي ، فوجد بمرساه مراكب مشحونة بالمدد من الميرة والعُدّة ، بعث بها علي برغل من طرابلس ، فركبها فاراً بنفسه إلى طرابلس .

واستولى الحاج علي الجزيري على جربة تاسع جمادى الأولى من السنة ١٢٠٩ (الثلاثاء ٢ ديسمبر ١٧٩٤ م) ، وأرسل بخبر النصر إلى الباي ، وبعث له أربعمائة جندي من عسكر طرابلس أخذهم أسرى واستبقى عليهم ، فقبلهم الباي بجزيل الإنعام ، وأثبتهم في ديوان جنده ، وترقّى بعضهم إلى منصب الداي ، وغيره من المناصب .

ولمّا استقرّ الحاج علي بجربة ، وعلم مواطأة بعض أهلها لقاره محمد ، أمر العسكر بنهب سوقها وزواياها ، حتى زاوية الشيخ إبراهيم الجُمَنّي رضي الله عنه ، وشدّد وطأته على أهلها .

وبعد أيام أتى العامل حميدة بن عيّاد ، ومعه جموع من فرسان الأعراض ، وعلى مقدمته مولاه أحمد قُرجي ، فوجد البلاد بيد الحاج علي فسرّح من معه من الفرسان ، وبقي بجربة ، والتصرف للحاج علي .

ولمّا وفد أهل جربة على الباي ، عاتبهم على تسليم بلادهم ، فاعتذروا بأن الأمر وقع فَجأةً ، ومنازلهم متفرقة ، وشكَوْه جور العامل ، فعزله وأولى عوضه مصطفى بن حسن الكبيّر ، وعسف العمّال إنذار بخروج الأعمال ، وعفا عن أهل جربة ، كما هو الواجب بعد القدرة ، وغضّ الطرفَ وتجاهلَ سياسةً ، مع علمه بأعيانِ من أعان قاره محمد ، ونبذ النازلةَ ظهريّاً ، وتركها نسياً منْسيّاً .

ولمّا استقرّ أولاد قرمانلي بدار ملكهم ، وانتزعت جربة من يد قاره محمد ، كثُرت الأراجيفُ بأخبارٍ عن الدولة العلية ، فجمع الباي وزراءه وأعيان دولته ، وقال لهم : « بلغني أن السلطان سليم خان أنكر عدم الإرسال

من تونس لتهنئته بالولاية على العادة . وانتظر ذلك سنينَ ، مع محاربتنا لعلي برغل وإخراجه من طرابلس ، والظنُّ أن فعلَه لا يصدر إلا عن إذنٍ من الدولة ، وربما ترى الدولة فعلنا هذا عصياناً وخروجاً من الطاعة ، ولا طاقة لنا بعواقب ذلك ، إذ لا حاميَ لنا غيرُ الدولة العثمانية ، فالرأي أن نبعث من يهنّىء ويعتذرُ » ، فوافقوه . ثم تكلّموا فيمن يُستَكفى به في هذا الأمر المهمّ ، والحالة هذه ، فقال له الوزير مصطفى خوجة : « هذا هو المستَكفى به ، ولا تجدُ غيره » ، وأشار إلى الوزير يوسف صاحب الطابع ، ووافقه كل من حضر ، فقال صاحب الطابع : « لم أرَ نفسي أهلاً لذلك ، وحيث ارتضيتموني فأرجو الله أن أكون كما ظننتم ، ولكن نطلب أن نُضايقَ سيدَنا ليتوسّع في الهديّة ، ليكونَ عِظَمُ المقدار ، معيناً على الاعتذار » . فأجابه البعض وخالفه الجلُّ ، ومنهم الوزير ، فإنّه قال : « نرى الوقوف عند ما اعتدناه » ، وكانت الهديّةُ المعتادةُ في ذلك العصر ، من نفائس نتائج المملكة ، كالخيل والسروج المحلاّةِ وسُبَحِ المَرجان والعنبر والطيب والأسلحة المرصعة بالمرجان ، وثياب جربة والجريد ، والشواشي ، ورقيق السودان ، والطّواشية ، وغرائب وحوش الصحراء ، وأنواع التمر ، وزيتون زغوان ، والسّمن والشّمع ، وأعظمها الصّنجق المحلّى بالفضّة ، المكتوبُ في نسجه آياتٌ من القرآن ، وبعض أسماء الله ورسوله ، وأبيات من البردة ، ولا يصنع في غير تونس من بلدان الإسلام في ذلك العصر .

وشرع الباي في إحضار الهديّة ، وتوسّع فيها ما شاء ، ممّا اقتضته مذاهب الحضارة ، من أسلحة الذهب والتحف المرصعة بأنواع اليواقيت والجواهر ، وجمعها في بيت ، وأذِنَ لرجال دولته في الاطلاع عليها ، وأطلع عليها أهلَ المجلس الشرعي ، وبعضَ الأعيان من الحاضرة ، كأميني

التجار والشوّاشيّة والعشرة[١] الكبار . ويسأل الوزيرُ من يطلع عليها ، فإذا استحسنها واستعظمها يقول له : « هدايا أمثالنا للدولة العلية إنّما هو إظهار للطاعة فقط ، وقد ضايقْنا البلاد وأجحفنا بها ، ولا يعظم أضعاف هذا عند الدولة العثمانية » .

وسافر بها الوزير يوسف صاحب الطابع في ذي القعدة من السنة ١٢٠٩ (ماي – جوان ١٧٩٥ م) في سفينة حربية كبيرة بصنجق دولة السويد ، لوقوع حرب بين تونس وبعض الدول ، وشقوفُهم في البحر مترصّدةٌ لمراكب تونس . وسافر معه كاتبه الحاج بالضياف والد العبد الحقير ، وأبو النخبة مصطفى بن حمزة ، وأعيان من خواصه ، ولمّا وصل بوغاز القسطنطينية وجد به الأسطول العثماني ، وكان ناشراً صنجقَ تونس بأعلاه ، إشارة لمقام الراكب به ، المعبَّر عنه في عرف أهل البحر بالفُرْص[٢] ، فأتاه زورق من قبطان باشا يأمره بإزالة الصنجق ، وأن لا يمُرَّ به على حالته أمام الأسطول العثماني ، فوقف صاحب الطابع وبعث مصطفى بن حمزة إلى قبطان باشا يقول له : « إن هذا صنجق إسلامي في سفينة أجنبيةٍ ، وفي تنزيله هَضيمةٌ ، والله لا أُزيلُه إلاّ بإزالة رأسي ، أو أرجعُ من حيث جئت . وأنا رسول » ، فبانَ أن رسول قبطان باشا لم يفهم ما أُمِرَ به ، وإنّما طلب نقله من محل إلى آخر في السفينة خشية الالتباس ، ودخل بصنجقه في محلّه إلى مرسى حاضرة الإسلام ، وكان قبطان باشا يومئذ كشك حسين باشا ، ولما أرْسَى تلقّته الدولة العلية بصنوف إحسانها ، وجزيل إكرامها ، على عادتّها مع

---

١ رئيس مجلس التجارة ومعه عشرة أعضاء يسمون العشرة الكبار ، ولا يجتمعون إلا في مهم (الصفوة ٢ : ٣) .

٢ الفرص : العلم الصغير (دوزي) .

الوافدين من الأقاصي ، ووقعت الهدية موقعاً حسناً من السلطان ورجال دولته ، وإنْ رأى حامِلُوها في خزائن الدولة ما أخجلهم عن استعظام هديتهم .

وحضر صاحب الطابع بين يدي السلطان ، وأنزلته الدولة بدار حسنة قريبة من صرايا برون ، والمباشر له كشك حسين قبطان باشا . وظهر كرم يوسف صاحب الطابع ، وعلّق أياديه في أعناق رجال الدولة .

ولمّا انفتح باب التخاطب ، قال له قبطان باشا : « يقول لكم مولانا السلطان ، إنّي جلست على سرير السلطنة ، وأتتني وفود التهنئة من أقاصي الأجانب ، وأنتم من المسلمين وجزء من ممالكي ، ولا حاجة لي منكم بالهدية ، وإنّما الحاجة في وصل حبل الإسلام الذي أمرنا الله بالاعتصام به » ، إلى غير ذلك من الملام ، ثم قال : « ألم تعلموا أن أولاد قرمانلي ، أثارت أغراضهم نيران الفتن بإيالة طرابلس ، وأهلكوا الحرث والنسل ، حتى فرَّ الكثير من أهلها ، وليتكم إذ أخرجتم علي برغل ، جعلتم فيها أمير جيشكم ، حتى لا تكونوا أزلتم فساداً بفساد » .

فقال له صاحب الطابع : « ملام السلطان مسموع ومقبول ، ونطلب من فضله العفو والصفح والرضى ، لكنّه لو اطلع على كُنْهِ السبب ، نقل الملام لوزرائه ، أما سمعتم حربنا مع الفَنيسْيان ، وانتقالَ أسطوله من ثغر إلى ثغر ؟ أما تعلمون ضعف هذا الثغر الإسلامي عن مقاومة الحروب الأجنبية ؟ هلاَّ وصلتم حبل الإسلام بإعانتنا ولو بالاعتذار عنّا لمولانا السلطان ، وبيان سبب التأخّر الواضح للعيان ؟ وأما علي برغل فإنّنا لم نبدأه بحرب حتى فاجأنا بها ، وتعدّى على بلادنا ، واستولى على جزيرة جربة ، ومع ذلك فلنا أن ننجد علي باشا قرمانلي على عادة الأوجاق ، فإن الحروب بين تونس والجزائر بمرأى منكم ومسمع » ، إلى غير ذلك . . . « وأمّا ولاية أمير الجيش الذي توجّه لطرابلس ، فأراه لا يرضى بولايتها ، ولو فعلنا ذلك ، ربما يقال إن

المراد توسعة مملكة تونس بزيادة وطن والباي إنّما دافع عن ولايته ، وأنجد من استنجده » .

وطلب من قبطان باشا أن يبلغ ألفاظه للحضرة العلية السلطانية ، فقال له : « نبلغ ما يناسب إبلاغُه » ، فألحّ عليه بأن يبلغ مقالته كما سمعها ، فقال له : « سبحان الله ، كيف أبلغ شكايةً من رجالٍ أنا أحدُهم ، بل أنا أولى منهم بالملام ؟ » وكان قبطان باشا إذ ذاك هو الذي يتولّى مباشرةَ رُسُلِ الأوجاق ، فقال له : « أمانتكم تقتضي ذلك » .

وبعد أيام اجتمع به ، وقال له : « بلغت مقالتك لمولانا السلطان ، وهو يقول لكم : عفا الله عما سلف ، وإنّما المراد وُصلةُ اللُّحمة الدينية ، وحمّودة باشا لم يكن عندنا بموضع تهمة ، ولو طلبتم الإعانة أعنّاكم » ، فعند ذلك طلب من الدولة الفرمان السلطاني ، ولباس الولاية لأحمد باشا قرمانلي وأخيه يوسف ، فوقعت الإجابة من غير توقّف .

ولمّا حضر ذلك توجّه به رسول الدولة إلى طرابلس ، ومعه مصطفى بن حمزة والحاج بالضياف الكاتب ، وبعد وصولهم لطرابلس ، أتى الحاج بالضياف لتونس برسالة من صاحب الطابع للباي ، وكان عند سفره من إسلامبول أصحبه سفيرُ الدولة الإنكليزية كتاباً للقنصل بتونس ، ولمّا قرّر للباي ، بمحضر الوزير مصطفى خوجة ورجال الدولة ، ما وقع لهم من الإكرام والقبول الحسن ، وما وقع بين صاحب الطابع والوزراء من الكلام والجدال ، استراب الوزيرُ الخبرَ ، وحمله على المبالغة في مدح صاحبه ، فقال له : « هل أتت مكاتيب من التجار لتونس ؟ » فقال له : « لا أدري ، غير أن سفير دوله الإنقليز أصحبني مكتوباً للقنصل بتونس ، وأعجلني القدومُ إلى باردو عن إرساله ، وهذا هو » ، فأخذه الوزير ، وبعث به فوراً لدار القنصل ، وكانت بينهما صحبة .

ومن الغد حضر الشيخ بالضياف بين يدي الباي بمحضر رجال الدولة ، فأمره الباي بإعادة الخبر ، فأعاده ، ولمّا استتمّه قال له الوزير : « قد استربْتُكَ بالأمس ، وفي مكتوب القنصل ما يؤيد خبرك وزيادة » ، وسافر بعد يومين لطرابلس بمكاتيب التهنئة من الباي لأولاد قرمانلي ، وأقام بها يوماً وليلة ، وسافر لإسلامبول ، فاجتمع بصاحبه وأخبره بانتظار الباي لقدومه .

[٣ : ١٩٩] وفي الثاني والعشرين من صفر سنة خمسين ومائتين وألف ١٢٥٠ (الاثنين ٣٠ جوان ١٨٣٤ م) ، توجّه أبو النجاة سليم ، أمير آلاي العسكر النظامي بقشلة الحاضرة ، في شقف حربي إلى طرابلس . وسببه ما وقع في بيت قرمانلي من قيام الأخوين على عمّهما أبي المحاسن يوسف باشا قرمانلي ، واستولوا على المَنْشِيّة ، وانحجر عمهم في المدينة محصوراً ، فاستنجد الباي بمكتوب محصّله : « إن إقامة بيتنا كان على يد بيتكم ، ولكم علينا منّة وفضل ، والآن تداعى ذلك البناء ، فالمطلوب من فضلكم تلافيه قبل أن يخرّ ، بما يظهر لكم من الإعانة » . وجمع الباي رجال دولته لذلك ، فأشار عليه أبو الربيع سليمان كاهية ، وأبو عبد الله محمد كاهية وغيرهما ، بأن هذا الأمر يجب الاعتناء به قبل أن يتفاقم الحال ، ويلزَم الدولةَ العليةَ العثمانيةَ إطفاءُ نار الفتنة في الإسلام ، وربما يسري الفساد من طرابلس إلى الأعراض بسهولة . وعارضهم الوزير شاكير صاحب الطابع بأن دولتنا والحالة هذه في ضيق ، ولا نضايق أنفسنا ليتّسع غيرنا ، إلى غير ذلك ، حتى قال بعض حسّاده من أكْفائه : « إنّه لا يتأتى له السفر بنفسه ، لخدمته المانعة له ، ويخشى إن سافر غيره ربما يكون له بذلك شفوف[1]

---

[1] الشفوف : التفوق .

ووجاهة » . وربك أعلم بما تكنّ صدورهم وما يعلنون . وتمّ رأيه ، وغضّ الباي الطرف [عن هذا المطلب] . ثم إن حصر المدينة اقتضى أن كل ما يرد إليها من صغار المراكب تأخذه جماعة المنشية . فأخذوا مركباً للجرابة[١] بما فيه . فرفعوا شكايتهم للباي ، فوجّه الأمير آلاي سليم إلى الباشا بطرابلس لأنّه لا يعرف حاكماً بطرابلس وعملها غيرَه ، وإن عجز يتوجّه إلى أبناء أخيه بالمنشية . فإن ردّوا ما أخذوه وإلاّ آذنهم بحرب . فتوجه وأجابه يوسف باشا بالعجز وأنّه ينتظر الإعانة من تونس ، فتوجّه إلى المنشية وطلب من أبناء أخيه ردّ ما أخذوه ، وأن الباي بتونس لا يعرف إلا صاحب مدينة طرابلس ، ولا يعرف الثوار ، وله أن يعين الباشا على الثائرين ، فامتثلوا وردّوا ما أخذوه ، والتزموا أن لا يتعرضوا لشقوف تونس . ورجع السفير بمطلب الباي ، وتردّد [الكاتب] ديوان أفندي من طرف قبطان باشا بين طرابلس وإسلامبول وتونس ، لحسم موادّ الفساد بطرابلس .

وفي جمادى الثانية من السنة ١٢٥٠ (أكتوبر ١٨٣٤ م) ، ورد للباي مكتوب من أولاد قرمانلي وكافّة أهل المنشية ، شاكين من علي باي بن يوسف باشا قرمانلي ، لأن أباه خلع نفسه وقدّمه أهل المنشية ، وهم لا يحبونه وإنّما يحبون أبناء أخيه الذين معهم بالمنشية ، وطلبوا من الباي إنهاء حالهم إلى الدولة العلية العثمانية ، وأن الفتنة أبادت قواهم وشتّتت شملهم ، فاقتضى نظر الباي أن وجّهني بالمكتوب إلى أهل المجلس الشرعي ، بعد أخذ نسخة منه . فاجتمعوا بدار شيخ الفتوى أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بيرم ،

---

١ الجرابة : سكان جزرة جربة ، مفرده جربي .

وقابلوا النسخة عليّ بأصلها ، وصحّحوا[1] بخطوطهم ، وكتبوا ما بلغهم بالتواتر عن حال طرابلس من الفتنة . وكان ذلك في الحادي عشر من رجب السنة ١٢٥٠ (الخميس ١٣ نوفمبر ١٨٣٤ م) . وبعث المكاتيب إلى الدولة العلية مع ديوان أفندي .

وكان الوزير يؤمل من ذلك أن الدولة العثمانية تضيف طرابلس إلى مملكة تونس .

ودامت الفتن في طرابلس نحو العامين ، حتى منّ الله عليها بالفرج بعد الشدة ، واستوفت دولة آل قرمانلي ما قُدّر لها من المدة . وسيأتي مزيد بيان لذلك .

[٣ : ٢٠٢] وفي هذه السنة اشتد الحرب الأهلي في طرابلس ، وذلك أن أبا المحاسن يوسف باشا قرمانلي لما انتقلت دولته من طور الشبيبة إلى طور الشيبة ، استهان بأهل المملكة ، واغترّ بظاهر الطاعة المُمرّضة من أهلها ، وحمّلهم بمقتضى ما كان له من إطلاق التصرف من مصاريف شهواته وألوان لذّاته أكثر من طاقتهم ، حتى آل الأمر إلى فاقته وفاقتهم ، فباع من شقوفها الحربية ، وسكّ من مدافعها النحاس فلوساً ، وأرخى عنان التصرف لأصهاره وأقاربه ، إلى غير ذلك ممّا نقم من أعماله ، وأدّى إلى زواله .

يحكى أن صهره ونصيحه مصطفى قرجي ، صاحب الجامع بطرابلس ، قال له يوماً : « يا سيدي ، إن سيرتك قاضية بالانحلال » . فنظر إلى شيبته وقال له : « قد طاب زرعك يا مصطفى » ، إشارة إلى الفتك به ، فقال له : « والله أرضى أن تقتلني وتستقيم » .

وهكذا شأن الدول في ابتداء انقراضها ، بمزمن أمراضها . وقالت

---

١ صحح : أمضى ، وقع .

الحكماء : يُستدلُّ على إدبار الملك بخمسة أمور ، أحدها أن يستكفي الملك بالأحداث ومن لا خبرة له بالعواقب ، الثاني أن يقصد أهل مودّته بالأذى ، الثالث أن ينقص خراجه عن قدر مؤونة ملكه ، الرابع أن يكون تقريبه وتبعيده للهوى لا للرأي ، الخامس استهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوي الحنكة . [وقد توفرت هذه الأمور كلّها] . وقالوا : « أربعة ترتفع الرحمة عنهم إذا نزل بهم المكروه ، من كذّبَ طبيبَه فيما يصف له من دائه ، ومن تعاطى ما لا يستقلُّ بأعبائه ، ومن بذل ماله في لذّاته ، ومن أقدم على ما حذر من آفاته » .

ولمّا امتلأ كيله ، وطما بالسوء سيله ، ثار عليه أهل المنشيّة ، لائذين بطاعة ابن أخيه أبي عبد الله محمد قرمانلي ، وحجروه في المدينة وأطالوا حصره ، فخلع نفسه ، وسلّم الأمر لأصغر بنيه أبي الحسن علي باي ، كما تقدم في خبر مكتوبهم لأبي عبد الله الباي حسين باشا ، فازدادت بذلك تفرّتهم ، والتفّت عُصبتهم ، وقويت شوكتهم ، وانعدم الأمان ، واختلّ العمران ، فلزم الدولة العلية ، والحالة هذه ، إطفاء نار الفتنة .

وأتى الوزير طاهر باشا في الأسطول العثماني إلى طرابلس لإصلاح الأمور ، فاقتلع علي باي من روض منبته إلى إسلامبول . ووجه له الباي من تونس صهره وثقته أبا النخبة مصطفى آغة بهدية ، تعظيماً لمقدمه . وكان ذلك أواخر شعبان السنة ١٢٥١ (ديسمبر ١٨٣٥ م) ، ورجع في ذي الحجة (مارس — افريل ١٨٣٦ م) .

وطلب الوزير طاهر باشا الإعانة بالمراكب والخيل فوجّه له الباي الوزير شاكير صاحب الطابع في ثلاثة مراكب حربية — فرقاطة وكرويطة وبريك . وتوجّه معه أبو النخبة مصطفى آغة ، وأبو النجاة سليم أمير آلاي ، ومعه تسعة مراكب متجرية مشحونة بثلاثمائة من الخيل . وكان سفرهم يوم الجمعة

السادس عشر من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف (٢٩ جويلية ١٨٣٦ م) .

وقاتل الوزير طاهر باشا أهل البغي والفساد إلى أن كان بطرابلس ما كان ، ورأت عواقب إطلاق العنان ، وكما يدين الفتى يدان .

وانقرض بيت آل قرمانلي وتفرقوا أيدي سبا . والله يؤتي الملك من يَشاء ، وينزعه ممّن يَشاء ، ويعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

وهذه ثمرة ضعف الالتحام ، والتحاسد بين ذوي الأرحام ، والتصرف بالشهوات ، وغض الطرف عن الغوائل والآفات ، واستعمال الشدّة في مواضع المداراة .

وفي خلال هذه المدة وقع الإرجاف بتونس أن قبطان باشا يريد القدوم بأسطوله إلى تونس ليلحقها بطرابلس .

وأتى في خلال ذلك الأسطول الفرنساوي ، وأرسى بحلق الوادي ، لما بلغه أن الأسطول العثماني يريد أن ينزل عساكره بتونس ويتوجّه في البر إلى الجزائر ويستنفر العربان ، فجمع هذا الباي رجال دولته وكلّمهم في الإرجاف الواقع بتونس ، وكان ممّن يخشى الله في عباده ، وقال لهم : « قد بلغني أن قبطان باشا قادم بأسطوله إلينا ، ولم ندر سبب قدومه . فإن كان لحربنا فلا أرضى أن تُسفك لأجلي دماء المسلمين ، ولا أُحبُّ ملكاً بسفك الدماء ، راضياً بحكم الله » . فقال له شيخ الدولة وكبير وزرائها أبو الربيع سليمان كاهية : « إن هذا الأمر ليس بيدك ، والمملكة إنّما بايعتك لتحفظ حقوقها وعوائدها القديمة ، ولم تبايعك لخصوصية في ذاتك ، فإن تأثّمت فقدّم غيرك من بيتك ممّن لا يتأثم بدفع التعدي ، لأنّنا والحالة هذه في عافية وأمن ، راضين بأميرنا ، وأي ذنب لنا يبيح الحرب في الإسلام ؟ » ثم التفت إلى

الجماعة وقال لهم : « ما تقولون ؟ » فأجمعوا على رأيه .

وقال له ابنه أبو العباس أحمد باي : « إن سلّمت ربّما يؤول الأمر إلى حرب أهلي ، كما وقع بطرابلس ، والعربان لا يتحملون بطباعهم سطوة الترك ، فلا محيص من سفك الدم » .

فعارضهم بأن التسبب في فُرقة الإسلام وَعيدُه شديد ، واستنطقني بذكر الوعيد ، فقلت له : « إن المتسبب في الفرقة هو من يحارب أمّة تقرُّ لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ، راضية بأميرها الناشىء بين أظهُرهم . ورضى الأمة هو الأصل الديني في الإمارة » .

وقال له ابنه : « تحذّركم من خروج هذا الخبر ، فلو بلغ جفاة الأعراب كان سبباً في هرج وحيرة » .

ولمّا رأى تصميم القوم سكت ، فقال له وزيره الغائص على دقائق السياسة أبو النخبة مصطفى صاحب الطابع : « إنك لا تسمع من القوم وممّن وراءهم إلا ما سمعته الآن . والواجب والحالة هذه استعمال السياسة مع الدولة العلية حتى لا يكون سبيل للحرب في اليوم وما بعده . ويبعد في حق الدولة وعظمة مقامها أن تقدم على سفك دماء المسلمين بغير سبب ظاهر شرعي تعتمده ، غير أن أسطول الفرنسيس في مثل هذا الوقت بمرسانا ربما يكون سبباً في قول قائل إن الشقوف أتت بطلب منّا . ولا بدّ من دفع هذا الوهم بمكتوب إلى القنصل ، وهذا المكتوب إن لم ينفع فلا يضرُّ » ، فاستصوب الجماعة رأيه ، فكاتب الباي القنصل بما لفظه : « أمّا بعد فإن جناب الدولة الفرنساوية وجّهت أجفانها إلى مرسى عمالتنا على مقتضى المحبة والمودة ، وقابلناهم بإكرام لأن شقوفنا في مراسي الفرنسيس كأنّها في مراسي عمالتنا ، فكذلك شقوف الفرنسيس عندنا . وأمّا إقامة الأجفان في هذا الوقت بحلق الوادي ، ودونانمة[1]

---

[1] دونانمة : من التركية دونانمه بمعنى أسطول (دوزي) .

مولانا السلطان بقربنا ، وفيها السيد قبطان باشا ، ربّما تنتج لنا مضرة في الحال أو في المستقبل من جهة الدولة العثمانية أدام الله وجودها ، لأنها ربما تظن في جنابنا ظنّاً يضرُّ بنا . ومعلوم أنّنا تحت طاعة مولانا السلطان في أمره ونهيه ، وباسمه نخطب في جوامعنا وعلى سكّتنا . فلا يخطر ببالنا أنّنا نعصيه أو نخالف أمره أو نعارضه بشيء . فالمراد أن تعرّف الأميرال بهذه المضرّة التي نتوقعها . والاعتماد على كمال عقلكم في حسن التبليغ . وشقوف الفرنسيس مهما تمرّ بنا أو تأتي إلى مرسانا فمرحباً بها ونقبلها بالإكرام على مقتضى قوانين المحبة . ولا زائد إلاّ الخير والعافية » . وكتب في ١١ جمادى الثانية سنة ١٢٥٢ (الجمعة ٢٣ سبتمبر ١٨٣٦ م) .

وأجاب القنصل بما نص تعريبه : « إنّه بلغنا ووصلنا المكتوب الذي تشرفنا به من عند السيادة ، وأعلمنا به الأميرال لالند ، وعلمنا جميع ما تضمّنه . وجوابنا عليه هو ما سنذكره ، وهو أن جنابكم العلي بريء وأجنبيّ وخارج من الاتفاق الذي اقتضاه نظر الدولة الفرنساوية في إرسال هذه الدونانمة إلى سواحل تونس . وأنتم لا يمكن لكم أن تمنعوا دولة الفرنسيس من ذلك ، وهو إرسال شقوفها إلى سواحل تونس . ولأجل ذلك لا يتوجه عليكم لوم ولا عتاب من جناب الدولة العثمانية ، لأنه لا وجه لذلك . وجناب الدولة الفرنساوية تعلم تحقيق حالتكم مع الدولة العثمانية . وحاشا جناب دولتنا أن ترضى بما يوجب لكم غياراً مع دولتكم ، وإنّما مراد الأمبراطور أن تبقى جناب دولتكم مع الدولة العثمانية على العهد القديم السابق ، من غير تبديل ولا تغيير . ولكن الدولة العثمانية لا يمكن لها أن تخترع أمراً جديداً تضرُّ به مصلحة الفرنسيس في الناحية التي تحت يده في الأبركة . ولأجل أن يمنع ما عسى أن يقع من المضرة ، أرسل الأمبراطور دونانمة إلى تونس يمنع بها قدوم قبطان باشا لأجل التصرف بما هو مأمور به . والأميرال لما بلغه قبطان باشا أتى إلى طرابلس ،

وأعلم بأن مراده الإتيان إلى تونس ، في ذلك الحين أرسل الأميرال جفناً من الأجفان التي تحت حكمه هنا ليعلم قبطان باشا بأن حبيب السلطان الصافي وهو سلطان الفرنسيس لا يمكن له أن يتحمّل هذا التعدي بوجه من الوجوه في المملكة التي تحت يده في الأبركة ، لأن قدوم دونانمة المسلمين إلى تونس يتقوى بها قلب باي قسنطينة الذي عندنا معه في التاريخ مكالمة ، وربّما حرب بيننا . فلأجل ذلك نعلم قبطان باشا أنّه لا يقدم ، ويرجع إلى المحل الذي جاء منه . فإن صمّم وعزم على القدوم ، فإن الأميرال واجب عليه أن يصدّه ويمنعه بالمدافعة القهرية بالقوة » . اه . هذا لفظ معرّبه الذي لا يحسن التراكيب العربية . ولمّا بلغ هذا الجواب للباي بعثه إلى قبطان باشا بطرابلس .

وهذا القنصل اسمه شوبيل ، وكان شيخاً حنكته التجارب ، عاقلاً منصفاً . وهو أول من امتنع من تقبيل يد الباي ، وذلك أنّه لمّا قدم من دولته، جلس الباي بالمحكمة لتلقّيه ، [وهيّأ له كرسيّاً] على العادة . ولمّا دخل كشف رأسه ، وخضع [بالانحناء] وقال للباي : « هذه تحيّتي لسلطاني » ، فأغضى له الباي ، ولم يعط يده لغيره من القناصل بعدها . وقال : « تحيّة المسلمين السلام » . وطوى في النازلة بساط الكلام ، ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، وللعقول تُضرب الأمثال .

[٤ : ٢١٥] وفي محرم من سنة ١٢٧٣ ، ثلاث وسبعين (سبتمبر ١٨٥٦ م) ، جهّز الباي محلة قوية أميرها أبو عبد الله محمد خزنه دار عامل سوسة ، وهو يومئذ عامل الأعراض أيضاً ، لتشريد غومة المحمودي من الصحراء .

وغومة هذا من سَراة قومه المحاميد ، ومن شيعة بيت قرمانلي بطرابلس . ولمّا ثُلَّ عرْشُها باختلاف آلها ، دخل الصحراء وشنّ الغارات في وطن طرابلس ، والدولة تتربص به الدوائر حتى أوبقه ذنبه وتمكّن به الباشا الوالي

بطرابلس ، وبعثه معتقلاً إلى إسلامبول ، فصدر الحكم عليه بالنفي الذي هو أخفُّ عقوبات المفسد . وفرَّ من موضع نفيه فأتى وطن طرابلس ، وقد تمهدت فيه العافية بعد مقاساة الشدائد والهَرج ، فتوقع الشرَّ ، فأتى الوطنَ التونسي ، ونزل بأطرافه من جهة الأعراض . وكاتب الباي ليقبله أو يشفع فيه عند الدولة العلية . وتوسّل في مطلبه بقنصل الفرنسيس [ليون روش] ، فأتى الباي وحسّن له قبوله ، وقال إنّه استجار بحرمك إلى غير ذلك . وحذّر النصحاءُ الباي من تداخل قنصل ، أيّ قنصل كان ، في أحوال المملكة ، ومن عاقبة هذا القبول ، فقبله غير مفكر في عاقبة أمره [شأن ملوك الإطلاق] ، واقفاً عند ظاهر الحال ، واستهان به . وكاتب الدولة العلية شافعاً فيه ، فأجيب بأنّه من المفسدين في الأرض ، والحرم لا يعيذ فارّاً بدم .

وطلبت منه الدولةُ إعانة الباشا بطرابلس على القبض عليه ، فأنف لذمته أن تُخفَر ، وبقي غومة بأطراف المملكة [والرسل تتردّد بينه وبين قنصل الفرنسيس] . والتفَّ عليه أتباعُ كلّ ناعق من أهل الفساد الذين يطلبون الرزق بسلاحهم . وأحسَّ الباي منه بمبادىء الشر ، فكاتبه على يد قنصل الفرنسيس بأن يرحل لدواخل العمالة ، قرب القيروان أو الحاضرة ، فتعلل بتعذر ذلك عليه لكثرة من معه بسوائمهم . وواسطته قنصل الفرنسيس يَحْطِب في حَبْله ويستر مساوئه .

ولم يزل يفسد في العربان ويستميل ضعفاء العقول بالتنفير من أداء الإعانة بأنّها جزية مضروبة على العرب المسلمين ، إلى غير ذلك . والشح بالمال في الجبلة الإنسانية . وعلى كلّ يُستطاع ، إلاّ نقل الطباع . وكفُّ العقارب عن لسعها ، تكليف ما ليس في وسعها .

[٤ : ٢١٦] ولما تفاقم الأمر وكاد أن يتّسع الخرق على الراقع ، لزم الباي تلافي الحال ودفع الضرر ، فجهّز هذه المحلّة بالفرسان من المخازنية ،

وأمر العروش القريبة من تلك الناحية بالالتفاف على المحلة . وبعث بها آلاياً كاملاً من عسكر النظام بالساحل ، وما يلزمه من المدافع والطبجية ، ولم يستقدمهم للحاضرة رفقاً بهم ، وأمر أمير المحلّة بقودهم لما يصل سوسة . وأطلق يده في الاستنجاد بمن يريده من العروش والعسكر . وتطوع أمير الأمراء أبو محمد رشيد بالسفر مع عسكر المحلّة طوع إذن أميرها ، لما في هذا الأمير من السياسة التي يقود بها أنظاره وأكفاءه .

كتب السير والتراجم

الولاة والقضاة للكندي
سيرة ابن طولون البلوي
سيرة الأستاذ جوذر
الحلة السيراء لابن الأبار
تشريف الأيام والعصور
عنوان الدراية للغبريني
أنس الفقير لابن قنفذ
رفع الإصر لابن حجر العسقلاني
الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني
اليواقيت الثمينة لمحمد البشير

كتب السير والتراجم

الولاة والقضاة للكندي
سيرة ابن طولون للبلوي
سيرة الأستاذ جوذر
الحلة السيراء لابن الأبار
تشريف الأيام والعصور
عنوان الدراية للغبريني
أنس الفقير لابن قنفذ
رفع الإصر لابن حجر العسقلاني
الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني
اليواقيت الثمينة لمحمد البشير

الولاة والقضاة للكندي

[٣٢] وعقد عمرو بن العاص لشريك بن سمي الغطيفي على غزو لواتة من البربر ، فغزاهم شريك في سنة أربعين ، فصالحهم ، ثم انتقضوا بعد ذلك على عمرو بن العاص ، فبعث إليهم عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري في سنة إحدى وأربعين فغزاهم .

فحدثني علي بن قديد عن عبيد الله بن سعيد بن عفير عن أبيه عن ابن لهيعة عن هبيرة قال : كانت لواتة قد صولحوا فكانوا على صلحهم حتّى نقضوا زمن معاوية ، فغزاهم عقبة بن نافع ، فتنحوا ناحية أطرابلس ، فقاتلهم عقبة حتّى هزمهم ، فسألوه أن يصالحهم ويعاهدهم فأبى عليهم وقال : إنّه ليس لمشرك عهد عندنا ، إن الله عز وجل يقول في كتابه : كيف يكون للمشركين عهد ، ولكن أبايعكم على أنكم توفوني وذمّتي إن شئنا أقررناكم وإن شئنا بعناكم .

وعقد عمرو لعقبة بن نافع على غزو هوارة ولشريك بن سمي على غزو لبدة فغزواهما في سنة ثلاث وأربعين ، فقفلا وعمرو شديد الدنف في مرض موته .

[٥٢] وقدم حسان بن النعمان الغساني من الشام إلى مصر يعهد إلى المغرب في سنة ثمان وسبعين ، فسأله عبد العزيز أن لا يعرض لأطرابلس ، فأبى حسان ذلك ، فعزله عبد العزيز وولى موسى بن نصير مولى لخم أمر المغرب كلّه .

[١٠٣] وخرج عامر بن إسمعيل في جيوشه على مقدمة أبي عون ،

وبعث بالمثنى بن زياد الخثعمي في شوال سنة ست إلى الإسكندرية ليجهز المراكب إلى طرابلس ، وبعث بعياش بن عقبة الحضرمي في حمل الطعام لجيش أبي عون وعامر بن إسمعيل .

وتوفّي أمير المؤمنين أبو العباس في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، واستخلف أبا جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاستقبل بخلافته سنة سبع وثلاثين ومائة . فأقر صالح بن علي على صلاتها وخراجها ، وكتب صالح إلى أبي عون يأمره بالرجوع وبرد الدعاة من أهل مصر ، وقد بلغوا سرت وبلغ أبو عون برقة ، فأقام بها أحد عشر شهراً واتخذ بها مصلى وتركه ، ثم رجع أبو عون في جيشه إلى مصر .

[١١٦] وضم يزيد بن حاتم برقة إلى عمل مصر ، وهو أول من ضمّها إليه ، وأمّر عليها عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة السيباني ، وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائة .

[١٨٩] ثم قدم الافشين حيدر بن كاووس الصغدي إلى مصر ، ومعه علي بن عبد العزيز الجروي ، قدما لثلاث خلون من ذي القعدة سنة خمس عشرة . وقد أمر الافشين أن يطالب عليّاً بالأموال التي عنده ، فإن هو دفعها إليه وإلا قتله . فطالبه الافشين فلم يدفع إليه شيئاً ، فقدمه بعد الأضحى بثلاث فقتله ، وصرف الافشين عبدويه بن جبلة عنها ، وخرج الافشين إلى برقة ومعه عبدويه وولى عليها عيسى بن منصور لسلخ سنة خمس عشرة .

[١٩٠] ثم قدم الافشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة سنة ست عشرة .

[٢٢١] ثم سار العباس في الطائفة التي معه والواسطي معه . كان خروجه إلى الجيزة يوم الأحد لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين ، فعسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن أحمد على الفسطاط ، وأظهر العباس أنه

سائر إلى الإسكندرية لكتاب ورد عليه من أبيه يأمره بذلك ، فتوجه إلى الإسكندرية ثم سار إلى برقة .

وقدم أحمد بن طولون من الشام إلى الفسطاط يوم الخميس لأربع خلون من شهر رمضان سنة خمس وستين ، فأنفذ أبا بكرة بكار بن قتيبة القاضي ومعمر بن محمد الجوهري والصابوني القاضي وزياد المعدلي إلى العباس ، فكتب معهم إليه كتاباً ألان له فيه جانبه ووعده أن لا يسوءه ولا يأخذه بقبيح عمله ، فصاروا إليه إلى برقة فانقاد العباس إلى الرجوع وهمّ بالشخوص معهم إلى أبيه ، ففزعت الطائفة التي حسّنت له الخروج من أبيه أحمد وعلموا أنّه موقع بهم فحرضوه على المقام ، فرجع إلى قولهم وانصرف بكار بن قتيبة ومعمر بن محمد إلى أحمد بن طولون ، فدخلا الفسطاط أول ذي الحجّة سنة خمس وستين . وعزم العباس على المسير إلى إفريقية ورأى أنّها أمنع له من برقة ، فكتب إلى إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب أن كتاب المعتمد ورد عليه بتقليده إفريقية ويأمره بالدعاء له بها ويخبره أنّه سائر إليه ، ثم مضى العباس متوجهاً إلى إفريقية في جمادى الأولى سنة ست وستين فنزل لبدة فخرج إليه عاملها وأهلها فتلقوه وأكرموه ، فأمر العباس بنهبها فنهبت وأهلها على غرة ، فقتلت رجالهم وفضحت نساؤهم . وبلغ الخبر الياس ابن منصور النفوسي ، وهو يومئذ رأس الإباضية ، وبعث إبراهيم بن أحمد بن الأغلب بغلام له يقال له بلاغ إلى محمد بن قرهب عامله على أطرابلس في جمع كثير من أهل إفريقية ، فأطبق الجيشان على العباس فباشر العباس يومئذ الحرب بنفسه وحسن بلاؤه وأثر فيه . وقال العباس يومئذ :

لله درّي إذا أغدو على فرسي ... إلى الهياجِ ونارُ الحرب تستعرُ

إن كنتِ سائلةً عني وعن خبري ... فها أنا الليثُ والصمصامةُ الذكر

من آل طولون إن ساءلت عنه فما ... فوقي لمفتخرٍ بالجودِ مفتخَر

لو كنتِ شاهدةً كرّي بلبدةَ إذْ بالسيفِ أضربُ والهاماتُ تبتدر
إذاً لعاينتِ مني ما تنـاذره عني الأحاديثُ والأنباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه وحماته ، ونُهبت أمواله وسلاحه ، ورجع هارباً إلى برقة في ضر وإخلال .

وعقد أحمد بن طولون لإبراهيم بن بليرد على جيش وبعث به إلى برقة وذلك في شهر رمضان سنة سبع وستين ، وجعل مكانه على الشرط سري بن سهل ، فأقام إبراهيم فيما بين برقة والإسكندرية . ثم أجمع أحمد بن طولون على النهوض بنفسه إلى برقة فاستعد لذلك وخرج في عسكر عظيم ، فزعموا أن عسكره ذلك كان مضموماً على مائة ألف . وخرج من الفسطاط يوم الخميس لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثمان وستين ومائتين ، فأقام بالإسكندرية ، وهرب أحمد بن محمد الواسطي من يدي العباس فأتى الإسكندرية فلقي أحمد بن طولون بها ، وهو عازم على المسير إلى برقة ، فصغر أمر العباس عنده ، فعقد ابن طولون لطبار على بعض الجيش الذي كان معه فيهم أحمد بن وصيف وتيتك وسعد الأيسر ، ومضوا يريدون برقة . فالتقى طبار مع أصحاب العباس بموضع يقال له دماره من أرض برقة يوم الاثنين لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة ثمان وستين ومائتين ، وانهزم أصحاب العباس وقُتل منهم كثير ، وهرب العباس فاتبعوه فأدركوه يوم الأحد لأربع خلون من رجب سنة ثمان .

[٢٤٠] وقدم خمارويه من الشام فدخل الفسطاط يوم السبت لست خلون من ربيع الأول سنة ثمان ومائتين .

وورد كتاب المعتضد على خمارويه لخمس بقين من ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين بولايته هو وولده ثلاثين سنة من الفرات إلى برقة ، وجعل

إليه الصلاة والخراج والقضاء وجميع الأعمال ، على أن يحمل في كل عام من المال مائتي ألف دينار عمّا مضى وثلاثمائة ألف عن كل عام للمستقبل .

[٢٦٧] ثم وليها أبو منصور تكين من قِبل المقتدر بالله أمير المؤمنين على صلاتها ، دعي له بها يوم الجمعة لإحدى عشرة خلت من شوال سنة سبع وتسعين فأقر محمد بن طاهر على الشرط وتقدم إلى تكين في الجد في أمر المغرب والاحتراس منه ، فعقد لأبي النمر أحمد بن صالح من الأبناء على برقة ، وبعث معه بجيش فيه جمع كثير ، فسار إليها أبو النمر فدخلها واشتد سلطانه بها ، وفرض بها فروضاً من البربر وغيرهم ، وخرج منها حتى بلغ سرت ، وحسن أمره في ولايته ، فبعث إليه صاحب توزن بحباسة بن يوسف رجل من البربر من كتامة ، فكان موافقاً له قد انتصف كل واحد منهما وامتنع من صاحبه ، وعزم تكين على صرف أبي النمر أحمد ابن صالح عمّا يتولاّه ببرقة وعقد عليها لخير المنصوري ، وبلغ حباسة خبره فبعث إلى أبي النمر وهو موافقه : ما الذي يحملك على حربنا وأنت معزول ؟ فبعث إليه بكتاب ورد عليه من (مصر ؟) بذلك ، فانصرف أبو النمر إلى برقة وتبعه حباسة ، ثم رحل أبو النمر من برقة يريد مصر ، ونزل حباسة عليها ، وخرج خير المنصوري إلى برقة ومعه عبد العزيز بن كليب الجرشي ، فوقع بينهما تشاجر فنفس كل واحد منهما الولاية على صاحبه وتجافيا ، فظفر بهما حباسة وهزمهما جميعاً ، وانصرفا إلى مصر منهزمين .

[٢٦٩] ثم سار حباسة بن يوسف في جيوشه من برقة قاصداً للإسكندرية في مائة ألف أو زيادة عليها ، فدخل الإسكندرية يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة .

[٢٧٤] وتتبع ذكا كل من يومأ إليه بمكاتبة صاحب إفريقية فسجن

كثيراً منهم وقطع أيدي قوم وأرجلهم ، وجلا أهل لوبية ومراقية إلى الإسكندرية في شوال سنة أربع وثلاثمائة خوفاً من أبي مدني ، صاحب برقة ، فبعث ذكا بجمع من القواد مرّة بعد أخرى إلى الإسكندرية .

[٢٧٥] ثم وقع الاختلاف بين المظفر بن ذكا بالإسكندرية وبين بربر البحيرة فخرج عنهم مظفر إلى تروجة ثم رجع إلى الإسكندرية ، وسارت مقدمة صاحب إفريقية إلى لوبية ومراقية فهرب أهل الإسكندرية منها وجلوا عنها ، وخرج منها مظفر بن ذكا في خمسة ، ودخلت مقدمة ابن صاحب إفريقية إليها يوم الجمعة لثمان خلون من صفر سنة سبع وثلاثمائة .

[٢٧٦] وأقبلت مراكب صاحب إفريقية قاصدة إلى الإسكندرية ، عليها سليمان الخادم . فبعث ثمل الخادم صاحب مراكب طرسوس فأتى في مراكبه إلى رشيد ، فلقي سليمان الخادم لعشر بقين من شوال سنة سبع وثلاثمائة ، فاقتتلوا ، وبعث الله الريح على مراكب سليمان فألقتها إلى البر فتكسرت ، وأخذ من فيها أخذاً باليد ، وأسرهم ثمل وقتل منهم خلقاً كثيراً ، واستأمن إليه من بقي ، ودخل بهم الفسطاط ، فأنزلهم المقس يوم الاثنين لأربع بقين من شوال سنة سبع ، ومعه سليمان الخادم وكل رئيس كان في تلك المراكب ، فأمر تكين بتمييز الأسارى فأطلق أهل القيروان وطرابلس وبرقة وصقلية وميز كتامة وزويلة ناحية ، ثم أذن للناس في قتلهم ، فقتلهم الجند والرعية . كانت عدة القتلى سبعمائة أو نحو ذلك .

[٤٢٥] حدثني محمد بن يوسف قال : حدثني يحيى بن أبي معاوية قال : حدثني خلف بن ربيعة عن أبيه قال : ولي قضاء مصر تسعة رجال من حضرموت آخرهم لهيعة بن عيسى ، وولي برقة جمع من حضرموت على قضائها . قال يحيى : آخرهم خير بن سعيد بن خير .

[٦١٠] أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي [يحيى]

ابن الحارث بن أبي العوام السعدي ، الفقيه الحنبلي أبو العباس ، من المائة الخامسة . ولي القضاء بمصر في جمادى الآخرة ، وقيل في شعبان سنة ٤٠٥ ، وهو الصحيح .

[٦١١] وأضيف إليه في أحكام مصر برقة وصقلية والشام والحرمين ما عدا فلسطين .

[٧٠] ثم هاج بعد أبي روح أهل برقة ، ووثبوا بأميرهم محمد بن فروخ الفرغاني ، وأخرجوه عن البلد . فأنفذ إليهم أحمد بن طولون أبا الأسود الغطريف ويزبك الفرغاني ، وكان من حجابه ، وهو صاحب الرحبة المجاورة لدور الماذرائيين المسماة به ، في جيش عظيم ، وبعث إليهم أيضاً مراكب مشحونة رجالاً وسلاحاً ومنجنيق ، وأتبعهم بجيش آخر عليه لؤلؤ غلامه . فلمّا فصل لؤلؤ أتبعه أيضاً جيشاً آخر عليه شعبة بن خركان ، وأمر رئيس كل جيش منهم بالتوقف والتساند وبذل السلامة والأمان ، إن قبل ، وتقديم المعذرة وترك العجلة ، فإن أجابوه وإلا السيف .

ولبرقة حصن منيع ، فترك الغطريفُ يزبك على أحد أبوابه ، وترك لؤلؤاً على باب آخر ، واستعملوا الرفق كما أمروا . فأمنوا بذلك ، وأطمعهم اللين ، ففتحوا الباب الذي عليه الغطريف ليلاً وأوقعوا بعسكره . فلمّا وقعت الصيحة تسرع الغطريف ، وقائد معه يُعرف بدعباش وابن لفروخ يُعرف بإسرائيل ، فقتلوا جميعاً في المعركة ، وأصبح عسكر أبي الأسود بلا رئيس ، فانضم أهله إلى عسكر لؤلؤ . فكان تسرع الغطريف تسرع باسل لزمه فرض وطمع الظفر وعجل ، ولو تثبت وكان في أجله تأخير لم يُقتل .

[٧١] فكتب لؤلؤ إلى مولاه بجملة الخبر ، وما يعمل وما فعلوه ، فكتب إليه بأمرهم بقتالهم ويقول : قد أحسنتم في توقفكم ، وأنتم الآن تُنصرون بمشيئة الله وعونه ، فباكرهم لؤلؤ طالباً لثأر صاحبه كما قال الشاعر :

إذا ما وترنا لم ننم عن تراتنا ... ولم نكُ أوغالاً نُقيم البَواكيا

ولكنّنا نُزْجي الجيادَ شَوازباً فنرمي بها نحوَ التراتِ المراميا

وعبأ عسكره ، ونصب منجنيقاته ، وزحف إلى الحصن ، فلمّا جد بهم القتال وأخذتهم الحجارة والنشاب ، صاح بعضهم وطلب الأمان ، وفتحوا له الباب ، ودخلوا عليهم ، وقبضوا على جماعة من رؤسائهم فضربهم بالسوط ، وقطع أيدي جماعة منهم ، وصلب منهم طائفة ، وكتب إلى مولاه بالفتح .

ووصل شعبة إلى لؤلؤ بعد الفتح ، فاستخلفه لؤلؤ على البلد ، ودخل إلى الفسطاط ، وحمل معه جماعة من الأسرى ليرى مولاه فيهم رأيه ، فلمّا وصل إلى الجيزة بعث إليه مولاه بالخلع وبطوقين حسنين ثقيلين ، فلبس الخلع والطوقين ، وحمل الأسرى بين يديه ، وطاف بهم البلد ، فسكنت رهبة أحمد بن طولون في صدور الناس ، حتى كان يفزع الصبيان [و] الأطفال .

[٢٤٨] وأخذ العباس كل ما تهيأ له من المال والمتاع والسلاح والكراع ، وأخذ معه الواسطي وأيمن الأسود مقيدين وخرج ، فلمّا صار إلى الإسكندرية أقام بها أياماً ثم تجاوزها إلى برقة .

[٢٥٣] ثم دعت العباس حماقته [إلى] الخروج إلى إفريقية ، ثقة بما معه من المال والعدة والعدد ، ورأى أن ذلك يقيمه ويوصله إليها . وحسن ذلك وأطمعه فيه أصحابه ، ليبعدوا عن أبيه ، وصغروا عنده أمر إبراهيم ابن أحمد بن الأغلب صاحب إفريقية ، وكاتب وجوه البربر فتسرعت إليه منهم جماعة كبيرة العدة ، صغيرة العدد ، وفرق فيهم صدراً من المال الذي كان معه ، وتخلف عنه أكابر القبائل ، واعتلّوا عليه بأن بينهم وبين قوم ترات ، ولا يأمنونهم عند خروجهم عن أوطانهم على أموالهم وحرمهم ، فرأى أن من حصل معه كافٍ له .

وكتب إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب يقول : إن المعتمد بالله أمير المؤمنين قد قلّدني إفريقية ، وإنّه أمره بالخروج إليها ، ويأمره بإقامة الدعوة له ، ورحل بأكثر من معه وأكثر المال والذخائر : حتى انتهى إلى حصن يقال له : « لبدة » ففتحه أهله له : وخرج إليه عامل ابن الأغلب به ، فتلقاه بأجمل تلقٍّ ، فقابلهم بضد ما استحقّوه منه ، وأطلق لأصحابه نهب الحصن ، فنهبوا وقتلوا الرجال وسبوا النساء ، وهتكوا من لم يصلوا إلى سبيه ، فهرب أهل الحصن إلى الياس بن منصور الزناتي [النفوسي] رئيس الإباضية ، واستغاثوا إليه ، وشكوا ما نالهم منه . فدخلته حميّة الإباضية ، فغضب من ذلك غضباً شديداً ، وكان العباس قد كاتبه يأمره بالسمع والطاعة له ، وإلا رحل إليه ، ووطىء بلده ؛ وبلد النفوسي يعتزل عن الناس ، ممتنع لنجدته وكثرة أهله وقوتهم ؛ ولم يؤد النفوسي إلى ابن الأغلب طاعة قط ، فرد الجواب مع رسوله يقول : قل لهذا الغلام إنّك أقرب الكافرين مني وأولاهم بمجاهدتي . وقد ظهر من قبيح فعلك ما لا يمكنني معه التخلف عنك وعن جهادك ، وأنا على أثر رسالتي إليك .

وكان ابن الأغلب قد أنفذ إلى محمد بن قرهب عامل طرابلس بخادم له يُعرف ببلاغ ، في جمع من أهل القيروان كثير ، فالتقى مع العباس ، وكان القتال بينهم مناوشة لا مناجزة ، فقاتل العباس فيها قتالاً شديداً بنفسه ، وكان مع نقص عقله من الرجال الفُتّاك ، وكان جيّد الشعر . [ومن شعره يفتخر] :

لله درّيَ إذْ أغدو على فرسي	إلى الهياجِ ونارُ الحربِ تستعرُ
وفي يدي صارمٌ أفري الرؤوسَ به	في حدّه الموتُ لا يُبقي ولا يذرُ
إن كنتِ سائلةً عني وعَنْ خبَري	فها أنا الليثُ والصمصامةُ الذكرُ
من آلِ طولونَ أصلي إن سألتِ فما	فوقي لمفتخرٍ بالجودِ مفتخَرُ
ورثتُ مجدَ أبي عنه وورّثني	مجداً أناف به آباؤه الغررُ

لو كنتِ شاهدةً كرّي بلبـدةَ إذْ بالسيفِ أضربُ والهاماتُ تبتدرُ
يدعونَ لا أينَ والعباسُ يقدمهم كأنّهمْ حُمُرٌ والليثُ مقتسرُ
إذاً لعاينتِ مني ما تسيرُ بـهِ عني الأحاديثُ والأنباء والخبرُ

فلمّا كان من غد ، غاداه النفوسي في اثني عشر ألف مستنصر مقاتل ، وزحف إليه أيضاً بلاغ بعسكره من خلفه ، فأطبق عليه العسكران ، فقُتل من أصحابه خلق كثير ، ولولا شجاعته ورجلته لأُخذ ، فدعته الضرورة ، بقتل من قتل من أصحابه ، إلى أن انهزم ، ولحق فكاد أن يؤسر ، حتى أقيل بجزالته ولطف الله عز وجل به وبعونه ، وأخذ سواده وذخائره ، وجميع ما كان معه من المتاع والأموال والسلاح ، وما حصله معه له من مصر ، وعاد إلى برقة أقبح عودة . وكان معه أيمن الأسود مقيداً فتخلص من القتل ، لأنّهم علموا بقيده أنّه حرب له ، وكان قد أطلق الواسطي بضمان جماعة من التجار ببرقة إحضاره إياه متى طلبه ، فكان عندهم مكرماً .

[٢٦٦] قال مؤلف هذا الكتاب : وورد الخبر بأن الطائفة التي أنفذها طبارجي خلف العباس لحقته ، فقتل من غلمانه جماعة ، وقبضوا عليه أسيراً فأتوا به طبارجي ، فقيده وحمله من وقته إلى أبيه ، وأمر بصيراً وأنعج وكنجوراً أن يتقدّموا به إليه ، وأنفذ كتاباً بالشرح ، فلمّا وصل إليه الكتاب حمد الله كثيراً وتمثل ، وما تمثل بشعر قط :

وبعثت مِن ولد الأغرّ معتب صقراً يَلُوذُ حمامهُ بالعوسج
فإذا طبخت بِنارهِ أنضجتهـا وإذا طبخت بغيرها لم تنضج
وهو الهزبر إذا أراد فريسـة لم ينجها منه صياح المجهج

ومد طبارجي إلى برقة ، فدخلها وأصلح من حالها ما كان فسد ، واستخلف فيها خليفة ورجع إلى مصر ، وحمل بين يديه الأسرى والرؤوس ، ودخل إلى البلد على تعبئة حسنة وترتيب .

سيرة الأستاذ جوذر

[٩٥] وكان أفلح الناشب ، عامل برقة ، قد رفع إلى الأستاذ أبعرة هدية زهاء عشرين بعيراً ، والأستاذ كان قليل القبول لهدايا الناس ، وذلك أن الأستاذ بعث إليه في عشرة أحمال ، فلمّا وقف على هذه الزيادة من العدد أنكر ذلك ، ثم احتشم من أفلح وقبل منه العشرين بعيراً ، فاحتاج إلى أن وصف لأمير المؤمنين صلوات الله عليه صورة الخبر ، وعرفه أنّه يعمل على مكافأة أفلح بهدية عوضاً من هديته ، وسمى ذلك في رقعته ووصفه ودفع إليه الجواب بخطّه عليه والسلام هو :

« يا جوذر أسعدك الله ، ما رأينا في كل ما ذكرته إلا خيراً ، فاعمل به ، فلا زلت في أيامنا عزيزاً رفيعاً تجازي من تشاء بالنفيس من فضل الله وفضلنا عندك . فالسماحة طبع من فضل النفس وعلو الهمة . وكثير من تعظم نعمته وتصغر همته ، فلا ينتفع بكثير النعمة عند صغير الهمة . والله عز وجل لم يزل يعرفك البركة في كل ما تصرفت به ، ولا يزال إن شاء الله » .

[١١٨] وورد على الأستاذ كتاب من نصير الخازن عامل أطرابلس ؛ وذلك بعد وصول الأساطيل إليه مع أحمد بن حسن ، يذكر شوقه إلى رؤية وجه مولانا ، صلوات الله عليه ، ويرغب في القدوم لصلاة العيد معه ، ويذكر مبلغ ما اجتمع عنده من المال ، وما خرج منه من النفقات على هذا الأسطول ورجاله ، ويصف استقامة أحوال البلد ، فرفع الأستاذ

كتابه ، فلمّا وقف عليه أمير المؤمنين صرف الجواب على ظهره وهو :

« يا جوذر : اكتب إليه وعرّفه جميل رأينا فيه ، وأن أنفسنا طيبة على ما يتولاه ، وما أعدمه الله التوفيق مذ كان ، ولا يعدمه الآن ، فليجتهد في الخدمة والنصيحة ، فما نعلم في ذلك تقصيراً مذ عرفناه ، عرّفه الله الخير والبركة . والذي ذكره من أمر صلاتنا في هذا الشهر المبارك ، وشهوته لو قضى ذلك ، فمن كان في خدمتنا مثل ما هو بسبيله منها فهو حاضر معنا وإن غاب شخصه . فكم من غائب حاضر ، وحاضر غائب ، فمن أحب الخير والاستكثار منه وفقه الله لطاعتنا ، والعمل بما يرضينا ، ومن غلبت عليه شقوته فهو لا يبصرنا ولو دخلنا بين أشفاره ، ومن أعماه الله عن تأمل نعمته ليس له بصر ولا بصيرة يبصرنا بها . فليحمد الله على ما وهبه من رضانا وبشكره ، فإنّه لا يؤدي شكر ذلك إلاّ بعون الله ، فأمّا المال الذي ذكر افتراقه عن يديه بعد اجتماعه فما أخرجه بأمرنا وفي مهماتنا فهو في حال ما وصل إلينا ، وهل ترى الأموال إلا لهذا الإنفاق ، فالحمد لله الذي قدّر إنفاقه فيما يرضيه ، وفيما يعود علينا بفخر الأبد وامتداد اليد وبلوغ آمال الآباء والأجداد ، فوالله لو كانت جبال إفريقية ذهباً وفضة ، ثم أنفدناها إخراجاً لأعاضنا الله بها بما قد وهب من فضله وإحسانه ، ولكانت قليلة حقيرة في جنبه ، وإن الذي جعله الله في أموالنا من البركة من أعظم الآيات وأكبر البراهين ، أسأل الله التوفيق ، ووالله إن الذي عدمنا في خدمة نصير بين أيدينا ، وما كان ينظر فيه لما كان بحضرتنا سيّما بعد

غياب جوهر سلمه الله ونصره ليفي ما ضاع في جمعه بما توفر من مال أطرابلس في سنة ، وإنا كنّا استرحنا بعد خروجه إلى جوهر فوجدنا فيه ومعه ما أردناه ، فمذ خرج صارت الأشياء مهملة ، وركب كل وحش هواه [فلا خزانة ولا حراس] ولا عبيد ولا حال يوقف منها على محبوب ، والحمد لله على كل حال » .

[١٤٤] ثم لما وصلنا إلى الموضع الذي يُعرف بمثلية بالقرب من برقة زاد به أمر الضعف وصعوبة الأمر من العلة . ومع ذلك فكان ذهنه صحيحاً لم يتغير عليه من عقله شيء ، دعاني فقال : « نحن ندخل برقة ، وهي بلد كبير ، وبه بعض أهل المشرق ، سيّما وصول ابنا نصير إلى مولانا — صلى الله عليه — فيما يقال ، واسمنا من الدولة الطاهرة كبير بإعزاز مولانا عليه السلام لنا ، والواجب أن نجمل عسكرنا بالعدة والسلاح الشاكي والزي الحسن حتى يكون دخولنا تاماً بهياً . فاكتب إلى الأمير عبد الله — صلى الله عليه — تعرفه بذلك ، وتسأله سؤال مولانا عليه السلام بإنفاذ شيء من السلاح والعدة زيادة على ما عندنا ، وتعرفه أنني أحب الوصول إلى القصر المبارك بهذا الزي . لكن لا أستطيع النزول على قدمي ، وصعب علي الأمر فيما كان من فعل مولانا — عليه السلام — بأجدابية . وأخشى أنني متى وصلت يقول من يحسدنا على فضل مولانا عليه السلام إنني إنما تعرضت بوصولي هذا ما كان من فعله ونحو هذا القول من الكلام . وختم الكتاب وأنفذناه مع نجاب كان معنا فكان الجواب من الأمير عبد الله — صلى الله عليه — يقول :

« سلمك الله ، وأتم نعمته عليك ، وتابع آلاءه لديك ، ومنع فقدك ، وقضى لك بالحج إلى البيت الحرام مع مولانا

— عليه السلام — انتهى إلينا كتابك — سلّمك الله — ووقفنا
على جميعه من بعد أن وقف عليه مولانا — صلى الله عليه —
وقبّلنا له الأرض ، وهو يرد عليك أفضل سلام الله وأطيبه .
وأمر — لا زال أمره عالياً مكرماً معظماً — بالكتاب إليك
لتعريفك — سلّمك الله — أن أمره نفذ إلى نصير الخازن ببعثه
الجمال وصدراً كثيراً من السلاح لا حدّ له وهو يصل إليك
إن شاء الله . فاعمل ؛ قال لك — صلى الله عليه — على الوصول
إلى الحضرة المباركة أي يوم يتهيّأ لك وأردت الوصول فيه ،
ويكون وصولك إلى باب القصر المبارك في عماريتك على
رسم ما فعلته في أجدابية بأحسن زي وأهيأه ، ولا تأخذ على
نفسك في هذا الباب في أمر العمارية شيئاً ؛ فليس فيه شيء
تأخذه ولا يؤخذ عليك كما قلت ؛ فخروجنا — قال لك عليه
السلام — في أجدابية ليس أن كلفتناه فتأخذ فيه على نفسك
أمراً ، بل نحن فعلناه من ذات أنفسنا رغبة في افتقادك ومشاهدة
حالك . وهب الله لك أتم العافية وأمل الصحة والسلامة بفضله .
فاعمل ما حددناه لك . قال — صلى الله عليه — وأبشر بما
رزقك الله من رضاه — عز وجل — عنك ، ورضى وليه
— عليه السلام — الذي لم يجر هذا لأحد غيرك في العصر الذي
أنت فيه ، ومحقوق أنت بذلك فاحمد الله واشكره تستوجب
المزيد من جميل عطائه وجزيل فضله وامتنانه . والله أسأل
حراسة نعمه عندك وتتابعها لديك ومرادفة آلائه عليك بأجمل
سلامة نرجوها لك وأفضل صحة نؤملها ، بمنّه وفضله . والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته » .

وكان هذا التوقيع آخر توقيع وصل إليه من الإمام وولي عهده — عليهما أفضل السلام — ووصل نصير بالعدة إليه إلى الموضع المذكور وفرّق ذلك السلاح على الرجال ، وزاد به أمر الضعف والعلة ولم يقدروا أن يصلوا به إلى القصر ، فدخل مدينة برقة إلى الدار التي أُخليت له فنزل بها ، ومضيت إلى مولانا — عليه السلام — فعرّفته بوصوله . فقال : كيف حاله ؟ قلت : « يا أمير المؤمنين — صلوات الله عليك — هو ضعيف جداً ، ومع هذا فهو يشتهي الموت حتى كأنّه يعاين الموضع الذي يصير إليه فاشتاق نحوه » . فقال :

« إلى موضعه في رحمته وقرب مواليه ، صلوات الله عليهم أجمعين » .

ثم التفت إلى من كان واقفاً بين يديه ، وكان الأمير عبد الله — عليه السلام — من الوقوف وإسحاق بن موسى وغيره من السودان الخدم ، وكان ذلك بعد الفراغ من المائدة ، فقال :

> [١٤٧] « راح هنا ميسور الكبير ، أقول وأستغفر الله : إنّه ما كان للقائم بأمر الله ذنب عند الله إلا فعل ميسور : كان يأخذ كل سفينة غصباً ويسفك الدماء ، ولمّا مات أصيبت له ثمانية آلاف دينار . وهذا جوذر المسكين ، والله إنّا لنحصي ما وصل منه إلى آبائنا الطاهرين من قبل والينا من بعدهم تقرباً وعملاً لوجه الله فيكون ذلك فوق المائة ألف دينار بلا أقطاع ولا ضياع كثيرة » .

ثم دفع إلي — صلوات الله عليه — تفاحات كانت في يده وقال لي : « أوصلها إليه وقل له : هذه وصلت إلينا من مصر ، وأرجو الله أن يحييك ويصح بدنك حتى تشاهدها معنا » .

فقبّلت الأرض وانصرفت وبلغت الحكاية التي كانت منه . فقبّل

الأستاذ الأرض وحمد الله وأكثر من شكره ، ثم أخذ معي في الحديث فما زال على ذلك وهو في صحة عقله إلى آخر الليل ، فحاله على أمره . ثم أصبح به الأمر وهو لما به من النزع ، ثم قضى عند صلاة الظهر – رحمه الله ورضي عنه – وحُمل في الليل من مدينة برقة إلى القصر الذي كان به مولانا – عليه السلام – بموضع يُعرف بمياسر . وأمر صلوات الله عليه بغسله ، وحضر لذلك القاضي النعمان بن محمد ومحمد بن عثمان الكاتب وأنا ، وصلي عليه بالغدو ، ودفن بالموضع في مسجد بهذا القصر المذكور .

الحلة السيراء لابن الأبار

[١ : ١٣] وقال غير البلاذري : ثم صار (أي عمرو بن العاص) من مصر حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أبنائهم في [جزيتهم] ما أحبوا بيعه . وعلى يديه تم فتح المسلمين لبرقة . ثم غزا في سنة ثلاث وعشرين أطرابلس فحاصرها شهراً لا يقدر منها على شيء ثم افتتحها في قصة غريبة ذكرها أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في تاريخه ، وغنم ما فيها . ولم يفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم . وأراد أن يوجه إلى المغرب فكتب إلى عمر رضي الله عنه « إن الله عز وجل فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتح الله على يديه فعل » . فكتب إليه عمر ينهاه عن ذلك .

الظاهر من هذا الخبر تميز أطرابلس من إفريقية ولم تزل من أعمالها قديماً وحديثاً ، قال ابن عبد الحكم : « كان سلطان جرجير من أطرابلس إلى طنجة » .

[١ : ١١٠] عمرو بن معاوية القيسي : خرج على زيادة الله بن إبراهيم – وكان قد ولاه القصرين وما إليهما – فتغلب على تلك الناحية وأظهر الخلاف : فلما ظفر به زيادة الله قتله وولديه الحباب وسكتان . . . فغضب لهم منصور ابن نصر الجشمي المعروف بالطنبذي ، وكان عاملاً على طرابلس وتابعه الجند ، فاضطربت إفريقية على زيادة الله .

[١ : ١٦٨] وولي إفريقية بعد إبراهيم بن الأغلب ثلاثة من أبنائه

لصُلبه ، أولهم أبو العباس عبد الله ولي بعهد أبيه ، وكان عند وفاته بطرابلس فقام أخوه زيادة الله بالأمر في مغيبه وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وسائر الناس .

[١ : ١٦٩] محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (تولى سنة ٢٢٦) : وحاربه أخوه أحمد فظفر به وأخرجه إلى المشرق . . . وأمّا أخوه الثاني ، ويسمى أيضاً محمداً ويكنى أبا عبد الله ، فكان والياً على طرابلس من قبله ، ومات بها في أيامه سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

[١ : ١٧٩] محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب أبو العباس ولي لابن عمّه إبراهيم بن أحمد بن محمد طرابلس ، فكان يشق عليه حسن سيرته ويكره ذلك ، وكان عالماً أديباً شاعراً خطيباً . . . ولم يزل إبراهيم بن أحمد يحقد على محمد هذا ما يؤثر عنه من جميل إلى أن قتله ، وكان الذي هاجه لذلك وبعثه عليه — مع قدم حسده له — أنه وجّه رسولاً إلى بغداد فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل تونس شكوا إلى المعتضد صنع إبراهيم ، فقال المعتضد : « عجباً من إبراهيم ! ما يبلغنا عنه إلاّ سوء الثناء عليه ، وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك من رفق بمن ولي عليه وإحسان » . فمضى إبراهيم قاصداً إلى طرابلس فقتله وصلبه بغياً وحسداً . . . وذلك سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

وقرأت في تاريخ أبي إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق أن المعتضد كتب إلى إبراهيم من العراق : « إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فأسلم البلاد إلى ابن عمّك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس » ، فخرج إبراهيم إلى طرابلس خفية وأظهر أنّه يريد الخروج إلى مصر حيلة منه إلى أن ظفر به فقتله وصلبه ، وكان بين خروجه ورجوعه خمسة عشر يوماً .

[١ : ١٨١] عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم أبو العباس : [ولي صقلية لأبي عبد الله ابن الأغلب المعروف بأبي الغرانيق سنة تسع وخمسين ومائتين] ، وكان قد ولي قبل ذلك بحين أطرابلس ، ثم وليها مرة أخرى بعد ولاية صقلية ، وولي أيضاً إمارة القيروان . وكان أديباً شاعراً طالباً للحديث والفقه ، وهو القائل لمّا أتاه كتاب عزله عن طرابلس يخاطب أبا هارون موسى بن مرزوق صاحب بريدها وكان له صديقاً :

قد أتى في الكتاب ما قد علمنا ... مِنْ ثَناء ورحلة ٍ وفراقِ
وعددنا الأيّام فهي ثمــانٍ ... بعدَ خمسٍ سريعةِ الافتراقِ
فعَلَيكَ السّلامُ إنّ فراقي ... قد دَنا والفراقُ مرُّ المَذاقِ

[١ : ١٨٣] أحمد بن سفيان بن سوادة بن سفيان بن سالم بن عقال الأغلبي : ولي أحمد هذا الزاب ثم ولي طرابلس وأعمالها سنين كثيرة وله بها أخبار وآثار ووقائع مشهورة . وكان من الجنود بمكان رفيع ، وهو أيضاً ممّن قام بنصرة أبي العباس محمد بن الأغلب على أخيه أحمد . . . إلخ .

[١ : ١٨٩] عبد الله بن الصائغ المعروف بصاحب البريد : أحد ولاة زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك بني الأغلب وأصحابه المخصوصين بلطف المنزلة عنده ، وتغير عليه آخراً فقتله بطرابلس عند انتقاض دولته وهربه إلى مصر أمام الشيعي في سنة ست وتسعين ومائتين .

[١ : ١٩٢] ثم ابتدأ [المهدي] بناه المهدية يوم السبت لخمس خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة . . . وكان انتقال عبيد الله إليها في شوّال سنة ثمان وثلاثمائة بعد أن ملك إفريقية وأعمال المغرب وطرابلس وبرقة وصقلية .

خليل بن إسحاق بن ورد ، أبو العباس

[١٠٩] مولده بطرابلس وهو من أبناء جندها ، وكان في أول أمره يطلب العلم والأدب ويصحب الصوفية ويبيت في المساجد ، إلى أن خالف أهلُ طرابلس بلدِه سنة تسع وتسعين ومائتين ، فكان هو المتولي لعذابهم وأخذ أموالهم ، وذلك في أول دولة عبيد الله المهدي . واتّبع القائمَ أبا القاسم محمد بن عبيد الله المهدي في مسيره إلى محاربة أهل مصر ، وهو إذ ذاك وليُّ عهدٍ ، فلحقه بالإسكندرية ، وكان المتولي لجباية الأموال والنظر فيها ، وانصرف إلى المهدية فقُدّم على خيل إفريقية ، وكان أمرُ جندها إليه مع النظر في البحر .

وخرج إلى صقلية والياً على أهلها فأهلكهم جوعاً وقتلاً ، وهرب كثير منهم إلى بلد الروم . وكان يقول بعد وصوله إلى إفريقية مفتخراً : « المكثر يقول إنّي قتلت وأهلكت ألفَ ألف ، والمقلل يقول ستمائة ألف » . وكان خروجه إليها في أول دولة القائم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

وقد كان المهدي عبيد الله سخط عليه في آخر دولته فخاف ، ولمّا توفّي أمّنه القائمُ واستعمله ، فجار أشد الجور ، « ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر[١] ! » .

ثم إن القائم صرفه عن صقلية واستقدمه منها ، وقدّمه لحرب أبي يزيد الخارجي ، وأخرجه إلى مدينة القيروان في ألف فارس من وجوه العبيد ، فأساء معاملتهم حتى أضغنهم ، ودبروا عليه . وقصده أبو زيد فدخل القيروان وحصره بداره إلى أن أخذه وأصحابه فاعتقلهم ثم قتلهم جميعاً بباب أبي الربيع وأمر بهم فصُلبوا .

---

١ الحور هو النقصان ، والكور الزيادة .

ومن شعره يمدح المهدي ويناقض مروان بن أبي حفصة :

قفْ بالمنازل واسألنْ أطلالها ... ماذا يضرُّكَ إن أردتَ سؤالها ؟
هَلْ أنتَ أولُ مَن بكى في دِمنةٍ ... دَرَسَتْ وغيّرتِ الحوادثُ حالها ؟
يا دارَ زينبَ هل تردّين البُكا ... عن مقلةٍ سفحتْ عليك سِجالها ؟
بُدّلْتِ بالإنسِ الخرائدِ كالدُّمى ... وحشَ الفلاة ظباءها ورئالها
ولقدْ عهدتُ لآل زينبَ حَبْرةً ... فيها ، ودُنْيا أقبلت إقبالها
بيضاء ناعمةَ يجول وشاحُها ... وتهزُّ دقةُ خصرها أكفالها
ولها قوامٌ كالقضيب وفوقه ... جَعْدٌ بصافحُ كفَّهُ خلخالها
وكأنَّ في فيها بُعيدَ رقادها ... عسلاً أصاب من السماء زُلالها
ولقد عصَيْتُ عَواذلي في حبّها ... والنفسُ تعصي في الهوى عذّالها

ومنها :

صلى الإلهُ على النبيّ محمدٍ ... وعلى الإمامِ وزادَه أمثالها
إنَّ الإمامَ أقام سُنةَ جدّه ... للمسلمين كما حَذَوْتَ نِعالها
أحيا شرائعَها وقوَّم كُتْبها ... وفُروضَها وحرامَها وحلالها
وهدى به اللهُ البريةَ بعدما ... طلب الغواةُ الظالمون ضلالها
إنَّ الخلافةَ يا ابنَ بنتِ محمدٍ ... حطّتْ إليكَ عن النبيِّ رحالها

وله وقد افتصد القائمُ :

قُل للطبيبِ الذي أوصى ليفصده ... رفقاً ولا زلتَ بالإسعاد ترتفقُ
كيف استطعتَ ترى بالله طلعته ... ومِن سنا نوره ما يُشرق الأفقُ ؟
أم كيف تُخرج من كفّ تقبّلُها ... دماً ومنها بحارُ الجودِ تندفقُ ؟
إنّي لأعجبُ من كفّ مسَسْتَ بها ... خيرَ الورى كيف لم يَنبُتْ بها الوَرَقُ

وله عند توديع القائم في خروجه إلى القيروان وكتب بها إليه :

وما ودّعتُ خيرَ الناسِ طُرّاً ولا فارقتُه عن طيبِ نفسِ
وكيف تطيبُ نفسي عن حياتي أفارقُها ، وعن قمري وشمسي ؟
ولكني طلبتُ رضاه جَهْدي وعفوَ الله يومَ حلولِ رمسي
فعاش مملّكاً ما لاح شمسٌ على الثقلين من جنّ وإنسِ

وبعد وروده القيروان كان من قتله وصلبه ما كان ، وما أفظع [١] مصرع من احتقب الإثم والعدوان !

[٢ : ٣٢٤] بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة القرشي العامري : غزا طرابلس مع عمرو بن العاصي فبعثه إلى ودان فافتتحها وفرض على أهلها ثلاثمائة وستين رأساً .

[٢ : ٣٣٠] ولما قُتل عقبة زحف ابن الكاهنة إلى القيروان يريد عمراً وزهيراً فقاتلاه فهزم ابن الكاهنة وأصحابه ، ثم خرجا إلى مصر بالجيش لاجتماع ملإ البربر ، وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالي إفريقية بأطرابلس .

ويقال إن عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر كتب إلى زهير بن قيس وهو يومئذٍ ببرقة يأمره بغزو إفريقية ، فخرج في جمع كثير فلمّا دنا من قمونية وبها عسكر كسيل عبأ زهير لقتاله ، فقتل كسيل ومن معه وانصرف زهير إلى برقة وذلك سنة أربع وستين .

[٣٣١] ويقال بل حسان بن النعمان كان الذي وجّه زهير بن قيس ،

---

١ الأصل : ولما أنفع .

وذكر أبو إسحاق الرقيق أن زهيراً هذا أراد الانصراف إلى مصر بعد قتل عقبة وقد رعب هو وأصحابه ، فقيل له : أهزيمة من المغرب إلى مصر ! فعزم على القتال . . . فخالفه أبو شجاع حنش الصنعاني ورحل واتبعه الناس ، فلمّا رأى ذلك زهير نهض في أثره وملك البربر القيروان . وأقام زهير بنواحي برقة مرابطاً فوجّه إليه عبد الملك بن مروان بغزو البربر واستنقاذ القيروان وأمده فالتقوا فقتل كسيل ، ودخل زهير القيروان ثم زهد في الملك — وكان من رؤساء العابدين — وعاد إلى برقة فصادف الروم قد أغاروا عليها فقاتلهم فاستشهد هو وأصحابه .

[٣٣٢] وذكر ابن عبد الحكم أن حسان رجع من مصر بعد قدومه على عبد الملك شاكياً بأخيه عبد العزيز لتقديمه على برقة غلامه تليداً ، وخلف ثقله بمصر ، فقدم على عبد الملك وهو مريض ، ثم لم يلبث حسان أن توفي على أثر ذلك .

[٢ : ٣٥٦] ولمّا وجّه أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي — وهو عامله على مصر — إلى إفريقية وجهز الجيوش إليه عهد إليهم إن حدث بابن الأشعث حدث فالأمير الأغلب بن سالم ، فإن حدث به حدث فالأمير المخارق بن غفار ، فإن حدث به حدث فالأمير المحارب بن هلال الدارمي ، فهلك المحارب في الطريق قبل أن يصلوا إلى إفريقية . وولي المخارق من قبل ابن الأشعث طرابلس في مقدمه عليها من مصر ثم استدعاه فولاه طبنة .

منصور بن نصر الجُشمي

[٢١٢] من هوازن من ولد دُرَيْد بن الصِّمّة ، ويُعرف بالطُّنْبُذي من أجل كونه بقرية تُعرف بطُنْبُذَة[1] من إقليم المحمدية بجهة تونس .

كان والياً على طرابُلس ، فلمّا قتل زيادةُ الله بنُ إبراهيم بن الأغلب عَمروَ بنَ معاوية السُّلمي وولديه الحباب وسكتان[2] — وشرب يوماً مع أهل بيته ورؤوسهم بين يديه حتى قال في ذلك عبدُ الرحمن بن أبي مسلمة يمدح زيادةَ الله :

أَرَوْتَ عِمرانَ عَمراً في مُعَصْفَرةٍ ... من الدماء ارتدى من حَوْكها ابناهُ
وظنَّ أنَّ دخولَ الحصنِ مانعُهُ ... من الجيوش إذا ما سُدَّ باباهُ
فاستنزلَتْه العوالي ملقياً بيدٍ ... ووجهُهُ لحبُ النيران يغشاهُ

يعني عمران بن مجالد الرَّبعي . وقد تقدم ذكره — ساء ذلك منصوراً وغمه وامتعض للقَيْسيّة فقال : « يا بني تميم ، لو أن لي بكم قوة . أو آوي إلى ركن شديد ! » وكان مع شجاعته فصيحاً بليغاً ، فكتب صاحبُ الخبر بكلامه إلى زيادة الله ، فعزله واستقدمه وهمَّ به ، ثم صفح عنه . وخرج إلى منازله بتونس ، فجعل يراسل الجند ويذكر لهم ما يلقون من زيادة الله وما

---

١ ذكرها البكري (صفة إفريقية ، ص ٣٨) باسم طنبذ ، وقال إنها تسمى اليوم (القرن الخامس الهجري) المحمدية ، ولا زالت تسمى بهذا الاسم ؛ وهي على بضعة كيلومترات جنوبي تونس العاصمة . وجاء في التعليقات على رحلة التيجاني (ص ٨ هامش ١) : « اعتنى بعمارتها أحمد باشا باي ١٢٥٣ / ١٢٧١ وهي الآن على حالة خراب » .

٢ ورد الاسم في « البيان المغرب » (١ — ٩٨) : سجان ، وفي نسخة أخرى : سجان ، وقد صوبت في هذه النسخة : سمعان . وقد ورد ذكر أبيه هناك (١ — ٩٧) : عمرو بن معاوية القيسي ، وفي أصل مخطوطتنا عمر ، وهو خطأ من الناسخ كما سيرى مما يلي ، فصوبناه .

فعل بعَمرو بن معاوية وولديه ، فبلغ ذلك زيادةَ الله فأخرج محمد بن حمزة المعروفَ بالحَرُون في ثلاثمائة فارس للقبض عليه ، فأقام بتونس وأشخص إليه من مشيختها من يأتي به فخدعهم وبعث إليهم ببقر وغنم وعلف وأحمال نبيذ[1] ثم صبّحهم فقتل من كان مع ابن حمزة ، ولم يسلم إلا من ألقى نفسه في البحر ، وملك تونس ، وقتَل عاملَ زيادة الله عليها إسماعيلَ بنَ سفيان بن سالم بن عقال[2] وولده الأكبر واستبقى الأصغر .

واستفحل أمر منصور وأطاعه الجندُ ، وتغلب على أكثر إفريقية ، وكان خروجه ليلة الاثنين لخمس بقين من صفر سنة تسع ومائتين ، وأقام ظاهراً على زيادة الله في حروبه ، نادباً له إلى الخروج من القَيْروان والتخلي عن البلاد حتى قتله عامر بن نافع ، فلم يسد مسدّه وأقامت الفتنة بإفريقية نحواً من عشر سنين إلى أن فُتحت تونس في آخر ولاية زيادة الله .

---

١ هذا الخبر كله وارد بتفصيل أوفى عند ابن عذاري (١ / ٩٨ – ٩٩) .

٢ عند ابن عذاري (١ / ٩٩) : إسماعيل بن سالم بن سفيان ، واسم ولده محمد .

تشريف الأيام والعصور لمحيي الدين ابن عبد الظاهر

[٤٤ – ٤٥] لمّا عاد مولانا السلطان من غزاة التتار المباركة وجد رسلاً في أبوابه قد حضروا من جهة الأمير مرغم بن صابر أمير طرابلس الغرب وبلادها ، وإليه تجتمع ألوف الألوف من عربانها ، قد حضروا إلى أبواب مولانا السلطان ومعهم هدايا من خيل سوابق ، ومعها كتاب من الأمير مرغم يعرض على مولانا السلطان فتوح بلاد الغرب ، ويسأله إنفاذ سنجق شريف يفتح به البلاد . فأكرم مولانا السلطان رسله وأحسن نُزُلهم ، وسير إليه مولانا السلطان الخلع الفاخرة والأقمشة وتعابي الأمتعة من كلّ ذي قيمة ، وأفهمه مولانا السلطان الاشتغال بجهاد التتار وحثّه على القيام وأن عزائم مولانا السلطان واسمه سيفتح به كل مستغلق . فتوجهت رسله إليه بكتب مولانا السلطان ومشافهاته ، فاتفق هو وثائر ثار بتلك الجهة يُعرف بالفضل بن المخلوع من أولاد أبي زكريا يحيى ابن صاحب تونس ، وجمع إليه الأمير مرغم العربان ، وقصدوا تونس ، وألبسه تشريف مولانا السلطان المسير إلى مرغم ابن صابر ونشر على رأسه سنجق مولانا السلطان المسير إلى مرغم ، وأظهروا اسم مولانا السلطان فافتتحوا تونس وكان بها أبو إسحاق صاحبها . . . فلمّا استقام حال الفضل بن المخلوع في تونس أحسن إلى من نصره ؛ وهم الأمير مرغم والأمير أبو مروان ابن مكي شيخ فاس . وكنى أبا مروان أبا الفتح وكنى الأمير مرغماً بأبي الوفاء وكتب له منشوراً بطرابلس الغرب قرىء تاريخه السابع والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وستمائة . . . إلخ .

[١٥٧] من نسخة الهدنة بين الناصر وملك أراغون البرشلوني : « على أن تكون بلاد مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الأشرف والملوك أولاده . . . وحدّها من البر الغربي من تونس وإقليم إفريقية وبلادها ومواني‍ها ، وطرابلس الغرب وثغورها وبلادها ومواني‍ها إلى ثغر الإسكندرية ورشيد . . . إلخ » .

[١٦٦] (سنة ٦٨٩) : نسخة هدنة مولانا السلطان مع الجنوية : « أقرر وأنا البرت اسبينولا رسول البوذسطا بالرام ذكر كان . . . أنني ألتزم لمولانا السلطان الملك المنصور السيد الأجلّ العالم العادل . . . سلطان القدس والبلاد المقدسة وبلاد الساحل وفتوحات المسلمين وفتوحاته سلطان طرابلس الساحل إلى طرابلس الغرب . . . أنهم (أي الجنوية) يحفظون ويحترمون ويكرمون جميع المسلمين لمولانا السلطان الملك المنصور » .

عنوان الدراية للغبريني

أبو محمد عبد المجيد بن أبي البركات
ابن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي

[٦٤] ومنهم شيخنا الشيخ الفقيه العالم المجتهد المحصل المتقن الصالح المبارك أبو محمد عبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي، وهذا الشيخ تعين ذكره وإن لم يوافق شرط الكتاب لأنّه لم يكن ببجاية، لكني لقيته بحاضرة إفريقية وانتفعت برؤيته وتبركت بمشاهدته، وهو من الفضلاء الذين لا يسوغ الإخلال بذكرهم في المشيخة.

هو أحد المشايخ الجلة بحاضرة إفريقية، رحل إلى المشرق وحج ولقي الأفاضل عز الدين بن عبد السلام وغيره. وقرأ وحصّل ورجع إلى طرابلس واشتغل بها بالإقراء، وظهر أمره واشتهر خبره فوجه إليه من حاضرة تونس واستدعي للسكنى بها من قبل ملك إفريقية، رحمه الله، فوصل مرفّع القدر جليل الخطر. وكان له رُواء وسمت حسن، وكان له علم بالفقه وأصول الفقه وأصول الدين على طريقة الأقدمين، وكان في الفقه على طريقة القرويين ولا يرى بالطريقة المتأخرة في الأصلين، طريقة فخر الدين ومن تبعه. وكان ينكر علم المنطق، وكان يجلس للإقراء فتقرأ عليه الفنون الثلاثة: الفقه وأصوله وأصول الدين.

وله عقيدة في علم الكلام، وكان الطلبة يحفظونها ويقرأونها عليه.

وكان مقدماً للفتيا بحاضرة إفريقية وما زالت فتاويه تصل إلى بجاية، وأمّا العدالة فهي صفته والموضوعة رقى عنها لأنّه واضعها (؟).

وكان ذا ديانة ، وفضيلة وصيانة . وما زال قدره رفيعاً ، وجنابه مكرماً منيعاً . ولي قضاء حاضرة إفريقية وهو ممّن يتجمل القضاء به لأهليته الدينية والعلمية ، ومن ديانته ، رحمه الله ، أنّه كان إذا عُرض عليه الرقيق للشراء وحصل بمنزله وحضر وقت الصلاة يأمر أهل منزله بتعليمه الفاتحة وسورة ويأمره بالصلاة ، فإن تم الشراء بينه وبين البائع استمر الرقيق على حاله وإلا فيعود وقد حصل ما يحصل له الفريضة ، أخبرني بهذا من عرض عليه رقيقه للشراء ولم يتّم البيع بينهما ، فعاد الرقيق لربّه وأخبره بهذه الصورة ، وهذا من العقل المرضي ، وديانته وصيانته وورعه معلوم لا يشك فيه . توفّي بحاضرة إفريقية في عشر الثمانين وستمائة .

أنس الفقير لابن قنفذ

ومن إخوان جدّي للأم ، رحمه الله تعالى ، وأقربهم إليه الشيخ الصالح الحاج المبارك الفقيه السالك أبو هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي والعامة تقول له عبد الهادي واسمه في البادية يشّو . قد يقال إنّه من المغرب . وأخبرني من يُقبل قوله من الشيوخ أنّه من عرب برقة وارتحل إلى المغرب . والشهرة أنّه من العرب وبلسانهم كان يتكلم . وارتحل إلى المشرق . وجاور بمكّة والمدينة مدّة وكان له بها مجاهدة وعبادة . وانتقل إلى بلاد إفريقية بعد أن همّ الإقامة في برقة وفي طرابلس بضم الباء واللام . وتردد هناك وتبعته بإفريقية التلامذة . وظهرت بركته . وكان معظماً عند السلطان وعامة الناس ، وكانت بينه وبين الفقهاء منافرة . وله مجلس معروف مع فقهاء تلمسان وبحثهم هو وزجرهم السلطان عنه . وأراد قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي ، شارح ابن الحاجب ، توبيخه لنزوله بجامع الزيتونة من تونس [ورقصه] بتلامذته في صحن الجامع ، ولغط بما يفعل ، ثم كف لسرّ رآه من أحوال الفقراء . وكان إذا رآه والدي ، رحمه الله ، سأله عن حاله وقرر له محبته فيه وباسطه وسأله عن حال والدتي يقول له : « كيف هي بنت الشيخ ، ما زالت فقيرة ؟ أم رجعت فقيهة ؟ » فيجيبه أنّها على الوجه الذي يريده ، ويضاحكه . وكان يحفظ جملة من مسائل الفقه وبعض غرائبه . وكان يؤوّل ما يسمع من المسائل العلمية إلى معنى التصوف بالوجه المستحسن . وكان كثير الصلاة جداً يتكلّم مع الزائر ، ثم يركع ركعتين ثم يعود إلى الكلام تارة وتارة . وكان كثير الذكر ، وله أوراد مقررة . وكان

لتلامذته أوقات من الذكر جماعة بعد أخرى . وكان ينفرد عنهم في أكثر الأوقات . وكان قليل الأكل . وكان له رأي نافذ في تدبير الدنيا ولذلك كانت القواد تستشيره . وكان أرفع ثيابه برنسة وبستر جسده بما تيسر . وأعطى مرة ثيابه التي عليه لرجل وتستر بما استعار ، حتى غسل له طرف من جلال فرس ولبسه . وكانت له في السفر راحلة تشبه راحلة القواد من قيطون وخباء وآلة طبخ وكلاب صيد . وكان لا يركب إلا جياد الخيل . وتلوثت الألسن فيه في حياته ، واتفقت على فضله بعد مماته . أخبرنا شيخنا الفقيه القاضي الشهير المحدث المرحوم أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس ، وتوفي سنة سبع وثمانين وسبعمائة وسنه يقرب من تسعين سنة ، أنه لم يعتقده إلاّ بعد أن لقي أخياراً بالحرم الشريف تعرف منهم مجاهدته هنالك وعبادته وذلك بعد موته . وقال لي أيضاً : « رأيت مرّة ما أخبرك به . وذلك أن السلطان أبا الحسن المريني أراد أن يبني مدرسة بقسنطينة فتحدث في شراء دار . فقيل له : ما ثم أليق من دار اشتراها أبو هادي . وكان قريب العهد من شرائها ، قال : وكلفني السلطان أن أتحدث معه في أن يوليها له بأي ثمن شاء . قال : فدخلت على المحلة بسبب الكلام فيها . فأنساني الله ذلك واشتغل السلطان ولم يكرر علي في أمرها . ورأيت أن ذلك من بركته . » ولمّا وصل الخبر بنزول السلطان أبي الحسن المريني متوجّهاً إلى بلاد إفريقية خرج الشيخ أبو هادي مسافراً من قسنطينة ، فبات عند جدي للأم رحمه الله ، بزاويته بملارة . فبعد فراغهما من وظيفة صباح تلك الليلة قال الشيخ أبو هادي : « أريد أن تتحرّك معي إلى هذا السلطان ونتعاون في الكلام معه ليرجع عن هذه البلاد » فسكت عنه . فكرر عليه الكلام وقال له في أثنائه : « لعلك خفت . » فقال له : « والله ما خفت ، لكن المانع الأعظم عندي أن يقول لنا : لا ، فلا فائدة في الكلام . » فقال له أبو هادي : « إذا قال لنا : لا ،

تقول له نحن : لا . » ورفع صوته بذلك ثم قال له : « سلمت لك في الجلوس ولا تنسنا بباطنك وأعطني سرجك نركب بها . » فأخذها وانصرف وقدم على السلطان أبي الحسن ودخل عليه فقال له : « ما حاجتك ؟ » فقال له : « حاجتي أن ترجع وتترك البلاد لأهلها . » فقال له : « هذا لا يمكن ، فاطلب غير ذلك . » وتلطف له السلطان حتى رأى أنه لا طلب له إلا هذا فأعرض عنه وانفصل المجلس وكل واحد منهما غير طيب بما وقع . وعرّض السلطان فيه بالقول بعد انصرافه وقال : « هذا أحمق . مثلي يصد وطريقتي كذا ، وشأني كذا ، ولي من القوة كذا . » ورجع الشيخ أبو هادي إلى قسنطينة وصرف أكثر أتباعه [وتحمّل في نفسه] ولازم خلوته ولغط كثير من الناس أنه متوجه إلى الله تعالى في السلطان المذكور . وكان من عاقبة السلطان بإفريقية ما كان من الفساد وذلك بعد موت الشيخ أبي هادي بأشهر . وكان بعض الصالحين يقول : صدقت « لا » من الجانبين .

رفع الإصر لابن حجر العسقلاني

[١ : ١٠١] أبو العباس ابن أبي القوام السعدي من المائة الخامسة ، ولي القضاء بمصر في جمادى الآخرة ، وقيل في شعبان سنة خمس وأربعمائة وهو الصحيح .

[١٠٣] وأضيف إليه في الأحكام مصر وبرقة وصقلية والشام وقضاء الحرمين ما عدا فلسطين .

[١ : ٢٠٧–٢٠٨] ابن حيون الحسين بن علي بن النعمان . . . من المائة الرابعة . . . قرىء عهده بولاية القضاء بالقاهرة ومصر والإسكندرية والشام والحرمين والمغرب وأعمال ذلك .

[١ : ٢٢٦] أبو إسماعيل خير بن نعيم الحضرمي . . . ولي من قبل حنظلة بن صفوان الكلبي أمير مصر عن هشام في ربيع الآخر سنة عشرين ومائة ، وأضاف إليه القصص ، وكان قبل ولاية القضاء بمصر يلي قضاء برقة .

[٢ : ٢٤٣] السائب بن هشام القرشي . . . ولاه مسلمة بن مخلد قضاء مصر مضافاً إلى قضاء المغرب وذلك في خلافة معاوية بعد سليم بن عتر ، وهو أول من جُمعا له .

[٢ : ٣٥٩–٣٦٠] عبد العزيز بن محمد بن النعمان . . . قاضي . . . الإمام الحاكم أمير المؤمنين على القاهرة المصرية ومصر والإسكندرية والحرمين وأخبار الشام والرحبة والبرقة والمغرب وأعمالها . . . إلخ .

[٢ : ٣٦٦] عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد بن سعيد الفارقي إسماعيلي من المائة الخامسة . . . وكان أبوه قاضي طرابلس الغرب وانتقل إلى مصر فنشأ ولده واشتغل ومهر .

الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني

[١ : ١٨٢] أحمد بن عبد السلام بن عثمان بن أبي دبوس [الموحدي] : قد ملك مراكش سنة ٦٦٥ ثم قُتل في أول المحرم سنة ٦٦٨ فتفرق أولاده في العرب ، بعد أن كان أخوهم عبد الواحد ملَكَ ، ولقب المعتصم ، ثم ثاروا عليه بعد خمسة أيام وقدم أخوه عثمان بعد وقعة ، في مدد من ملك الفرنج من برشلونة فنزل على طرابلس سنة ٦٨٨ وساعده العرب ونازل تونس فلم ينل غرضاً ، وبقي ما بين قابس وطرابلس إلى أن مات بجزيرة جربة .

[٢ : ٦٤] ثابت بن محمد بن ثابت الطرابلسي أمير طرابلس الغرب : ولي الإمرة بعـد أبيه ، وكان شابّاً غرّاً فاحتال عليه الفرنج بأن قدم منهم طائفة في عدة مراكب في صورة التجار ، وهم مقاتلة ، فراسلوا من [بها] من الفرنج وأطلعوهم على سرّهم ، وأرسلوا من عندهم ترجماناً شيخاً مجرباً فرأى في البلد غلاء لقلة الخبز عندهم إذ ذاك ، فتمت له الحيلة وأشار على ثابت أن يجمع الأسلحة التي مع جند البلد ويجعلها عنده في القلعة ليطمئن إليه تجار الفرنج وينزلوا من مراكبهم ويبيعوا ما معهم من البضائع ، وذكر له أن الخمس الذي يخصه من البضائع يجتمع منه مال كثير وينتفع الناس ممّا معهم من مأكولات ، ففعل ؛ فلمّا تحقق الفرنج ذلك أنزلوا من مراكبهم بعض البضائع التي معهم ، وكان معهم عدة أعدال من التين ، ففرح أهل البلد بها وتسارعوا إلى شرائها منهم ، فلمّا اطمأنوا إليهم تسوّر الفرنج السور ليلاً وهجموا على البلد دفعة واحدة سحَراً وأهلها غافلون ، فقتلوا منهم كيف شاءوا وحاصروا القلعة . فهرب ثابت ، تدلى بعمامته من القصر ،

ففطن بعض العرب ممّن يعاديه فقتله ، واستولى الفرنج على البلد ، وكان ذلك في سنة ٧٥٦ أو ٧٥٧ ولم تزل [في يد الفرنج] حتّى اشتراها منهم صاحب جربة .

[٢ : ٧٣] جعفر بن عمر أحد أمراء برقة : كان قد خرج عن الطاعة بسبب فرسين بلغ الناصر خبرهما فأرسل طلبهما منه فأنكرهما ، فجهز إليه إيتمش المحمدي في سنة ٧١٩ ، فنازله وهزمه وعفا عن الحريم . فلمّا عاد إيتمش توصل جعفر حتّى قدم القاهرة فاستجار ببكتمر الساقي ، فكلم السلطان فيه فعفا عنه واستحضره فاعتذر واعترف بخطئه وسلم من إيتمش ، فأعطاه السلطان ذهباً وخلعاً وأعاده على إمرته إلى بلاده ، وقرّر عليه شيئاً في كل عام ، فاستمر يحمله إلى أن مات في . . .

[٢ : ٢٠٦] زكريا بن أحمد بن محمد الهنتاتي اللحياني الحفصي : استوزره ابن عمّه المستنصر مدّة ثم ملك سنة ٦٨٠ ثم خُلع . فتوجّه إلى الحج سنة ٧٠٩ ، ثم رجع إلى القاهرة أول سنة ٧١٠ ، فجهّز معه الناصر عسكراً فملك طرابلس وخطب للناصر بهـا ، ثم صبحوا تونس في ثامن جمادى الأولى سنة ٧١١ . . . . ثم خرج من تونس قاصداً فاس فأقام بها ثم توجّه من فاس إلى طرابلس ثم حمل أهله وأمواله في البحر إلى الإسكندرية ، ثم استأذن الناصر ودخل القاهرة سنة ٧٢١ .

[٣٣] أحمد بن محمد المكني الطرابلسي الفقيه العلامة . قال العياشي في رحلته : ولد بطرابلس ونشأ بها ، وحضر مجالس العلم والعرفان ، وصحب المشايخ ومشاهير الفضلاء من أهل زمانه ، وجمع علم الشريعة والحقيقة ومهر في الفقه وتولى الإفتاء بالثغر ، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ، وجرت منه دعوات مجابة وظهرت له كرامات ، ومن مؤلفاته كتاب شكر المنّة في نصر السنّة ، توفّي تقريباً سنة ست وخمسين وألف . قلت : وقد وقفت على كتابه المذكور وهو نفيس حافل ، ردّ به على الإباضية الخوارج ، رحمه الله .

[٤١] أحمد بن محمد بن جابر النايلي نسباً ، الطرابلسي منشأ وداراً ، العارف بالله ، مربى المريدين وقرة عيون العارفين ، أبو العباس . قال العلامة الشيخ عبد الله الهاروشي الفاسي في كنوز الأسرار : كان ، رضي الله عنه ، عالماً عاملاً زاهداً ورعاً متقشفاً حليماً متواضعاً هيّناً ليّناً سخيّاً جواداً عطوفاً جماليّاً لا يكاد يصبر عليه جميع من يعرفه . قال لي مرة : يا ولدي أنا ما عاشرت إنساناً مطيعاً أو مسيئاً وسرني مفارقته . كان ، رضي الله عنه ، كثير البذل والعطاء ، وكان يطعم الطعام الكثير ، وكان يتمثل بقول القائل :

ذروني فإنّ البخل عارٌ بأهله وما ضرّ مثلي أنْ يقالَ عديمُ

[٤٢] كان ، رضي الله عنه ، يمدّ أصحابه بخالص التوحيد وصرف المعرفة في الأمور الاعتيادية ، وإذا حاول بعض أصحابه أمراً وتعاصى عليه يقول له : قلْ باسم الله . وكان إذا تكلم على الأوراد يقول : ورد

المحققين إسقاط الهوى ومحبة المولى . وكان ذا شيبة عظيمة عليها من النور والبهاء ما لا مزيد عليه . وكان حسن السمت وعليه آثار الخير لائحة . وكان يقول : طريقنا طريق التربية بالهمة وهي طريق السلف الصالح . وكان ساكن الأحوال والأفعال والأقوال . وكفَّ بصره في آخر عمره ، وأخذ ، رضي الله عنه ، عن عدة مشايخ منهم الشيخ سيدي عبد الحفيظ ابن الشيخ محمد الصيد ، والشيخ محمد بن جابر والده ، والشيخ العالم العامل الفقيه سيدي محمد المكني ، والشيخ الصالح العالم العامل الفقيه المحدث المتقن سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المغربي ، وقرأت عليه كتباً غزاراً من كتب الطريقة والتصوف ودعا لي بدعوات ، ولقد كانت تشكل عليّ المسألة فأسأله ، فعندما يحرك شفتيه يلقي الله علمها في قلبي ، وأخذ عنه سيدي محمد بن دومة وسيدي عبد الطاهر التايلي ، وكان في سنة ست وعشرين ومائة وألف موجوداً ، رحمه الله .

[١٠١] أبو القاسم بن جمال الدين محمد بن خلف ، المسراتي الأصل ، القيرواني الشيخ الجليل العلم الأصيل . قال الحموي في فوائد الارتحال : نشأ بالقيروان على طريقة سلفه فحفظ القرآن وجوّده وصرف عنان العناية لطلب العلم ، فأخذ عن والده ومشايخ بلده وعن الحافظ الرحلة أبي العباس أحمد المقري التلمساني وأجاز له جميع مؤلفاته ومروياته ، وأجاز له الأجهوري نور الدين ، والشيخ الدشطوطي البكري وغيرهم ، ووصل وحصل وبرع في ما أمّ له وأمل ، وشارك في فنون من معقول ومسموع ، ونظم في قلائد تحصيله فرائد أفراد منها وجموع إلى صلاح مكين وعفاف رصين ونزاهة ضافية الجلباب وسلوك في عمله إلى جادة الصواب ، يخطب ويعظ وينبه من سنة الغفلة ويوقظ ويفتي ويدرس ، ويبني ملخص بيانه على قواعد التحرير ، ويؤسس مع لين الجانب وأداء ما لإخوانه في الله من نفل وواجب ،

وتواضع في الله زاده الله رفعة ومجداً . وحج غير مرة ثم حج سنة خمس وستين وألف ، ولمّا رجع إلى مصر وافاه الحِمام المحتوم في صفر من السنة المذكورة ، وأخــذ عنه العلامة الشيخ عيسى الجعفري المكي وذكره في « مقاليد الأسانيد » ، رحمه الله تعالى .

[١٨٣] عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن غلبون الفقيه الصالح ، قال في التذكار : نشأ بمصراتة ، وأخذ عن سيدي محمد بن مساهل وسيدي أحمد المكني ، وارتحل لمصر وأخذ عن العارف بالله سيدي محمد الخرشي ، وعن الشيخ العالم عبد الباقي الزرقاني وجماعة . كان كريماً فاضلاً حليماً يتقي ما يشين عرضه . توفّي في صفر سنة خمس عشرة ومائة وألف .

[١٨٧] عبد الله أبو غريس التاجوري . قال الأستاذ الأعظم عمنا في الرحلة الظافرية : هو ممّن صحب والدنا وأخذ الطريقة عليه وسلك على يديه . وكان عالماً فقيهاً ورعاً نبيهاً كثير الصمت نحيف الجسم حسن السمت ، اشتهر في هذه البلدة بالاستقامة وأعرض عن كل ما فيه الملامة ، وكان في غالب وقته منقطعاً في بيته لا يخرج إلا للجامع الكبير ، يصلي فرضه ويعطي درساً في الفقه وغيره لمن يأتيه من الطلبة ، ويلحهم على ملازمة التقوى والإخلاص لله تعالى في السر والنجوى ، إلى غير ذلك من الأوصاف الحميدة والأعمال المفيدة . وكراماته كثيرة ظاهرة شهيرة في هذه البلدة وغيرها من البلاد ، كما يعلم ذلك كثير من أهل ذلك السواد . ولمّا قربت وفاته ، رضي الله عنه ، قالوا له : هل عندك ما توصي به ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله العظيم . وكانت في بيته هرة ، فقال : أوصيكم بها خيراً ، واتقوا الله فيها فإنّها ضعيفة ، توفّي في حدود الثمانين ومائتين وألف .

[٢١٤] عبد القادر بن عبد السلام بن عبد الوهاب الشاذلي اليزليتني ، نزيل الإسكندرية ، الشيخ الجليل العارف الواصل الكامل المتبع الخير الأرضي ،

إمام الحقيقة . ولد ، رحمه الله ، في يزليتن التابعة لولاية طرابلس الغرب في حدود سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف ، ونشأ في حجر والده الذي رباه تربية حسنة ، وحفظ القرآن العظيم على سيدي علي بن محسن ، وتفقه على العالم الفقيه سيدي سالم بن محسن ولازمه ، وقرأ على غيره ، وكان تلقيه العلم بزاوية سيدي عبد السلام الأسمر . وأخذ الطريقة الشاذلية على الأستاذ الأكبر القطب جدنا العارف سيدي محمد حسن بن حمزة ظافر المدني ، ولازمه أعواماً وخدمه وانتفع بصحبته . وكان أستاذه يحبّه محبّة قوية زائدة وينوه بشأنه ، وأجازه وأذنه بالإرشاد وتلقين المريدين .

ولما مات أستاذه سافر إلى الإسكندرية وتوطنها وحصل له بها الإقبال الكبير والظهور العظيم ، وأرشد فيها خلقاً كثيراً ونشر الطريقة وعلوم الحقيقة ، وهذب تلامذته وسلك بهم خير مسلك . وكان ، رحمه الله ، عالماً عاملاً عارفاً واصلاً كاملاً تقيّاً نقيّاً مهذباً ناصحاً مربياً ، ذا أخلاق حسنة وأوصاف مستحسنة : وعنده كرم زائد واتباع للسنّة النبوية وحسن اقتداء ومكارم أخلاق . وظهرت له كرامات عديدة . وبعد توطنه بالإسكندرية لازم العلامة الكامل الشيخ مصطفى الكبابطي الجزائري شيخ المالكية بالثغر ، وحضر عليه كتباً عديدة ، وأجازه بقراءة صحيح البخاري ، فواظب على تلاوته في الأشهر الثلاثة من أول رجب إلى ليلة سبع وعشرين من رمضان . وكان ، رحمه الله ، كثير الشفاعات عند الحكام والسعي في قضاء حوائج الناس ، وتكبد المشاق في ذلك ، كثير الزيارة لإخوانه يسأل عن الغائب ويعود المريض ويواسي الفقراء ، ولا يبخل بجاهه وماله أبداً . كثير النصح والوعظ والتذكير ، معمور الأوقات بالعبادة والذكر والتلاوة والصلاة ، حسن الأخلاق جم الفضائل جامعاً مكارم الأخلاق كثير الصبر على أذى الحاسدين ومطاعنهم طاوياً كشحاً عنهم غير مبال بهم ، كثير التوكل والتفويض والاعتماد على

مولاه في الشدة والرخاء ، كثير المراقبة والزهد والمجاهدة ، وحج ، رضي الله عنه ، مراراً .

وقد تخرج على يده ، رضي الله عنه ، في الطريقة كثير من العلماء ، وأذعنوا له وسلموا وامتدحوه بالقصائد العديدة ، كالعلامة الشيخ إبراهيم الشافعي ، وله فيه مدائح حافلة ، والعلامة الشيخ سيد الورداني شيخ المالكية ، والعلامة الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي من علماء الأزهر ، والعلامة الشيخ حمزة فتح الله ، والعلامة الشيخ أحمد القبجي ، والمحقق الشيخ عبد الرحمن الأبياري قاضي الثغر ، والعلامة السيد محمد المغازي الكبير ، والعلامة الشيخ أحمد أبو الفضل الشافعي ، والفقيه الشيخ عبد الكريم الستاري ، والمحدث الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي المغربي ، والعلامة السيد عبد الهادي نجا الأبياري ، والشيخ رضوان نجا الحنفي الأبياري ، وغيرهم . توفّي يوم الخميس الحادي والعشرين من شعبان عام سبعة وتسعين ومائتين وألف ، ودفن بجوار منزله بالإسكندرية . ورثاه غير واحد من الفضلاء . منها مرثية للعلامة الأديب السيد حمزة فتح الله ، مطلعها :

إليكَ فهذا الخطبُ يستجب النوحا ... وإن كانت الأجفانُ من وقعه قرحى
فيا لك من لاحٍ عليـه مؤنب ... تغاليتَ في الإغرا فأغريت من تلحى
حنانيك إمّا عاذرٌ أنت فاتئدْ ... وإما عذولٌ عَذْلُهُ لم ينلْ نُجْحا
ودون رقوء الدمع ما قد علمته ... تسعّر أحشاء وقرح تلا قرحا
على غوث أهل الله قطبهم الذي ... تدور عليه من عُلومهم الأرحا

[٢٤٨] عبد الرحيم بن أحمد الزموري البرقي ، العلامة الفاضل ، الألمعي الذكي ، الشاعر الناثر ، شهر بالمغبوب . أخذ عن خاتمة العلماء المحدث محمد بن علي السنوسي الشهير ، وعن غيره . وبرع ونجب ونظم الشعر الحسن .

أخذ عنه شيخنا العلامة الشيخ فالح الظاهري الحجازي وذكره في كتابه «حسن الوفا لإخوان الصفا» ، فقال ما نصّه : وممّن لازمته برهة العلامة الشيخ أبو الحلم عبد الرحيم بن أحمد الزموري البرقي ، قرأت عليه «أنبوب البلاغة في البيان» للامامي بشرحه للمؤلف ، و «منظومة النقاية» للعلامة أحمد بن عبد الحق السنباطي بشرحها للمؤلف فتح الحي القيوم بشرح روضة الفهوم .

يروي عن شيخنا شيخ الإسلام والمسلمين وارث علوم سيد الأولين والآخرين الفقيه الحافظ العالم المحدث الجامع الولي المقرب أبي عبد الله محمد بن علي ابن السنوسي الخطابي الحسني ، ويروي أيضاً عن العلامة علي بن عبد الحق القوصي عن الشيخ عثمان الأستوي والأمير وتلك الطبقة ، ويروي أيضاً عن العلامة عبد الله سراج المكي ، وبأبي الحلم المذكور تخرجت في قرض الشعر . وكان من البلغاء المفلقين كابن عبد الحق المذكور ، انتهى .

قلت : رأيت في كتاب «الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج» منظومة طويلة للمترجم رثى بها شيخه الأستاذ العلامة شيخ مشايخنا السيد محمد بن علي السنوسي ، وقد رأيت أن أثبت أغلبها ، ومطلعها :

ما بال عينك لا بالنوم تكتحلُ ... ودمعُها لا يزالُ اليومَ ينهملُ
كأنّما سُملت بالشوكِ أو كحلتْ ... من الغضا بشواظٍ كادَ يشتعلُ
تخالها مزنةً مذ لاحَ بارقُها ... فأخضلَ الأرضَ منها صيّبٌ هطِلُ
والوجه أسفع والأعضاء ناحلة ... والقلب في شَرَكِ الأحزانِ مختبلُ
والجنب إن تَدْعُهُ حالٌ لمضطجع ... كأن الوطاء له السعدان والأسلُ
تنْ في لجج الأحلاك من نكد ... منه ترى راحةً أن يحضر الأجلُ
أمن تذكّرِ أوزار أسفت لها ... أو زار بالطيف من تهوى ولم يصلوا
أم ذا لفقدِ حبيبٍ كنتَ تألفه ... وازورّ دهرك أو قد خانك الأملُ

يا لهف نفسي على من كان مسكنهم ... قلبي وهم إذ مضوا سفر بهم مهلُ
كانوا الغياث للهوف ومنتجعاً ... للمجدبين إذا ما كفلهم محلُ
شدّوا الرحال ولم يستأذنوا أحداً ... وظل شوقاً لهم يبكيهمُ الطللُ
تبكيهم السنّةُ الغراء من عُصُر ... ما إنْ يمثلهمُ قدْ مسّها ثكلُ
يبكيهمُ ما حوى كشف الظنون وما ... يروي الجوامعُ ما قدْ ساره المثلُ
مع ما روى حجّة الإسلام من حِكم ... وأغلق الشيخ من رمزٍ لهُ قفلُ
من للصحاح وشمسِ العلمِ بعدهُمُ ... أو للسانِ وللقاموس يحتفلُ
من للجلالين والكشّاف ينقده ... والبحر والنهر والأنوار ينتخلُ
من للشفاءات والمنهاج يوضحها ... أو للفتوحات والأسرار ينتقلُ
من للعلوم على أقصى تنوّعها ... أو للحلوم إذا اشتفت بها العللُ
من للمكارم والآثار يأثرها ... عند الجدود الأولى سارت بهم مثلُ
قد كان مقتبس الأنوار يقصده ... مِن لابتيها فتى فضل ومكتهلُ
ما شام برقاً بهِ صادٍ لمكرمة ... إلا انثنى وعلى أنهاله عَلَلُ
فلتبكِ أمُّ القرى جهراً وتندبهم ... تلك المشاعر بل لله تبتهلُ
لما عرا الدين من نقص ومن ظلم ... عند الكسوف بدت ما إن بها قبلُ
كسوف شمس الهدى في العصر واحدة ... مجدد الدين وهو العارفُ البطلُ
محمّد بن عليّ مَنْ بطلعتهِ ... زهت سعود بها لم يبده رجلُ
ما للبلابل بالأكدار سامدة ... خرساً وقد كان أياماً لها زجلُ
ما للربوع لقد ضلّت مرابعُها ... تيهاء مظلمة أعيت بها السبلُ
وادي الجغابيب قد تاهت رباكَ على ... خضر الرياض وكم قد حفّها جذلُ
وعطرت بشذاها الجوَّ باسقة ... أزهارها وجناها العلم والعملُ
بدلت من بعد ذاك الأنس موحشة ... طوعَ النّسيم حكاها الشاربُ الثملُ
فته فخاراً ولا تخشَ الملامَ فقدْ ... واغبرَّ من حافتيك السهلُ والجبلُ

وأشرقَتْ بسَنا الأنوار مائدة تخطى المنازلُ طوراً بالأولى نزلوا
وجدّت العيس والنجب الجياد خدت إليكَ شاحبةً ما شابها قللُ
بِسا للوفود وللزوار كم بلغوا منك المُنى بعدما حلّوا وقد رحلوا

ومنهـا :

واسلُ الهمومَ ولا تجزع لطارقةٍ للدهرِ إذ هكذا أيامُنا دولُ
فما الركون لدهرٍ صفوه كدرٌ والوصل هجرٌ وإن آلى لـهُ دخلُ
فجعت يا بينُ أليابآ مرزّأةٌ وقد صدعت الرواسي فهي تنخزلُ
ما الرزءُ إلا بمَن من رزئه نضبت قرائح وعراها النقصُ والخللُ
وأظلم البدر إشعاراً بأنّ لـهُ منهُ اقتباساً ومن فقدانه وجلُ
وأمست الشهب من جلّى الذي علمت من بينه وعلى أذنابها شعلُ
شاب العذار من الإسلام وانفصمت عرى السنام وشبَّ الجور والخطلُ
لولا ائتساء بأسلاف على ثقة هم الأساة لنا ما الجرح يندملُ
لا ريب ما العمر إلا فسحة وإذا يدعو المنون وجا الفيضان والوهلُ
فالصبر أولى وعهد الله محتسبٌ إنّ المصائب إن تعظم لها بدلُ
لا غرو إن ينتقلْ فالسرُّ خلّده والنجل باقٍ و (مهديّ) له يصلُ
لا زال كالنجل محفوظاً وطلعته للدين حصن منيع نحوه يئلُ
ولا عدا وابلُ الرضوانِ منسجماً يسقي رياضاً بها الآمال تتصلُ
توارت الشمس عن عين الحسود بها أو ذاك رفق ببدرٍ ما له خجلُ
وذاك عام (شروع) الخطب قلت إذاً ما بال عينك لا بالنوم تكتحلُ

توفّي رحمه الله تعالى سنة خمس وثلاثمائة وألف في مدينة بني غازي ودفن بجبانة سيدي خريبش ، وقد زرت قبره .

[٢٥٢] عمران بن بركة اليزليتني الطرابلسي ، العلامة الأعز البركة ، أحد

خواص تلامذة شيخ مشايخنا العلامة السيد محمد بن علي السنوسي . ذكره شيخنا العلامة الشيخ فالح في حسن الوفا بما نصّه : وممّن لازمته مدة طويلة شيخنا الأستاذ العلامة المسن السيد أبو موسى عمران الياصلي الشريف الحسني ، قرأت عليه خليل بشرح العارف الدردير مرتين ، وابن عقيل على الألفية ، ونقاية العلوم وشرحها كلاهما للجلال السيوطي ، ومختصر السنوسي في المنطق ، بشرحه ، وحاشية المحقق اليوسي عليه ، وهو يروي عن الأستاذ أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الطبولي المعمر بروايته عن العلامة ابن مكرم الله العدوي المصري الشهير ، وتلامذته العارف الدردير والمرتضى والأمير ومحمد بن عرفة الدسوقي ، وعن الأستاذ الحفني وعن أبي حفص الحساني الطرابلسي المعروف بالسوداني ؛ انتهى .

وقال العلامة سيدي أحمد الشريف السنوسي في كتاب «الدر الفريد الوهاج بالرحلة المُنيرة من الجغبوب إلى التاج» ما نصه : وكان اجتماع جدي سيدي عمران بالأستاذ السنوسي حين مروره عليهم قادماً من المغرب إلى المشرق سنة ١٢٣٨ . قال له ، رضي الله عنه ، امكثْ في بلدك إلى أن نرسل إليك . وبلده يزليتن . فأرسل له . فلمّا أتاه الإذن بالقدوم على الأستاذ ، وهو إذ ذاك يقرأ في بني غازي ، ركب من ساعته قاصداً الأستاذ وذلك سنة ١٢٥٣ . وقال له بعض أحبابه : ارجع إلى أبيك وأخبره ، فما اجتمع بوالديه بعدُ إلى أن لقي الله . وقد قال الأستاذ في حقّه : أخونا عمران تحبّه أهل بلده وله أشعار كثيرة وقصائد عديدة يمدح بها السيدين الجليلين سيدي محمد السنوسي وولده سيدي محمد المهدي مذكورة في «الدر الفريد الوهاج» ، وحضر عليه جمع ونجب على يده في العلم كثير ، منهم الأستاذ سيدي محمد الشريف السنوسي وسيدي محمد المهدي والعلامة سيدي محمد أبو سيف ابن مقرب وغيرهم . وتوفّي ، رحمه الله ، يوم الأحد بعد طلوع الشمس الموافق

ثلاثة عشر يوماً خلت من رجب سنة إحدى عشرة بعد الثلاثمائة وألف ، ودفن في حرم الروضة الشريفة بجغبوب ، وعمره إذ ذاك ، والله أعلم ، تسعون سنة أو أزيد قليلاً . ورثاه العالم العلامة البحر الفهامة سيدي أبو سيف ابن مقرب بقوله :

سما نعشه فوقَ الرقاب يسير ... فشقّ قلوب عند ذاكَ يسير
لقَد سرت يا مولاي للقبر نيراً ... ولا عجبٌ فالنيراتُ تسير
وإنْ جدَّ دهري في انتهابك واعتدى ... فما زال قِدماً يعتدي ويجور
لَهُ كلفٌ بالأكرمين فكأسه ... تدرّ عليهم عاجلاً وتدور
قضيتَ حميداً فانقضى العلم والتُّقى ... وآض جناحُ الدين وهو كسير
لتبكِ عليك اليوم دارٌ عمرتَها ... بأوتار أذكار لهن صرير
لتبكِ مغانٍ من مَعانيه قد خلت ... لتبكِ خيامٌ قوّضت وقصور
لتبكِ فنونٌ كنت قاموسَ درّها ... لتبكِ طروسٌ عُطّلت وسطور
أيا سيداً قد طابَ عَرف ثنائه ... حنانيك إنّي للبيان فقير
وهيّج أحزاني تذكُّرُ مجلسٍ ... إليهِ رواحٌ دائمٌ وبكور
ودرس تخال الدرَّ فيه منظّماً ... ويبدي عويص النّظم وهو نثير
إذا ما ابتداهُ جلّلته مَهابة ... وموردُه للطالبين نمير
وخاض بحوراً من علوم إمامه ... قصارى الذي قد رامهن قصور
إمامٌ لَهُ مجدٌ وفخرٌ وسؤددٌ ... وعلمٌ تليدٌ : والحديثُ كثير
أحاطت معاليه بكل فضيلةٍ ... معالٍ ترد الطرف وهو حسير
فيا عَجباً شمس المعارف ضمّها ... ترابٌ ومن بعد التّراب صخور
فقدْ كانَ لي ظلاً ظليلاً وملجأ ... وشيخاً لَهُ في المُشكلات سفور

كتب المعارف العامّة

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري
صبح الأعشى للقلقشندي
مآثر الإنافة للقلقشندي
فهرس الفهارس والأثبات للكتاني
الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار
هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي

[٢ : ١٣٧] ويقال لقابس دمشق الصغرى ، ويبالغ طائفة منهم فيقول دمشق الكبرى ، ثم تليها أطرابلس وهي نهاية قواعد مدن إفريقية ، ثم استقام البحر مشرقاً ثم خرج له جون كبير آخذ إلى الجون ، وأول ما عليه ممّا يلي الغرب جزيرة العافية ثم قصر أحمد ثم الملفة ثم الحلوف ثم حسان ثم الزلاج وهو نهاية الجنوب ، وعلى رأس هذا الجون في ضفته الجنوبية سرت ، وهي سبعة قصور كبار ، ثم اليهودية ، ثم السدة وعين الكبريت عليها تقابلها جنوباً نصباً وبينهما تقدير نصف نهار ، ثم صبيح ، وهو مرسى لا احتفال به ، ثم شمارس ، ثم جزيرة الطير ، ثم كريكرة ، ثم كركرة ، ثم ملال ، وهو يُعرف بمرسى ابن غازي، ثم ناجونس . وكل هذه مواضع لا مدن ، وإنّما هي منازل عرب ، ثم يليها رسو ، وهو قصر لحزين العرب ، ثم طلمية ، قصر حزين واليها . انتهى الجون ، ثم أخذ شرقاً محضاً ، وأول ما عليه ممّا يلي الجون رأس عبدون ، ثم لعنت ، ثم جون دمرته ، ثم أورىان ، ثم سوسة ، وهي أرض بها قصر جليل مشهور ، ثم الهلاك ، ثم كرسته ، وهي مرسى فيها قصر جليل ، ثم درنة ، ثم شفة الفلفل ، ثم القوارة ، وهي مرسى في وسطه ماء معين نابع ، ثم مرسى التين ، وهو رأس جون ، ثم القرشي ، وهو مرسى مليح مأمون ليس في بر المسلمين مرسى مثله للمشتى لأنّه لا يُكشف بريح من الرياح ، ثم لسه في المرصص ، ثم طبرق فيها قصر جليل ، ثم خربة الشيخ . ثم رأس الملاحة ، وهو مرسى جيّد ، ثم مرسى عمارة ، ثم السلم ، ثم رمادة ، وهو دراع الزيتون وهو على جون خطر قليل أن

يرمى فيه مركب فيسلم ، ثم الطرفاوي ، ثم السابله وسها ، ثم جزائر الحمام . . . إلخ .

[٤ : ٢٨] وإفريقية اسم الإقليم . . . وطولها من تدلس إلى حدود برقة ، وطرابلس أول مدنها ممّا يلي برقة ، وتدلس آخر مدنها ممّا يلي الغرب الأوسط .

[٤ : ٩٩] بنو سليم وهم أكثر قبائل قيس ، قال : ومساكنهم ببرقة ممّا يلي الغرب وممّا يلي مصر ، وفيهم الأبطال الأنجاد والخيل الجياد ، والإمرة فيهم في أولاد عزاز بن مقدم ومنهم مزيد بن عزاز ، وكان رجلاً جليل القدر جميل الذكر معظماً في الدول ، وبنوه زايد وحميد وزيان وكلّهم كرام سراة أماجد ؛ وعطاء الله بن عمر بن عزاز ، وكان للقرى والقراع مطاعاً في قومه ، وهو أبو خالد ، وهم أهل بيت منهم عدد جم من ذوي القدر ، وبنوه معز وعمر . ومن المشاهير منهم علوي بن إبراهيم بن عزاز وسلطان بن زيدان بن عزاز وعمر بن مشعل بن عزاز ، ومن أكابر جماعتهم جماعة ابن مليح المنصوري أصحاب غازي بن نجم وعليان بن عريف وسوش ، وكان قد هرب من الملك الظاهر بيبرس فأنهد جيشاً وراءه فقاتله ثم نصر الجيش عليه وأمسك واعتقل ثم أفرج عنه ، وهو والد زيد بن بنيوش ، وجماعة سعيد بن الغريب بن الأحمر تُقاومه ومن ذوي مخالفيهم جماعة محمد الهواري . . . إلخ .

. . . ثم لبيد وهم جماعة سلام ، فزارة ، مأرب ، قطاب الزعاقبة ، بشر الجواشنة ، النفاحه ، القنائص ، أولاد سلمان القضاض العلاونة ، ومنازلهم من العقبة الكبيرة إلى سوسة .

ثم جماعة جعفر بن عمر وهم : قبيل المثانية الياسه عرعرة العظمة العكمة المزاييل المعزة ، ومن جملة هؤلاء المعزة الجعافرة جماعة جعفر

ابن عمر ، ومنهم البداري أيضاً ، وكذلك منهم السهاونة ، والجلدة منهم أيضاً ، وكذلك منهم أولاد أحمد أيضاً ، ومنازلهم من سوسة إلى بئر السدرة وهي آخر حدود الديار المصرية ومسافتها عن الإسكندرية نحو شهر بسير القوافل ، ثم منها طيموم العلاونة – وهم غير أولئك – المهاملة بنو بدر ناصرة واشها ، وهم إلى قصر ابن أحمد في طرف مسراتهم من الساحل ومن القبلة أرض فزان وودان ، وحكمها لأرض البرنو السودان . ومسافة ما بين بئر السدرة وبين مسراتة عشرة أيام . ومنهم من أرض مسراتة بلاد طرابلس آل سليمان جماعة غانم بن زايد ، ولهم الأرض من مسراتة إلى باب مدينة طرابلس ثم من طرابلس إلى قابس دباب ، وهي تجمع المحاميد والجواري جماعة عبد الله بن صابر وملغم بن صابر ، وليسا بأخوين ، بل هم بنو عم من القبيلة .

قال الشريف أبو عمرو عبد العزيز الحسني الإدريسي وهو من أهل أغرناطة ، وله تعلّق بخدمة السلطان أبي الحسن المريني ، قال : دباب مشيختهم لعبد الله بن رفيقة وأخيه إبراهيم وأصلهم من سليم وأرضهم من طرابلس إلى قابس ، ويجاورهم في هذه الأرض الجواري والمحاميد وشيخ الجواري عبد الله بن سعيد وشيخ المحاميد عطية بن سعيد .

[٥ : ٢٦] وتجاور الديار المصرية برقة ، وهي سلطنة طويلة قد استولت عليها العرب ، وكان سريرها في القديم مدينة طبرق .

صبح الأعشى للقلقشندي

[١ : ٣٤٦] بنو سليم : وبإفريقية منهم حيّ عظيم . . . قال الحمداني : ومساكنهم برقة ممّا يلي المغرب وممّا يلي مصر ؛ قال : وفيهم الأبطال الأنجاد والخيل الجياد . قال في العبر : وقد استولوا على برقة ، وهي إقليم طويل واسع الأطراف ، وخربوا مدنه ولم يتركوا بها ولاية ولا إمرة إلا لمشايخهم . قال في مسالك الأبصار : والإمرة الآن فيهم في بني عزاز ، وهي الآن في زماننا لبني عريف .

ومن سليم هؤلاء لبيد ببرقة ، وهم بطون كثيرة العدد .

[٣ : ٢٥١] وفي أيامه [عمر بن الخطاب] فتحت مصر والإسكندرية وأنطابلس — وهي برقة — وطرابلس الغرب ، على يد عمرو بن العاص .

[٣ : ٣١٤] وحاز فارق [بن بيصر] ما بين برقة إلى إفريقية ، فكان ولده الأفارقة ، وبذلك سميت إفريقية ، وذلك مسيرة شهر .

[٣ : ٣٩١] برقة — بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وهاء في الآخر — ، قال في تقويم البلدان : وهي من الإقليم الثالث ؛ قال في كتاب الأطوال : وطولها اثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ؛ وهي أرض متسعة الأرجاء مديدة الفضاء ، وهي من أزكى الأراضي دواب وأمراها مرعى .

قال في مسالك الأبصار : أخبرني بعض من رآها أنّها شبيهة بأطراف الشام وجبال نابلس في منابت أشجارها وكيفية أرضها وما هي عليه ، وأنّها لو عمرت بالسكان وتأهلت بالزراع كانت إقليماً كبيراً يقارب نصف الشام .

قال : وبها الماشية والسائمة الكثيرة من الإبل والغنم والخيل ، وخيلها من أقوى الخيل وأصلبها حوافر ، وصورها بين العراب والبراذين ، وقد جمعت بين حسن العراب وكمال تخاطيطها وصلابة البراذين وثباتها على الوعور ، وهي إلى محاسن العراب أقرب ولكنّها لا تبلغ شأو خيل البحرين والحجاز ، وفحولها أنجب من إناثها . قال : وكذلك بها المدن المبنية والقصور العلية والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة .

قال ابن سعيد : وهي سلطنة طويلة وإن لم يكن لها استقلال ، لاستيلاء العرب عليها ، وهي إلى إفريقية أقرب منها إلى مصر . قال : وكان سريرها القديم بمدينة طبرقة .

وذكر صاحب الروض المعطار أن قاعدتها كانت مدينة أنطابلس ، وقد تقدم من كلام القضاعي في تحديد الديار المصرية في آخر الحد الشمالي ما يوافقه .

قال في مسالك الأبصار : ومن مدنها طلميثا ، قلت : والتحقيق أن برقة قسمان : قسم محسوب من الديار المصرية وهو ما دون العقبة الكبرى إلى الشرق ، وقسم محسوب من إفريقية وهو ما فوق العقبة المذكورة إلى الغرب . وهذه المدن الثلاث ممّا يلي جهة المغرب . والقسمان كلاهما اليوم بيد العرب أصحاب الماشية .

قال في مسالك الأبصار : وربما زرع بعضهم في بعض أرضها فأنجب ولكنّهم أهل بادية لا عناية لهم بعمارة ولا زرع . قال : وأمرها إلى صاحب مصر يقطعها بالمناشير تارة لبعض الأمراء وتارة للعرب يأخذون عدادها ، وكأنّه يريد القسم الذي هو من مصر .

[٤ : ٧١] برقة : قال في التعريف : ولم يبق من أمراء العرب ببرقة – يعني في زمانه – إلا جعفر بن عمر ، وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ومخاشنة وليان ، والجيوش في كل وقت تمد إليه وقلّ أن تظفر منه بطائل

أو رجعت منه بمغنم ، وإن أصابته نوبة من الدهر . قال : وآخر أمره أن ركب طريق الواح حتى خرج من الفيوم وطرق باب السلطان لائذاً بالعفو ، ووصل ولم يسبق به خبر ولم يعلم السلطان به حتى استأذن المستأذن له عليه ، وهو في جملة الوقوف بالباب ، فأكرم أتم الكرامة وشرف بأجل التشاريف ، وأقام مدة في قرى الإحسان وإحسان القرى ؛ وأهله لا يعلمون ما جرى ولا يعلمون أين يمم ولا أي جهة نحا ، حتى أتتهم وافدات البشائر وجاءت منه . فقال له السلطان : لم لا أعلمت أهلك بقصدك إلينا ؟ قال : خفت أن يقولوا يفتك بك السلطان فأتثبط . فاستحسن قوله وأفاض عليه طوله ثم أعيد إلى أهله فانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء ولا رثى له صاحب ولا شمت به عدو .

قلت : والإمرة اليوم في برقة في عمر بن طريف وهو رجل دين ، وكان أبوه عريف ذا دين متين ، رأيته في الإسكندرية بعد الثمانين وسبعمائة واجتمعت به فوجدت آثار الخير ظاهرة عليه .

[٥ : ١٠٤] ومنها [أي المملكة التونسية] أطرابلس – بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين وألف وباء موحدة بعدها لام مضمومتان وسين مهملة في الآخر – وهي مدينة شرقي تونس على البحر ، واقعة في الإقليم الثالث ، قال ابن سعيد : حيث الطول ثمان وثلاثون درجة والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في تقويم البلدان : وهي آخر المدن التي في شرق القيروان ، وإذا فارقها المسافر مشرقاً لا يجد مدينة فيها حمام حتى يصل الإسكندرية . وبناؤها بالصخر وهي واسعة الكورة وبها الخصب الكثير وليس بها ماء جار بل جباب عليها سواق . قال في العزيزي : وبها مرسى للمراكب .

[١٠٥] ومنها قصر أحمد – وضبطه معروف – وموقعه في أول

الإقليم الرابع ، حيث الطول إحدى وأربعون درجة واثنتان وعشرون دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة وسبع وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهو حد إفريقية من الشرق وحدّ برقة من الغرب . وهو قرية صغيرة وحوله قصور نحو اثني عشر ميلاً ، وهي بلاد زيتون ونخيل وأهلها يجلبون الخيل للإسكندرية ومنها يركب المسافر البرية إلى الشرق .

[٥ : ١٠٨] ومنها غذامس – بفتح الغين والذال المعجمتين وألف وميم مكسورة وسين مهملة – وهي مدينة في الصحراء جنوبي بلاد الجريد ، على طريق السودان المعروفين بالكانم . قال في العزيزي : وهي مدينة جليلة عامرة في وسطها عين أزلية عليها أثر بنيان رومي عجيب يفيض الماء منها ويقتسمه أهل المدينة بأقساط معلومة وعليه يزرعون . وأهلها قوم من البربر مسلمون . قال في تقويم البلدان : وبها الجلود المفضلة وليس لهم رئيس سوى رئيس مشايخهم .

مآثر الإنافة للقلقشندي

[٢ : ١٣٤] وفي سنة إحدى وسبعمائة خطب للسلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون ببلاد إفريقية وحاضرة تونس بواسطة أن صاحبها أبا يحيى وفد على السلطان ، فقلده بلاد طرابلس الغرب وأعطاه الأعلام والعصائب فوعده أن مهما فتحه من بلاد الغرب خطب له فيه .

[٢ : ١٤١] سنة ٧٠٩ استقل السلطان أبو البقاء خالد بملك تونس وبجاية وما معهما وتلقب الناصر لدين الله . وكان أبو يحيى زكريا بن أحمد ابن محمد اللحياني بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص بطرابلس، فبايعه أهلها وزحف على السلطان أبي البقاء بتونس ؛ فخاف أبو البقاء فخلع نفسه ، فقبض عليه أبو يحيى واعتقله واستبد بمملكة تونس وبجاية في رجب سنة ٧١١ ، وبويع بها البيعة العامة ، ثم اضطرب أمره . . .

فهرس الفهارس والأثبات للكتاني

الأنوار السنيّة في أسانيد الطريقة العروسية

[١ : ١٤٦] للإمام العارف الشهير بالصقع الطرابلسي ، سيدي عبد السلام الأسمر الفيتوري المتوفّى سنة ٩٨١ عن نحو مائة سنة ، ذكر فيه اتصالاته بالشيخ الشهير العارف أبي العباس أحمد بن عروس دفين تونس ، التي من أشهرها أخذ الأسمر عن عبد الواحد بن محمد الدكالي عن فتح الله ابن أبي راس القيرواني عن أحمد بن عبد الله الرشيد الساحلي عن أبي راوي الفحل عن الشيخ أحمد بن عروس ، وهو عن الشيخ فتح الله العجمي عن الشيخ ياقوت العرشي عن المرسي عن الشاذلي بأسانيده المذكورة في كتابه الأنوار السنية . هذا الذي هو من آخر الكتب التي أملاها الشيخ الأسمر . وفي نظمه الذي يقول فيه :

سمَّيْتُها السلسلة الذهبيّهْ عن سادةٍ أكابر مرويّهْ

وقد ذيلها بنظم سنده إليه صاحبنا العلامة مفتّي المنستير الشيخ محمد ابن محمد بن عمر مخلوف المنستيري ، صاحب طباقات المالكية ، وساقهما معاً في كتابه « مواهب الرحيم في مناقب الشيخ سيدي عبد السلام بن سليم » ، الذي اختصر فيه كتاب الشيخ كريم الدين البرموني شارح المختصر المسمى « روضة الأزهار ومنية السادة الأبرار » في مناقب الشيخ المذكور . (انظر ص ٩٧ من المواهب المذكورة) .

(تتصل بالمترجم) عن الرحال الناسك الذاكر أبي عبد الله محمد بن علي

ابن محمد فتحا بن حسين بن أحمد شهر بوحريص بالحاء وبالخاء ، الفيتوري الطرابلسي ، صافحته بفاس سنة ١٣٢٤ ، عن شيخه محمد بن عثمان بجيج عن أبيه عثمان دفين بنغازي عن خاله محمد عن ولده محمد عن والده محمد عن والده بركة الفيتوري عن عبد السلام ، صاحب كتاب فتح العليم ، عن الشيخ أبي أروى الفيتوري ، دفين جربة ، عن محمد بن عمر بن جحا عن والده محمد بن جحا عن الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر ، بأسانيده ؛ هكذا نقلت هذا السند من إجازة للمذكور عليها ختمه وبخطّه ، لصاحبنا أبي العباس أحمد بن العباس البعزاوي . ولعل فيه انقطاعاً من آخره .

الطبولي

[١ : ٣٥١] هو الإمام المسند المعمر أبو العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي طبل المالكي الطرابلسي المعروف فيها بالطبولي الضرير ، يروي عامة عن محمد بن محمد الصادق بن ريسون وعمر بن محمد بن علي الحساني الطرابلسي المعروف بالسداني . والصعيدي والحفني والدردير ومرتضى الزبيدي والدسوقي ومحمد الكانمي الفزاني المالكي وغيرهم . مات سنة ١٢٥٤ تقريباً .

نروي ما له عن الشيخ فالح عن أبي موسى عمران الياصلي والشيخ السنوسي كلاهما عنه . وممّن أخذ عنه الفقيه الأديب السيد حسن المدعو حسونة بن محمد بن حسونة الدغيسي الأزروملي الطرابلسي الحنفي الوارد على فاس عام ١٢٤٦ والمتوفى باصطنبول عام ١٢٥٨ ، فإنّه أجاز لأبي محمد التهامي بن المكي بن رحمون عن المترجم .

ابن السنوسي

[٢ : ٣٧٤] هو الإمام العارف الداعي إلى السنّة والعمل ، بها ختم المحدثين والمسندين الكبريت الأحمر والهمام الغضنفر حجّة الله على المتأخرين أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي ، الشلفي أصلاً ، المكي هجرة ، الجغبوبي مدفناً ، ويُعرف في مسقط رأسه بابن السنوسي ، ولذلك [ترجمته] هنا . ولد بمستغانم ١٢ ربيع الأول عام ١٢٠٢ ؛ وأخذ العلم بالواسطة وفاس عن أعلامهما ، ثم دخل مصر والحجاز فروى فيهما عامة عن العارف الكبير المحدث الأثري الشهير الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس ، وهو عمدته في طريق القوم ، وإليه ينتسب ، وقاضي مكة عبد الحفيظ العجيمي ، وعمر ابن عبد الرسول العطار المكي وأجازه بمصر الأمير الصغير ، والنور القويسني ، والشمس الفضالي ، وحسن العطار ، والبدر الميلي ، والمعمر تعليب الضرير ، والنور علي النجاري ، والشهاب الصاوي ، وفتح الله السمديسي ، وغيرهم . وممن أجازه من الجزائريين سيبويه زمانه عبد القادر بن عمور المستغانمي ، ومن أعلى شيوخه الجزائريين إسناداً وأعظمهم شهرة الشيخ أبو طالب المازوني ، ومحمد بن التهامي البوعلفي ، والشمس محمد بن عبد القادر ، وابن أبي زوينة المستغانمي . وأجازه في طرابلس عامة الشهاب أحمد الطبولي الطرابلسي ، ومن شيوخه بسلا ، أحمد بن المكي السدراتي السلوي شارح الموطأ . وأجازه من أهل درعة فخرها ابن عبد السلام الناصري الدرعي وولده محمد المدني . وأجازه من أهل فاس الشيخ حمدون بن الحاج والشمس محمد بن عامر المعداني مختصر الإبريز ومحمد بن أبي بكر اليازغي الزهني والطيب بن هداج والسيد أبو بكر الإدريسي القيطوني وأبو زيد عبد الرحمن بن إدريس العراقي الحسيني ، وغيرهم . وسمع حديث « لا إله إلا الله حصني » من تلميذه

العلامة المحدث محمد سعيد العظيمابادي الهندي من طريق مسلسلات ولي الله الدهلوي .

وأخذ الطريقة الشاذلية بالمغرب عن آله وعن أبي حامد مولاي العربي الدرقاوي وسيدي محمد بن أبي جد بن الريفي ، وغيرهم . وأخذ بالمشرق عن جماعات طرقهم كالقادرية والنقشبندية وغيرهما . ورحل إلى الجبل الأخضر من أرض طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ ثم انتقل إلى الجغبوب سنة ١٢٧٣ .

ألّف الشيخ ابن السنوسي في هذه الصناعة التآليف العديدة ذكرت في حروفها ، انظر الأوائل وسوابغ الأيد والمنهل الروي الرائق والسلسل المعين والمسلسلات والبدور السافرة والشموس الشارقة . وألف في العمل بالنسبة والوقوف مع الأدلّة كتابه « بغية السول في الاجتهاد والعمل بحديث الرسول » ، وكتابه « بغية القاصد وخلاصة المراصد » وهو مطبوع بمصر ، و « إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن » وهو مطبوع أيضاً بالجزائر ، وغير ذلك . وبالجملة فقد كان في القرن المنصرم شامته الواضحة وغرته الناصعة بما نشر من السنّة وعلومها وربى وهذب من الخلائق مع الاعتدال والفرار من الدعوى .

وكانت له همّة عالية ورغبة عظمى في العلم وجمع الكتب . وكان ينتدب جماعات من طلبته الأنجاب كل واحد أو أكثر بوجهه لجهة بقصد جمع الكتب شراء وانتساخاً ، وما سمع بمعاصر ألّف كتاباً في الحديث إلاّ وكتب له عليه على بعد الديار وطول المسافة ، ومن ذلك أنه لما سمع بأن قاضي فاس أبا محمد عبد الهادي بن عبد الله العلوي شرح تيسير ابن الديبع كتب له عليه حتى نسخ له . أخبرني بذلك ولد الشارح المذكور مجيزنا المعمر الوجيه الأسنى الناسك أبو العلاء إدريس بن عبد الهادي دفين المدينة المنورة ، وأخبرني أن مكتوب المترجم لوالده بذلك لا زال بيده ، فأنعم بها من همّة

سامية ورغبة وحرص لا يعرف الكلل ولا الرجوع قهقرى. وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة كالأخوين عمر وقاضي مكناس أبي العباس أحمد ابني الطالب ابن سودة ، (وجدي أبي المفاخر محمد بن عبد الكبير الكتاني) [والشمس القاوقجي] ومحمد [حقي النازلي] صاحب خزينة الأسرار ، والشيخ (صديق جمال المكي) ، ومفتي الحنفية بمكة الشيخ (الجمال الحنفي المكي) ؛ ومحمد بن (عبد الله بن حميد الشرقي) مفتي الحنابلة بمكة ، [ومحمد المدني ابن عزوز] البرجي النفطي، [ومحمد سعيد العظيمابادي] ، وأحمد [بن المهدي التونسي] . ومفتي الحنفية بالمدينة الشيخ [مصطفى الياس المدني] ، والشيخ [حسين بن إبراهيم الأزهري] المكي مفتيهم بمكة ، [ومحمد بن صالح الزواوي] ، وصالح العودي وغيرهم .

(ولنا) فيه وفي أصحابه ومشايخه مجلدة نفيسة ، كما ألف فيه أيضاً أبو عبد الله [محمد بن عيسى] السعيدي القاسمي الجزائري «المواهب الجليلة في التعريف بإمام الطريقة السنوسية » في جزء وسط ، وأعلى (طرقنا) إليه عن شيوخنا أبي اليسر فالح المهنوي والقاضي أحمد بن الطالب بن سودة والمعمر عبد الهادي بن العربي العواد ثلاثتهم عنه في كل ما له من مروي ومؤلف منظوم ومنثور .

مات الأستاذ المذكور في ٩ صفر سنة ١٢٧٦ ولم يخلف بعده مثله في هديه وسمته وعظم همته وبُعد صيته وكثرة تلاميذه ، وانظر الكلام على أوائله في حرف الألف . (وبالجملة فلم يجلب ذكره هنا اثر ابن السمعاني وابن السبكي حرف شهرته) فقط بل لكونه كان يحذو حذوهم ويقفو أثرهم [على حسب زمانه ومكانه] ، رحمه الله . قال مفتي الحنابلة بمكة المكرمة المؤرخ العلامة محمد بن عبد الله بن حميد الشرقي الحنبلي في إجازة له : أعظمهم قدراً ، يعني مشايخه ، وأشهرهم ذكراً وأشدهم اتباعاً للسنّة النبوية

وأمدهم باعاً في حفظ الأحاديث المروية وأكثرهم لها سرداً وأوفرهم جمعاً لكتبها وتتبعها ، العلامة المرشد الكامل مولانا السيد محمد بن علي السنوسي الحسني ، فقد روى لي الحديث المسلسل بالأولية أول تشرفي بطلعته ، ثم لازمته مدة مديدة وحضرت عليه سنين عديدة . (وكان يقرأ صحيح البخاري في شهر) [ومسلم في خمسة وعشرين يوماً] [والسنن] في عشرين يوماً مع التكلم على بعض المشكلات . ولا أعد هذا إلا كرامة له . ثم أجازني بجميع ما حواه ثبته الجامع المسمى بـ « البدور الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة » وهو في مجلدين .

وكان أصله مالكي المذهب لكن لما توسع في علوم السنّة رأى أن الاجتهاد متعين عليه فصار يعمل بما ترجح عنده من الأدلة ، انتهى منها . [قلت] : على ذكر عمله بمقتضى الأدلة أذكر أن مسند الديار التونسية وقاضيها الأستاذ المعمّر الشيخ محمد الطيب النيفر حدثني بها أنه لما لقي الشيخ في حجته الأولى قدم له نسخة من تهذيب البرادعي كان وجهها له معه أحد أحبابه ، فسأل الشيخ عمّا يريد منها ، مع ما يعرف عنه من ميلانه للاختيار والترجيح ، فقال : لأجيب منها إذا سألني سائل عن المذهب المالكي .

أوائل السنوسي

[١ : ٦٨] هو الإمام العارف بالله ختم المحدثين محمد بن علي السنوسي المكي ثم الجغبوبي المتوفى سنة ١٢٧٦ . له « الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية » اشتمل أول باب منه على أوائل بعض كتب الأئمة العشرة : موطأ مالك ومسانيد الأئمة الثلاثة والكتب الستة . وثاني باب منه على أوائل بعض مشاهير السنن وهي عشرة . وثالث باب منه على بعض مشاهير المسانيد

وهي عشرة . ورابع باب على بعض مشاهير الصحاح الزائدة على الستة وهي عشرة . وخامس باب على بعض مشاهير المعاجم وهي عشرة . وسادس باب على بعض مشاهير الجوامع وهي عشرة . وسابع باب على بعض مشاهير المختصرات وهي عشرة . وثامن باب على بعض مشاهير كتب الأحكام الجامعة وهي عشرة . وتاسع باب على بعض مشاهير كتب السير والشمائل وهي عشرة . وعاشر باب على بعض مشاهير الأربعينيات والأجزاء والمصنفات . وحادي عشر على خمسة أنواع مشتملة على ما يزيد على مائة كتاب . وثاني عشر باب منها على نحو من أربعين تفسيراً وهي على قسمين :

الأول في تفاسير السلف والثاني في تفاسير الخلف والخاتمة في أربعين طريقاً من طرق الصوفية ؛ وهذا ترتيب عجيب وأسلوب غريب بين كتب الأوائل والأثبات . وله أيضاً « التحفة في أوائل الكتب الشريفة » نسبها له حفيده الشيخ السيد أحمد الشريف في ثبته . نرويهما وكل ما له من طرق منها عن أبي اليسر فالح الظاهري المهنوي المدني والقاضي أبي العباس أحمد بن الطالب بن سودة والمعمر عبد الهادي بن العربي العواد الفاسي ، ثلاثتهم عنه عالياً ، ومنها عن البرهان إبراهيم بن سليمان الحنفي المكي عن محمد بن حميد الشرقي الحنبلي المكي وأحمد بن مهدي بن شعاعة التونسي ، كلاهما عنه (ح) ، وعن الشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي عن الشيخ حسين بن إبراهيم الأزهري المكي ، عنه (ح) وعن الشيخ أبي الخير أحمد بن عثمان العطار المكي عن صالح بن عبد الله العودي المكي ، عنه (ح) وعن شاعر الجزائر الشيخ المعمر عاشور الحنفي القسمطيني عن الشيخ المدني بن عزوز ، عنه (ح) وعن الشيخ محمد معصوم بن عبد الرشيد المجدد الدهلوي عن الشيخ صديق المندي المكي ، عنه (ح) وعن الشيخ محمد سعيد الأديب القعقاعي المكي عن الشيخ جمال بن عمر المفتي المكي عنه ، فهذه أسانيدنا

إليه من طريق عشرة من كبار تلاميذه ، واتصلنا به من طريق غيرهم .

[١ : ٢٠٨] التحفة في أوائل الكتب الشريفة للشيخ السنوسي ، نرويها بأسانيدنا إليه (انظر الأوائل ١ : ٦٨) .

المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق

[٢ : ٣٦] للإمام العارف أبي عبد الله محمد بن علي السنوسي الجغبوبي في نحو سبع كراريس ، وهو فهرس ممتع ذكر الشيخ في أوله أنّه وقع له الاجتماع في رحلاته لجماعة أخذوا عنه من الجهابذة بنواحي الأعراض وأطراف الجريد وطرابلس الغرب ، وآخرون مراسلون من تونس وما حولها من زوايا برقة ومصر فحصل بينه وبينهم التعارف فتشوفت أنفسهم للاستجازة ، فاستخار الله وأجاز لهم ما وصله من مشايخه وأحوالهم على فهارس مشايخه ومشايخهم وفهارسه التي ألف ، فاختصر كل ذلك في ثبت مختصر ذكر فيه إسناد الكتب العشرة والسنن العشرة والمسانيد العشرة والصحاح العشرة والمعاجم العشرة والجوامع العشرة والمختصرات العشرة وكتب الأحكام العشرة ، إلى غير ذلك من كتب التخاريج والسير والشمائل ، ونحو الستين تفسيراً ، ثم طرائق القوم ممّا لخص أكثره من رسالة العجيمي (أرويه) ، وكل ما لمؤلّفه (بأسانيدنا) إليه وهي مذكورة في الأوائل وفي حرف السين .

سوابغ الأيد في مرويات أبي زيد

[٢٨٩] للشيخ السنوسي المذكور غير مرّة (أرويه) عن أصحابه عنه .

السلسل المعين في السلاسل الأربعين

للشيخ السنوسي المكي ثم الجغبوبي ، وهو المذكور قبله اسم فهرس لخص فيه رسالة العجيمي في الطرق الأربعين ، ووصل سلاسله بها من طريقه ، وزاد عليها بعض أسانيد مشايخه ، وهي في نحو الست كراريس [رأيتها] في زاوية بقيرات من ضواحي مستغانم وبالمكتبة العمومية بطنجة . (ومما استغربت) في الثبت المذكور روايته للصلاة المشيشية من طريق العجيمي الذي قال : وأمّا الصلاة المنسوبة إلى سيدي القطب عبد السلام فأخبرني بها جماعة ، منهم صاحبنا الشيخ الفاضل الصالح الكامل مولانا السيد محمد بن أحمد الحسني الإدريسي قراءةً عليه ، قال : أنبأنا بها والدي أحمد عن والده محمد بن عمر ابن عيسى بن عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الوهاب ابن عبد الكريم بن محمد بن القطب سيدي عبد السلام ، برواية كل عمّن فوقه إليه ، ثم ساقها . (أروي) الثبت المذكور عن العارف أبي عبد الله محمد ابن محمد سر الختم المرغني الإسكندري بها سنة ١٣٢٣ عن سيدي عبد المتعال ابن الشيخ سيدي أحمد بن إدريس عن الشيخ السنوسي صاحبها .

الشموس الشارقة في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشارقة

[٢ : ٤١٩] للحافظ محمد بن علي السنوسي المكي ، وهو كتاب عظيم في مجلدين ، وصفه لنا حفيد مؤلفه الأستاذ الجليل أبو العباس أحمد الشريف في كتابه إلي بأنّه لا زال في مبيضته ، وأن اختصاره أيضاً عندهم في مجلدين ، واختصاره هو المسمى بالبدور وقد سبق (نرويه) عن الشيخ فالح الظاهري وغيره عن مؤلفه .

الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية

[١ : ١٤٦] للشيخ الصالح العالم العامل الناسك ، أشهر مشاهير مشايخ الطرق الآن في الإسلام ، صديقنا السيد أبي العباس أحمد الشريف ابن الأستاذ محمد الشريف ابن الحافظ السيد محمد بن علي السنوسي الجغبوبي أصلاً ، الأناضولي جولة ، المكي الاستقرار الآن . وهي رسالة جامعة نافعة في الطريقة السنوسية وأركانها وتعاليمها وتراجم رجالها وأسانيد إمامها في الكتب الحديثية ، والطرائق الصوفية ، وآداب السلوك ، طبعت في الآستانة في ١١٧ صحيفة . قال في أولها : لما رأيت الناس جهلوا مبنى الطريقة المحمدية وأسانيدها العلية ، وضعت هذا الكتاب مقدمة لمجموعة الأوراد والأحزاب لينتفع بها أولو الألباب ، إذ معرفة الأسانيد المتصلة من أعظم المهمات وأولى ما اعتنى به ذوو التحصيل والرغبات ، فإنني أبدأ أولاً ببيان محل منشإ مشايخ هذه الطريقة وولادتهم ووفاتهم ثم أسانيدهم في القرآن ، إذ هو الأصل العظيم وهو أول أوراد هذه الطريقة ، ثم أوضح أسانيد الأمهات الحديثية لأن (مبنى هذه الطريقة على العمل بالكتاب والسنّة الأحمدية) ، ثم أبين أسانيد مشايخ الطرق لتكون إن شاء الله شافية كافية إلخ .

ومدار رواية السيد أحمد الشريف فيها عن والده السيد محمد الشريف وعمّه السيد محمد المهدي ، وهو مستخلفه ، وعن الأستاذين السيد عمران ابن بركة اليزليتني والسيد أحمد بن عبد القادر ، المازوني الأصل ، الريفي الشهرة ، وهو عمدته ، وأجازوه بما لهم أربعتهم عن جده الأستاذ ابن السنوسي بأسانيده . ويروي القرآن عن السيد المدني التلمساني وعن السيد محمد الزروالي عن جدّه أيضاً ، ثم فصل أسانيده إلى الكتب الحديثية والطرائق الصوفية ، وربما كرر بعض الأسانيد وختمها بكلام نثري ونظمي لجده الإمام وغير

ذلك من الفوائد النادرة فيما يتعلّق بهذه الطريقة ، إلا أن طابعها صحّفها وحرّف كثيراً من كلماتها وبعض التواريخ . أروي الرسالة المذكورة عن مؤلفها السيد أحمد الشريف مكاتبةً ، وكل ما له أبقاه الله وأعانه على ما يريد من جمع كلمة الإسلام ، آمين . وهو الآن في سن الخمسين لأن ولادته كانت سنة ١٢٨٤ حسبما أخبرني به ابن عمّه الشيخ الجليل الماجد المرحوم الشيخ أحمد بن تكوك المستغانمي بفاس حينما شرف منزلنا سنة ١٣٣٨ .

الفيوضات الربانية في إجازة الطريقة السنوسية الأحمدية الإدريسية

للعالم العامل الناسك الرئيس الأنجد الشهم الغيور الأمجد [صديقنا] السيد أحمد الشريف ابن السيد محمد الشريف ابن الأستاذ الكبير الحافظ محمد بن علي ابن السنوسي ، نزيل مكة المكرمة الآن ، إجازة طبعت بالآستانة في صحائف ١٦ في القالب الكبير ، ذكر فيها أسانيده في القرآن والصحاح الستة والمسانيد وأسانيد الطريقة السنوسية والشاذلية والنقشبندية وغيرها من الأحزاب والأوراد . وهي إجازة مهمة لم يطبع أفيد منها في بابها ، يعطيها لخلفائه في الطريقة ، ذكر فيها روايته عن والده وعمّه السيد المهدي وهو عمدته ومستخلفه وشيخهما أيضاً العالم الصالح المعمر السيد أحمد بن عبد القادر الريفي المتوفى بالتاج سنة ١٣٢٩ ، أجازه الأخير عامة ما يرويه عن جده وختمها بالإحالة على أثبات جدّه الست الشموس الشارقة ومختصرها البدور السافرة والمنهل الروي الرائق والتحفة والسلسل المعين وسوابغ الأيد .

وللسيد أحمد الشريف المذكور كتاب (الدر الفريد الوهاج في الرحلة من الجغبوب إلى التاج) ، وكتاب فيوض المواهب الرحمانية وهو كبير جداً ،

فصّل فيه أحوال سلفه ومعارفهم وارداتهم وتراجم أصحابهم ، رتبهم على ثلاث طبقات ، وهم عنده نحو ثلاث مائة . وهو تاريخ مهم في نحو مجلدين يسّر الله طبعه ، وفي كتاب الفيوضات الربانية هذا أغلاط كثيرة مطبعية وأخريات من مخرجها من مبيضتها وبعض أمور اشتباهية من أكبرها أن السيد ابن السنوسي وشيخه الإمام ابن إدريس في النفحات نقلا عن العجيمي : قال عن شيخه الصفي القشاشي مخططاً له بالدجاني بالدال ، فتصحفت على الناقل الدال ظنها تاء ، وجعل كلام العجيمي المسوق في النفحات الكبرى مقولاً من جده في حق الشيخ التجاني دفين فاس ، وهذه آفة قلة المقابلة . ومنها أنّه لما ذكر المعمر عبد العزيز الحبشي الذي أخذ عنه جده ، وأرخ وفاته بسنة ست وسبعين ومائتين وألف ، وذكر أنّه عاش من العمر خمسمائة وعشرين سنة ، وأنّه أدرك زمن الحافظ ابن حجر ومن في طبقته وأخذ عنه ، قال : وأدرك السيد عبد الرزاق ابن الأستاذ الكبير مولاي عبد القادر الجيلاني وأخذ عنه ؛ انتهى . مع أن من ولد سنة ٧٥٦ كما ذكر كيف يمكنه الأخذ عن السيد عبد الرزاق الذي مات سنة ٦٠٣ ، إلا أن يكون إدراكه وأخذه عن أحد حفدته وأقاربه المتأخرين عنه ممّن سمي بعبد الرزاق ، فقد كثر في القادريين هذا الاسم ، والله أعلم .

ثم كتب لي السيد أحمد المذكور من المدينة المنورة يخبرني بمكاتبته رجلاً كردياً معمراً اسمه حسين بن عبد الله ، وهو تلميذ تلميذ للسيد عبد العزيز المذكور ، فحقّق له كتابة من بلاد الكرد أن ولادة السيد عبد العزيز الحبشي المذكور بالتحقيق كانت في اليوم الثالث من ربيع الأول عام ٥٨١ ، وأنّه عاش سبعمائة سنة إلا خمس سنين ، وأنه مشى إلى بغداد وأخذ عن الشيخ عبد الرزاق وإلى دمشق فأخذ عن الشيخ محيي الدين ابن عربي ، وأخذ عن الفخر ابن البخاري . قال لي السيد السنوسي في كتابه : وقد فرحت

بتصحيح هذا السند فرحاً لا مزيد عليه؛ انتهى من خطه، وكتب لي كتاباً آخر من المدينة المنورة يقول فيه : إنّه في موسم الحج اجتمع بالسيد حبيب من ذرية السيد عبد العزيز الحبشي المعمر فأخبره أن بين جدّه المذكور وبين النبي صلى الله عليه وسلم ١٧ أباً ، وهذا عجيب فينبغي أن يستدرك الحبشي المذكور على الحافظ ابن الجوزي في تأليفه فيمن عاش من الأعيان مائة إلى ألف . (أروي) عن السيد أحمد الشريف ما له مكاتبة من الأناضول غير مرة .

حاتم الطرابلسي

[١ : ٢٣٥] له فهرسة نرويها بأسانيدنا إلى ابن خير عن أبي الحسن يونس بن مغيث وأبي محمد ابن عتاب منه .

[١ : ٣٣٤] ابن ريسون : روى عن جماعة . . . وبطرابلس (عن) البرهان إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد النور اليزنيتي الطرابلسي . . . وله فهرسة حافلة أجاز [روايتها] الشهاب أحمد بن عبد الرحمن الطرابلسي الطبولي المتوفى بطرابلس سنة ١٢٥٤ ، ومن طريق الأخير نتصل به عن الشيخ فالح الظاهري عن الشيخ السنوسي وأبي عمران الياصلي ، كلاهما عن الطبولي نفسه .

معجم السلامي

[٢ : ٤٦] وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عثمان السلامي الطرابلسي من طرابلس الغرب ، خرّجه له الحافظ ابن رافع . نرويه من طريق التقي بن فهد عن علي بن سلامة منه .

المسلسلات العشرة المنتخبة

[٢ : ٧٩] من فهرس أبي سالم العياشي انتخاب الحافظ محمد بن علي السنوسي ، أرويها بأعمالها عن الشيخ فالح عن الشيخ السنوسي ...

أعجوبة

[٢ : ١١١] وقد عثر المتأخرون بطرابلس الغرب عام ١٢١١ على أصل عظيم من الصحيح بخط الحافظ الصدفي ، أسهبوا في وصفه ونعته ، وها [أنا أنقل] لك كلامهم في شأنه . قال الحافظ ابن عبد السلام الناصري في كتابه المزايا بعد أن تكلّم على نسخة ابن سعادة ، التي هي من أحباس خزانة القرويين : وقد عثرت على أصل شيخه الحافظ الصدفي الذي طاف به البلاد بخطه بطرابلس في جلد واحد مدموج لا نقط به أصلاً على عادة الصدفي وبعض الكتاب ، إلا أن بالهامش منه كثرة اختلاف الروايات والرمز عليها ، وفي آخره سماع عياض وغيره من الشيخ بخطّه ، وفي أوله كتابة بخط ابن جماعة والحافظ الدمياطي وابن العطار والسخاوي ، قائلاً هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني وبنى عليه شرحه الفتح واعتمد عليه . لأنّه طيف به في مشارق الأرض ومغاربها ، الحرمين ومصر والشام والعراق والمغرب . فكان الأولى بالاعتبار كرواية تلميذه ابن سعادة . ولقد بذلت لمن اشتراه في عدة كتب من أهل طرابلس الغرب باصطنبول بثمن تافه ، صرة ذهب فأبى من بيعه وبقي ضائعاً في ذلك القطر ، وكان من مدح ابن العطار له بخطه ما نصّه :

قد دامَ بالصدفي العلم منتشراً وجلّ قدر عياض الطاهر السّلفي
ولا عجيب إذا أبدى لنـا درراً ما الدرّ مظهره إلاّ من الصدفِ

قال ابن العطار : وقلت أيضاً في سيدنا ومولانا قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة ، وقد حملت هذه النسخة لمجلسه بالصالحية في العشر الأول من رجب سنة ٨٠٢ ، فنظر فيها وقال : لو كتبت نسخة واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت أحسن لأن كاتبها رجل جليل القدر :

رأى البخاري بخط الحافظ الصدفي   قاضي القضاة إمام النُّبل والسلفِ
جمال واسطة العقدِ الثّمين لهُ   ولا عجيب بميل الدر للصدفي

وقلت في البرهان بن جماعة ، وقد حملت له هذه النسخة سنة ٨٠٢ فنظر فيها ومال إليها :

رأى البخاري بخطّ الحافظ الصدفي   قاضي القضاة إمام النُّبل والسلفِ
جمال واسطةِ العقدِ الثمين لَهُ   ولا عجيب بميل الدر للصدفي

انتهى .

ونحو هذا لابن عبد السلام الناصري أيضاً في رحلته الصغرى قائلاً عليها من سماعات العلماء في القرون السابقة عياض فمن دونه إلى ابن حجر العجب ، انتهى . وممّن (رأيته) أفاض في وصف هذه النسخة الفقيه المدرس أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي في رحلته الحجازية الواقعة عام ١٢١١ ، قال : لطيفة — وقفت بمحروسة طرابلس على نسخة من البخاري في سفر واحد في نحو من ست عشرة كراسة ، وفي كل ورقة خمسون سطراً من كل جهة ، وكلّها مكتوبة بالسواد لا حمرة بها أصلاً ، وهي مبتدأة بما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا (محمد) نبيه . كيف كان بدأ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعند تمام كل حديث صورة ، انتهى . ولا نقط بها إلاّ ما قلّ ، وبآخرها

عند التمام ما صورته : آخر الجامع الصحيح الذي صنفه أبو عبد الله البخاري ، رحمه الله ، والحمد لله على ما منّ به ، وإيّاه أسأل أن ينفع به .

وكتبه حسين بن محمد الصدفي من نسخة بخط محمد بن علي بن محمود ، مقروءة على أبي ذر ، رحمه الله ، وعليها خطّه . وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة ٢١ محرم عام ثمانية وخمسمائة ، والحمد لله كثيراً كما هو أهله وصلواته على (محمد) نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم كثيراً أثيراً . وعلى ظهرها كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، رضي الله عنه ، رواية أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عنه ، رحمه الله ، لحسين بن محمد الصدفي ، أوقفني على هذه النسخة المباركة محبنا الفقيه الناسك ذو الأخلاق الحسنة سيدي ج أحمد بوطبل ، وذكر لي ، حفظه الله ، أنه اشتراها من اصطنبول ، وحيث اشتراها اجتمع علماؤها وقالوا له : أخليت اصطنبول . ثم قال : وعليها إجازة الصدفي للقاضي عياض في جملة الفقهاء بسماعهم له في المسجد الجامع بمرسية ، وعلى ظهرها أيضاً : هذه النسخة جميعها بخط الإمام أبي علي الحسين بن محمد الصدفي شيخ القاضي عياض . وهي أصل سماع القاضي عليه ، كما ترى في الطبقة المقابلة لهذه ، وهي الأصل الذي يعتمد عليه ويرجع عند الاختلاف إليه ، وقد اعتمد عليها شيخنا الحافظ ابن حجر حالة شرحه للجامع الذي سماه فتح الباري ؛ انتهى كلام الرحلة الفاسية ؛ وفي الرحلة الناصرية الصغرى لابن عبد السلام الناصري أنّه راود أبا طبل المذكور بإبدالها بنسخة أخرى جليلة مذهبة يناهز ثمنها السبعين ديناراً في جزء أيضاً ، فأبى . وعرضت عليه الثمن مضاعفاً فأبى الله إلاّ ما أراد ؛ انتهى . وفي المزايا أيضاً عقب قوله وبقي ضائعاً في ذلك القطر ، ثم حملتني الغيرة ، والحمد لله ، على أن أبلغت خبره لإمامنا المنصور أبي الربيع سيدنا سليمان

ابن محمد ، فوجّه إليه حسبما شافهني به ، ألف مثقال أو ريال ، الشك مني ؛ فأجابه من هو بيده أنّه يقدم به لحضرته . وما منعه إلا فتنة الترك فيما بين تونس والجزائر .

ثم لمّا طال الأمر أعاد الكتب بذلك وإلى الآن لم يظفره الله به . ولقد داعبته ذات مرة قائلاً على شأن سماع الصدفي المذكور وماذا لمبلغ هذا الحصلة ؟ فوعدني ووعد الملوك تحقيق أنّه إن ظفر به خرج منه فرعاً وأعطاني أحدهما على اختياري ؛ انتهى منها . (قلت) : وقد انقطع خبر هذه النسخة من عام ١٢١١ ، لم أر لها ذاكراً ولا ناعتاً من الرحالين والبحاثين . فإن لم تكن دخلت خزانة الزاوية السنوسية بصحراء طرابلس فلا تكون إلاّ انتقلت إلى بعض مكاتب أوروبا ، والله أعلم . ثم صدق الله الظن فأخبرني بعض طلبتنا ممّن كان هاجر إلى المشرق ولقي صديقنا الماجد الأصيل الشيخ سيدي أحمد الشريف بن محمد الشريف السنوسي وصحبه وخالطه أن الأصل المذكور بخط الصدفي موجود في كتب السيد المذكور ، صانه الله وحفظه ، فالحمد لله على وصوله ليد هذا السيد الذي يعرف قيمة الكتب ويصونها ويقدرها قدرها . ثم كتبت له أسأله عن ذاك فأجابني بما نصّه نسخة البخاري التي بخط الصدفي عندي في الكتب التي بجغبوب يحفظها الله ؛ انتهى كلامه من خطّه ، حفظه الله .

الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار

[١ : ٥] ... أكثار اسم بربري أيضاً — الكاف فيه مضمومة بعدها ثاء منقوطة بثلاث نقط من فوقها وهي مفتوحة ثم ألف وراء مهملة — : أبو العباس النباتي : هذا الدواء معروف بشرق بلاد العُدوة ، وهو المسمى بالبقوقلة عند عرب برقة وببلاد القيروان أيضاً معروف به عند الجميع ، يأكلون أصله بالبوادي مطبوخاً ، وهو نبات جزري الشكل في رقة ، وهو دقيق له ساق مستديرة معروفة طولها ذراع وأكثر وأقل في أعلاها إكليل مستدير يشبه إكليل الشبت إلا أن زهره أبيض ، يخلفه بزر دقيق يشبه المستدير من بزر النبات المعروف بالأسلس بالسنتاج وهي الخبة بالديار المصرية . . .

[١ : ٦٩] أونيا : ديسقوريدس في الثانية : من الناس من قال إنّه عصارة المامينا ، ومنهم من قال إنّه عصارة جلوديوس الأسود . ومنهم من قال إنّه عصارة الخشخاش الذي يقال له قرانيطس . . . وقد يقال إنّه يكون هذا النبات أيضاً ببلاد المغرب التي تلي مصر ، وهذا النبات شبيه الورق بورق الجرجير ، وورقه كثير الثقب كأن السوس أكله ، قليل الماء هش ، وله زهر شبيه بلون الزعفران . . . إلخ .

[١ : ٧٣] بابونج . . . وإنّما يستعمل نوع آخر منه وهو الذي يعرف بإفريقية بالبابونق . . . أبو العباس النباتي : لبونق . . . هو أيضاً بنوزن وهو يوجد في صحاري برقة وأرض مصر والمشرق .

[١ : ٩٥] بشمة : أبو العباس النباتي — هو بباء بعدها شين معجمة ساكنة بعدها ميم مفتوحة بعدها هاء — اسم حجازي للحبة السوداء المستعملة

في علاج العين ، يؤتى بها من اليمن ، وهي أيضاً بأطرابلس من المغرب كثيرة .

[١ : ١١٣] بلاّن : أبو العباس النباتي – ورأيت منه شيئاً يسيراً بأرض برقة وسمّاه لي بعض الأعراب بالسيرق ، وهو عند العرب بالحجاز غـيره .

[١ : ١٧٣] جنى : أبو العباس النباتي : الجنى الأحمر هو ثمرة القطلب وهو معروف وهو المسمّى بالقيروان بالشماري ، بضم الشين المعجمة عند العربان ببرقة ، وبالقيقبان عند بعض أهل القدس .

[١ : ١٧٨] جوذر – الجيم مفتوحة والذال معجمة مفتوحة والراء مهملة – أبو العباس الحافظ : ثمر الجوذر على ضربين . . . ويسمّى الثمر المستدير منه بالبربرية تارخت ، والعدسي منه يسمّى الطمخ ، ويؤكل ببرقة والقيروان وببلاد البربر كثيراً .

[٣ : ١٢٣] العشر : ليس منه شيء ببلاد الأندلس ، وأول ما وقفت عليه بظاهر طرابلس المغرب بالجهة الشرقية منها وبعد ذلك بديار مصر بظاهر القاهرة بمقربة من المطرية .

[٣ : ١٥٨] قربيون . . . الغافقي : ذكر بعض الناس ممّن رأى نباته في بلاده أنّه صنفان ، أكثر ما يكون في بلاد البربر ، وهو كثير في جبل درنة ، ويسمّى بالبربرية تاكوت . . .

[٤ : ١٨] قراح . . . معروف بالقيروان لنوع من الرازبانج ترعاه الإبل إلاّ أنّه أدق ورقاً من الرازبانج . . . وهو بصحراء برقة كثير ، أكثر من الذي بإفريقية ، يكون نحو قعدة الإنسان .

[٤ : ١١٠] لم لم : كتاب الرحلة : اسم لشجرة القطف البحري بصحراء برنيق من أعمال برقة عند بعض العربان بها .

هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي

[١ : ١٠] ابن الأجدابي – إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي المغربي الطرابلسي المعروف بابن الأجدابي ، نسبة إلى أجدابية . ولد بطرابلس الغرب ونشأ بها . كان فاضلاً أديباً لغوياً ، توفي في حدود سنة ٦٠٠ . ومن تصانيفه اختصار كتاب نسب قريش لأبي عبد الله ابن الزبير مع زوائد وإلحاقات تشتمل على فوائد . شرح ما آخره ياء من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء ، كتاب الأنواء ، كتاب الرد على تثقيف اللسان في اللغة ، كتاب العروض صغير ، كتاب العروض كبير ، كفاية المتحفظ في اللغة مطبوع في بيروت ، المختصر في علم الأنساب .

[١ : ٤٩] العجلي – أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي ، الحافظ . خرج إلى المغرب أيام فتنة القرآن وسكن طرابلس الغرب . توفي سنة ٢٦١ ، إحدى وستين ومائتين . صنف كتاب التاريخ ، كتاب الجرح والتعديل .

[١ : ٦٧] البرقي – أحمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد بن عبد الرحمن ابن محمد أبو جعفر البرقي ، من فقهاء الشيعة . أصله من الكوفة ، سافر جده إلى برقة وهو ولد ، ونشأ بها . وتوفي سنة ٣٧٦ ، ست وسبعين وثلاثمائة . صنف اختلاف الحديث ، أدب المعاشرة ، أدب النفس ، أنساب الأمم ، بدء خلق إبليس والجن ، بنات النبي وأزواجه ، تفسير الأحاديث والأحكام ، ثواب القرآن ، جداول الحكمة ، ديوان شعره ، طبقات الرجال ، كتاب الإبلاغ ، كتاب الاحتجاج ، كتاب الأحناش والحيوان ، كتاب الإخوان ،

كتاب الأركان ، كتاب الأشكال والقرائن ، كتاب الأفانين ، كتاب الامتحان ، كتاب الأمثال ، كتاب الأوائل ، كتاب البلدان أكبر من كتاب أبيه ، كتاب التبيين ، كتاب التأويـــل ، كتاب التبيان ، كتاب التحذير ، كتاب التخويف ، كتاب التراحم والتعاطف ، كتاب الترغيب ، كتاب التسلية ، كتاب التعازي ، كتاب التهاني ، كتاب التهذيب ، كتاب الثواب ، كتاب الجمل ، كتاب الحقائق ، كتاب الخصائص ، كتاب الخيل ، كتاب الدعابة والمزاح ، كتاب الدواجن ، كتاب الزجر والفال ، كتاب الرفاهية ، كتاب الرؤيا ، كتاب الرياضة ، كتاب الزهـــد ، كتاب الزينة ، كتاب السفر ، كتاب الشعر والشعراء ، كتاب الصفوة ، كتاب الطب ، كتاب العجايب ، كتاب العقل ، كتاب العقاب ، كتاب العين ، كتاب الغرائب ، كتاب غريب كتب المحاسن ، كتاب الفراسة ، كتاب الفروق ، كتاب المآثر والإحسان ، كتاب المآكل ، كتاب المرافق ، كتاب المعاني ، كتاب المواهب ، كتاب النساء ، كتاب النور والرحمة ، كتاب النوادر ، مصابيح الظُّلَم ، مغازي النبي صلى الله عليه وسلّم ، مكارم الأخلاق .

[١ : ١٧٣] النائب الطرابلسي – أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأوسي الأنصاري ، الشهير بالنائب في طرابلس الغرب . قدم جدّه من الأندلس وسكنها وهو ولد ، وتوفّي بها سنة ١١٥٥ ، خمس وخمسين ومائة وألف . له تعليق على الجامع الصحيح للبخاري ، شرح مقدمة الاجرومية نحو ثمانية كراريس .

[١ : ٥٧٠] المسراتي – الشيخ أبو محمد عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي المغربي الصوفي المالكي . كان عالماً فاضلاً حافظاً لأخبار الصالحين وحكاياتهم . توفّي بالقيروان في ٢٨ صفر من سنة ٦٤٦ ، ست وأربعين

ومثمانة . من تصانيفه الزهر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، الزهر الأنيق في قصة سيدنا يوسف الصدّيق ، الوجيز في فروع المالكية .

[١ : ٥٧٢] التاجوري — الشيخ عبد السلام بن عثمان المالكي الصوفي . ولد بتاجورا (من توابع طرابلس الغرب) ونشأ بها ، وتوفّي سنة ١١٣٩ ، تسع وثلاثين ومائة وألف . له تذييل المعيار ، فتح العليم .

[٢ : ٣٥٩] الطرابلسي — محمد بن عبد الكريم بن أحمد بن عبد الرحمن ابن أحمد الأوسي الأنصاري . ولد بطرابلس الغرب ، وتولى النيابة الشرعية بها متسلسلاً عن والده وجده . يُعرف بالنائب . توفّي سنة ١٢٣٢ ، اثنتين وثلاثين ومائتين وألف ، له الإرشاد لمعرفة الأجداد في تراجم آله وأسلافه .

[٢ : ٤٠٠] السنوسي — السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي الحسني المالكي الشهير بالسنوسي ، المتوفى سنة ١٢٧٦ ، ست وسبعين ومائتين وألف . له إزاحة الأكنّة في العمل بالكتاب والسنّة ، إشراق الشموس السنية اليقينية على تراكم غياهب اعتراضات الأربعينية ، مواهب القيوم في تذييل روضة الفهوم ، إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن ، البدور السافرة في اختصار الشموس ، بغية السول في الاجتهاد والعمل بأحاديث الرسول ، بغية المقاصد في خلاصة المراصد ، تاريخ الأدارسة من ملوك المغرب ، تحف المحاضرة في آداب التفهم والتفهيم والمناظرة ، التحف المنيفة المشتملة على زبدة ما نبذه بعض محققي مذهب الإمـــام أبي حنيفة ، التحفة الشريفة في أوائل مشاهير الأمهات الحديثية ، رسالة الفلاح في الفتح والنجاح ، ريحانة الجبوب في عمل السطوح والجيوب ، السلسبيل المعين في طريق الأربعـــين ، سوابغ الأيد من مرويات أبي زيد ، سيف النصر والتوفيق وغاية السلوك والتحقيق ، الشموس الشارقة في تراجم مشايخي من المغاربة والمشارقة ، فحم الأكباد في مواد الاجتهاد ، قرة عين أهل الصفا في صلوات المصطفى ، الكواكب

الدرية في أوائل كتب الأثرية ، لوامح الخذلان على من لا يعمل بالقرآن ، كتاب عصمة الرسل ، مجموع مسانيد الإمام أبي حنيفة ، مختصر بغية الطلاب في علم الأنساب ، مختصر مسند الإمام أحمد ، مختصر المواهب البارية ، الأصولية في العمل بالكتاب والسنّة ، المسائل العشر ، مفتاح الجفر الكبير ، منظومة السلوك إلى ملك الملوك ، المواهب السرية في منتقى الأوضاع الحرفية ، مواهب القيوم في نزيل روضة الفهوم ، نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن ، هداية الوسيلة في اتباع صاحب الوسيلة ، رسائل في ختم كتب السنة ومسند الإمام مالك والشافعي وشرح البسملة في اثني عشر علماً ، وغير ذلك .

كشاف المراجع[1]

١ – جمهرة الأنساب لابن حزم الأندلسي تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، ط . دار المعارف بالقاهرة (الطبعة الثانية) .

٢ – الأنساب المتفقة لابن القيسراني أبي الفضل محمد بن طاهر تحقيق دي يونج ، بريل ليدن ، ١٨٦٥ .

٣ – الأنساب للسمعاني تحقيق الشيخ عبد الرحمن اليماني ، ط . حيدر آباد .

٤ – اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١ – ٣) ، ط . مكتبة القدسي بالقاهرة .

٥ – نهاية الأرب للقلقشندي ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٩) .

٦ – قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي . تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٣) .

٧ – البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦١) .

٨ – فتوح مصر وإفريقية لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم تحقيق تشارلس توري (مطبعة جامعة ييل ١٩٢٢) .

٩ – فتوح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (١ – ٣) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد (مكتبة النهضة ، القاهرة) .

---

١ رتبت المصادر حسب ورودها في الكتاب .

١٠ – تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب العباسي (١ – ٢) ط . (دار صادر وبيروت ١٩٦٠) .

١١ – تاريخ الطبري (الطبعة الأوروبية) .

١٢ – المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان (ط . القاهرة ١٩٦٣) .

١٣ – الكامل في التاريخ لابن الأثير (الطبعة الأوروبية) .

١٤ – المغرب في حلى المغرب لأبي الحسن علي بن سعيد تحقيق الدكتور زكي حسن وآخرين (الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣) .

١٥ – مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل الحموي (١ – ٣) تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال (مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣) .

١٦ – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (١ – ٢) ط . بيروت .

١٧ – أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام لسان الدين ابن الخطيب القسم الثالث تحقيق الدكتور العبادي والأستاذ الكتاني طبعة الدار البيضاء ١٩٦٤ .

١٨ – تاريخ ابن خلدون : (كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر) لأبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون (١ – ٧) ط . بولاق ١٢٨٤ هـ .

١٩ – نهاية الأرب للنويري جـ ٢٢ ط . أوروبية .

٢٠ – تاريخ ابن الفرات محمد بن عبد الرحيم (٧ – ٩) تحقيق الدكتور قسطنطين زريق المطبعة الأميركية بيروت ١٩٣٦ – ١٩٤٢ ومخطوطة فينا من الأجزاء التي لم تطبع .

٢١ – السلوك للمقريزي تحقيق الدكتور مصطفى زيادة طبع القاهرة .

٢٢ – المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي (١ – ٤) ط . بولاق .

٢٣ — تاريخ الدولتين : الموحديّة والحفصية لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي ط . تونس ١٢٨٩ هـ .

٢٤ — بدائع الزهور لابن إياس الحموي (١ — ٣) ط . بولاق و (٤ — ٥) تحقيق الأستاذ محمد مصطفى ط . القاهرة ١٩٦٠ — ١٩٦١ .

٢٥ — المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس لابن أبي دينار ط . أولى بتونس .

٢٦ — إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد بن أبي الضياف (١ — ٨) طبع تونس ١٩٦٣ — ١٩٦٨ .

٢٧ — الولاة والقضاة لأبي عمر محمد بن يوسف الكندي تحقيق ديفون جيست ليدن ١٩١٢ .

٢٨ — سيرة أحمد بن طولون لأبي محمد عبد الله بن محمد البلوي تحقيق محمد كرد علي دمشق ١٣٥٨ هـ .

٢٩ — سيرة الأستاذ جوذر تصنيف أبي علي منصور العزيزي الجوذري تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور عبد الهادي شعيرة ط . دار الفكر العربي بمصر .

٣٠ — الحلة السيراء لأبي عبد الله ابن الأبّار القضاعي (١ — ٢) تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، (ط . القاهرة ١٩٦٣) .

٣١ — تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور لمحيي الدين بن عبد الظاهر تحقيق الدكتور مراد كامل (ط . القاهرة ١٩٦١) .

٣٢ — عنوان الدراية في علماء بجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ط . الجزائر ١٣٢٨) .

٣٣ — أنس الفقير وعز الحقير لأبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور الرباط ١٩٦٥ .

٣٤ — رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني (١ — ٢) تحقيق الدكتور حامد عبد المجيد القاهرة ١٩٥٧ — ١٩٦١ .

٣٥ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١ – ٥) لابن حجر العسقلاني تحقيق محمد سيد جاد الحق (ط . القاهرة ١٩٦٦) .

٣٦ – اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة جـ ١ لمحمد البشير ظافر الأزهري (ط . مصر ١٣٢٥) .

٣٧ – مسالك الأبصار لشهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري مخطوطة طوب قبو سراي .

٣٨ – صبح الأعشى للقلقشندي (١ – ١٤) (ط . المطبعة الأميرية القاهرة) .

٣٩ – مآثر الإنافة في معالم الخلافة (١ – ٣) للقلقشندي تحقيق عبد الستار فراج (ط . الكويت ١٩٦٤) .

٤٠ – فهرس الفهارس والأثبات (١ – ٢) لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي (ط . فاس ١٣٤٦) .

٤١ – الجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار المالقي (١ – ٤) (ط . بولاق ١٢٩١) .

٤٢ – هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (١ – ٢) ط . إستانبول ١٩٥١ – ١٩٥٥ .

محتويات الكتاب